تاريخ مساجد الشحر وأصحابها

منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري



عبد الله صالح حداد

تاريخ

مساجد الشحر وأصحابها

منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري

عبد الله صالح حداد

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م / حضرموت (٢٦٢) ٢٠٢١م

عنوان الكتاب :

تاريخ مساجد الشحر وأصحابها

منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري

المؤلف :
عبد الله صالح حداد

الصف الطباعي :
نور عبد الله باوزير

الإخراج الفني :
عدنان أحمد الصبان

التنفيذ الطباعي :
مركز الخيصة للتصوير والتجليد
حضرموت ـ فوه ـ المساكن

التوزيع :
مكتبة المنار ـ الشحر ـ الحوطة ـ ت : ٣١٠٠٣

قام بتصحيح مفردات الكتاب
الأستاذ / فؤاد فرج بركات

٢٠٢١م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة : ١٨]

الإهـداء

أهدي كتابي هذا :

- لأسرتي فرداً فرداً
- والدكتور محمد كرامة بن دهري طبيب الأسنان وجراحة الفم .
- والأستاذ أحمد عبد الله اليزيدي المحامي بالإمارت العربية المتحدة .
- والأستاذ عدنان أحمد الصبان الذي أخرج كل كتبي .
- والأستاذة نور عبد الله باوزير التي قامت بطبع كل ما أكتبه .

المقدمة

تأخر كثيراً صدور هذا الكتاب، وكنت قد بدأت جمع مادته عام ١٩٧٩م وكنت أقدم رجلاً وأؤخر الأخرى لأسباب ذكرتها في متن الكتاب وسيجد القارئ بعض النواقص؛ وذلك لعدم معرفتي بأصحاب بعض المساجد وكان لي أمل أن أجد في بعض الكتابات عن هذه المساجد أو على الأقل أسماءهم الكاملة والصحيحة وقد خاب أملي في مدة الأربعين سنة الماضية وعندها عقدت العزم على نشر هذا الكتاب عن تاريخ مساجد مدينة الشحر وأصحابها بعد أن عرفت عنهم شيئاً وتركت بعضها آملاً أن أجد من يخلفنا في العثور على أصحابها وفي الحقيقة أن كثيراً من قضايا التاريخ لهذا البلد وهذه المنطقة التي تعرف بحضرموت قد ضاعت لأسباب ربما سعى الجهلة وبعض المغرضين إخفاء هذه الكتب وقد أشار بعض المؤرخين إلى مثل ذلك وقد بذلت جهداً طيباً فيما أظن للبحث عن أي إشارة أو واردة جاءت في الكتب التاريخية وكتب المناقب وسير الأعلام والحوليات فلم تزد معرفتي على ما قدمته في كتابي هذا ولعل إشارة أستاذي محمد عبد القادر بامطرف وهو أول من سألته عما جاء في حديث له من أن هناك ملزمة كتبها الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الخالق يسر عن مساجد الشحر وأضاف أنها من ثلاثين صفحة وقد اطلعت عليها وهو رجل له في الفكر والتاريخ باع طويل ـ رحمه الله ـ وقد أصيب بمرض الزهايمر فخرج تائهاً في وديان المدينة وهلك فيها، وظللت أبحث عنه وقد سألت أخاه الشيخ حامداً الذي اعتذر بعدم معرفته

وسألت ابنه عبد الله (ت ٣/ ٨/ ٢٠٢٠م) فقال أنه لا يعلم إلا برسالة سوف أنقل ما فيها إليك ولم تكن كما أملت فقد كانت تضم مشايخ حضرموت ووفياتهم.

وأهداني أستاذي محمد عبد القادر بامطرف نسخة من كتابه الشهداء السبعة الذي صدر في بغداد عن دار الحرية للطباعة مطابع الجمهورية العراقية في ٢٧ يوليو ١٩٨٣م.

إن القائمة من مساجد الشحر التي جاءت في الصفحات (٤٧ ـ ٤٩) من هذا الكتاب كانت بداية المراجع التي اعتمدت عليها ثم تابعت البحث عن أية مصادر أخرى تؤيد ما جاء في قائمته هذه، ووقع في يدي بعض المدونات لبعض الأساتذة وهم من أهل الشحر وبعضها لا تزيد على ورقة واحدة، ومن هذه المصادر:

- مدونة الشيخ مبارك صالح الأرضي، مدونة تاريخية يومية.
- المذكرة التاريخية ـ مخطوطة ـ للشيخ أحمد عبد القادر الملاحي.
- وثيقة الشيخ سالم هلال الحبشي.
- وثيقة الشيخ طاهر علي الأرضي.
- كتاب النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، مخطوط للمؤرخ عبد الله محمد باحسن.
- كتاب النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، مطبوع من تحقيق د. محمد عبد النور.
- وهناك كتب حبّرت في القرن العاشر أو بعده وصدرت محققة في زماننا وهي واردة في قائمة المصادر والمراجع ولها صدى في متن الكتاب فليرجع إليها من يريد.

وبيدي الآن كتاب (تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل) وهو مؤرخ علوي توفي سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م) وقد حققه عبد الله محمد الحبشي وصدر على نفقة الشيخ الوجيه محفوظ سالم شمارخ جاءت طبعته الأولى عام ١٩١٤م والرجل عاش مدة طويلة من عمره بالشحر وأنجب ابنته فاطمة بها وقد ذكر عدداً من المساجد لكنه لم يلتفت إلى مسجد الجامع بالشحر مما يجعلنا نشك في أن الكتاب قد تعرض للحذف في بعض أجزائه والتعديل والتلخيص.

ثم نمرّ على كتاب (تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر) وهو من تأليف الشيخ عبد الله محمد باسخلة (باسنجلة) المتوفي في عام ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) وقد حققه أيضاً عبد الله محمد الحبشي وصدر عن مكتبة الإرشاد بصنعاء في طبعته الأولى عام ٢٠٠٧م ونجد أنه ذكر مسجد الجامع بالشحر أربع مرات اثنتان منها باسم (الجامع الشريف)، وكتاب ثالث هو (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر) تأليف الشيخ محمد عمر الطيب بافقيه من تحقيق عبد الله محمد الحبشي وصدر عن مكتبة الأرشاد بصنعاء في طبعته الأولى عام ١٩٩٩م وذكر فيه جامع الشحر ومسجد بن عتيق وهو الوحيد الذي أشار إلى (مسجد باسبوعة) وصدر هذا الكتاب أيضاً بتحقيق الدكتور أحمد صالح رابضة وهو من مواليد الشحر ويعيش بعدن اليوم أستاذاً للتاريخ بجامعة عدن.

ونصل إلى القرن العشرين الميلادي فنجد هناك اهتماماً كبيراً بذكر مساجد الشحر، ولعلنا نذكر أولاً المؤرخ الشاعر عبد الله بن محمد باحسن المتوفي بمسقط رأسه الشحر عام ١٩٢٨م الذي وضع كتاباً تاريخياً تحت عنوان (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) وقد حققه

الدكتور محمد عبد النور التريمي وقد أفرد هذا المؤلف باباً في مؤلفه وهو الباب الثاني: (نذكر فيه مساجدها العامرة والمندرس منها والداثرة) وقد صدر محققاً في طبعته الأولى عام ٢٠١٠م عن دار تريم للدراسات والنشر ورغم أن هذا الباب كان أصغر الأبواب في الكتاب لكنه مصدر لا غنى عنه لمن يتصدى للكتابة عن مساجد مدينة الشحر والذين جاءوا من بعده إنما اعتمدوا عليه مع قصور مادته واعتماد مؤلفه على تكملته لمن يأتي بعده وتصحيحه من ذوي الاهتمام بأمر مساجد الشحر.

ويأتي بعد هذا المؤرخ الكاتب أحمد عبد القادر الملاحي الذي وضع مؤلفاً أسماه (المذكرة التاريخية) وهو ما يزال مخطوطاً وذكر فيها العدد الأكبر من مساجد الشحر تحت عنوان (عدد مساجد الشحر) ومما يؤخذ عليه مثلاً عند ذكره لمسجد (ابن قضيمتي) قال: (إنه بني في زمن العباسيين عام ٢٤٠هـ) وهو قد قرأ ما كتب على سقف المسجد خطأ وهذا الكاتب/ المؤرخ الوحيد الذي التفت لمسجد النساء دون أن يعرف لمن ينسب، ثم سجل قائمة المساجد في عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) وجاءت قائمته بذكر أربعين مسجداً فقط، وفيه سمى مسجد الأوابين (مسجد الرابطة) وهو ما يذكره الناس عامدين وتحت الرأي القائل (الناس على دين ملوكها).

ثم يأتي بعد ذلك المؤرخ مبارك صالح الأرضي المتوفي بمسقط رأسه الشحر في ٢٩ نوفمبر ١٩٦٤م وقد سجل في مخطوطته التي تستحق النشر قائمتين مكررة عن كل مساجد الشحر التي تقام بها احتفالات قراءة قصة المولد النبوي في أيام شهر ربيع الثاني من كل عام، بشكل متتابع في تلك المساجد المذكورة وهي التي أسسها حامد السري العلوي وجعلها في

اثني عشر مسجداً ثم عممها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر بن سالم (انظر ذلك في كتاب جمعان سالم عماني (التوضيحات في الحول والحضرة والزيارات).

بعد ذلك يأتي المؤرخ خميس كرامة حمدان الذي وضع كتاباً تحت عنوان (الشحر عبر التاريخ) والذي صدر عن مركز البحوث والدراسات اليمني بصنعاء في عام ٢٠٠٥م وذكر فيه بعض مساجد الشحر تحت عنوان جانبي في الفصل الخامس من كتابه (علماء مجهولون) وذكر منهم صاحب مسجد عمرو فقال إنه: (عمرو بن أحمد بن أبي عمر الشحري المهري) لكنه صدر المعلومة بلفظة (قيل) ولم يعين مصدره وفي الحقيقة إن اسم (عمرو) غير مكرر كاسم في أسماء قبائل المهرة لكنه مكرر في قبائل الحموم وهو وارد إلى يوم الناس هذا وهم ينسبون لجدهم عمرو، ويقول في تنصورتهم:

(عمرو غلابة كم قبيلي كسرنا نابه والله كم...)

وفي كتاب (إدام القوت) لابن عبيد الله السقاف عنوان جانبي عند ذكره لمدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت منذ عام ١٩١٠م قال: (وفيها عدة مساجد أشهرها) واسترسل في ذكر بعض المساجد مركزاً على مسجد السلطان عمر بن عوض القعيطي المعروف باسم (مسجد عمر) ومسجد السلطان غالب بن عوض المعروف باسم (مسجد الغالبي) وغيرها كالجامع القديم والنور والروضة، وكأني به أراد بذكر مساجد المكلا أن يقول أن الدولة القعيطية قامت ببناء المساجد، وهذه رشوة للسلطان صالح بن غالب سلطان حضرموت وقتها.

وعند ذكره لمدينة الشحر لم يعجبه أي شهرة لبعض مساجدها غير أنه ذكر مسجد الجامع، وذلك عند ذكره لفضلاء العلويين بالشحر ومنهم الثري حسين بن عبد الرحمن بن سهل الذي جدد عمارة مسجد الجامع وكأنه ذكر الجامع عند دور ابن سهل ليس إلا.

وفي كتاب (أدوار التاريخ الحضرمي) لمحمد بن أحمد الشاطري ذكر للمساجد في حضرموت لكنه لم يأت بينها ذكر لأي مسجد بالشحر مع أنه وضع كتابه التاريخي هذا في الشحر.

وفي عام ١٩٨٠ م كنت أتمتع بصحة الشباب والعافية واستسهلت وضع كتاب (مساجد الشحر وأصحابها) وتسرعت معلناً اهتمامي بالمسألة وأني أجمع المادة ومصادرها لدراسة ذلك وتسرب الخبر لدى بعض الشباب النابه كالأستاذ عزيز محمد الثعالبي والأستاذ خالد محمد باعباد وكان ذلك عام ١٩٨٣م، ونشر خبر إصدار الكتاب لكني تريثت في مسألة إصدار هذا البحث الشائك وقليل المصادر.

أمام هذا تقدم إليّ عدد من الشباب لغرض كتابة شيء عن مساجد الشحر تعريفاً وتاريخاً ـ أُمسك عن إعلان أسمائهم ـ فقد كانوا يطالبون بالاطلاع على ما وصلت إليه في بحثي المعلن عنه مساجد الشحر وأصحابها، وبالطبع كان الرفض مني مع الإشارة إلى السؤال عن مسجد أو مسجدين أو حتى ثلاثة، ولم يكن في استطاعتي تقديم كل ما وصلت إليه، وهو جهدي الشخصي، ثم إني لم أعلن فشلي أو عدم رغبتي في إتمامه آنذاك، والآن وقد مر من عمري ثلاثة وسبعين عاماً ومنذ ٢٧ إبريل ٢٠٢٠م، وهو يوم ميلادي دخلت الرابعة والسبعين من عمري، فلم يكن لدي الوقت الكافي لتقديم الأعذار والبحث عن أسباب التأخير ولقد انتهى

الأمر على تقديم ما بدأته، وسوف يأتي من هو أقدر مني على صبر البحث والاستقصاء، ويكمل ما قدمته ويصحح ما وقعت فيه من أخطاء غير مقصودة دون إساءة أو تحقير أو تنقيص وهي رغبة أستاذي محمد عبد القادر بامطرف الذي أوصاني بتقديم ما وصلت إليه ولن يعيب أي كاتب له محاولات، ولابد من نشرها فربما لم تصل هذه المحاولات إلى غيرك.

وقد حثني أستاذي عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي بالإسراع في تنفيذ ما وعدت ونذرت على نفسي إتمامه، ولما آنس مني التأخير قال لأحد تلاميذه إن حداداً متردد، فإذا كانت لديك الرغبة في كتابة موضوع كهذا فابدأ بعمله، ووعدَه بتقديم العون والمساعدة ولكن هذا التلميذ خذله فلم يستطع أن يقدم غير اثني عشر مسجداً فقط.

وأخيراً صدر كتاب الأستاذ خالد يوسف الهندي، وهو من مواليد مدينة الشحر وكان بعنوان (الشحر حضارة وتاريخ ومعلم) عام ٢٠١٥م في طبعته الأولى وعلى نفقته الخاصة، وكان الباب الخامس منه بعنوان (المساجد والأربطة...) وجاء موضوع المساجد في الصفحات (١٢١ ـ ١٤٤) وقد ضم أغلب مساجد مدينة الشحر وربما سقطت منه بعض المساجد وخاصة المساجد التي تم بناؤها بعد التوقف عن تحبير كتابه، والملاحظ عليه أنه ذكر مسجد غبطة باسم (غبطة بن أحمد بافضل) ولم يذكر عزوه إلى أي مصدر سجل نسبه، وقد سألته فأجاب (إن هذه معلومات إدارة الأوقاف بالشحر) وقد جاء من هذه الإدارة في كشف مع إثبات ذلك بوضع بصمة الإدارة، وسقط منه مسجد محمد/ أحمد عيديد الخاص بالنساء، ثم إنه تجنب لفظة (حمام) التي تطلق على الجزء الهام من المسجد واستعاض عنها بقوله: (الجزء المسقوف من المسجد).

ثم صدر كتاب (مساجد مدينة الشحر) وهو من وضع الأستاذ محمد حسين بن الشيخ أبو بكر، والكتاب في الأصل دراسة أثرية معمارية جادة تقدم بها إلى قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة صنعاء لنيل شهادة الماجستير، وقد طبعت رسالته هذه عام ٢٠١٧م في طبعته الأولى عن مركز الدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالمكلا، ولعلي لا أخطئ عندما أنسبه لآل الشيخ أبو بكر أصحاب شعب النور القريب من قرية الواسط التي تبعد عن مدينة الشحر بحوالي خمسة عشر كيلاً.

وأنا هنا أبعد التهمة عن سؤاله لماذا بحث عن مساجد الشحر وهو من مواليد مدينة المكلا وأحد سكانها، فالأجدر به أن يبحث عن مساجد مدينة المكلا، ولكنها رغبته أو ربما القدر الذي ألهمه البحث عن مساجد مدينة الشحر دون غيرها، وربما لتوفر بعض المصادر حتى وإن كانت ميدانية أو اعتماد على رواية شخصية أو أكثر من راوية، وقد أخذت عليه نسيانه لعدد من مساجد الشحر ربما لأنه ليس من الشحر أو لأنه لا يعيش فيها وهو في هذا معذور وهذه مسائل تحدث في المعجمات والموسوعات.

لقد سقط من كتابه عدد من المساجد القديمة التي يمكننا أن نعدها قديمة وهي التي كانت معمورة إلى ما قبل الاستقلال عام ١٩٦٧م، وهي: مسجد غبطة، مسجد بن قبولة، مسجد باحجر، مسجد روضة الحبشي، مسجد باخليفة، مسجد الزاوية، مسجد الأوابين، مسجد الرباط، مسجد عيديد للنساء، مسجد إبراهيم بن إسماعيل، مسجد باسبوعة، مسجد علي بن حسين، مسجد أبو بكر بن شيخ، مسجد النور، مسجد المحضار بحي عقل باعوين.

ومع أنه أفرد ملحقاً في كتابه بعنوان (المصطلحات والألفاظ المحلية في العمارة) لكنه هرب من لفظة (حمام المسجد) التي تطلق في عرف الحضارم في الساحل والداخل من حضرموت على (بيت الصلاة) مع أن مصطلح (الضاحي) وارد في مصطلحاته وهو ما يطلق على صحن المسجد، ولم نستطع أن نتبين سبب حذفه لهذه اللفظة (حمام) ورفضه لها، فربما استهجنها أو رآى أنه من الخطأ أن تطلق هذه التسمية على أهم جزء في المسجد، لكن كان عليه أن يفيدنا ويوضح رأيه في رفضه هذا وحذف المسمى، وقد حررنا ملحقاً في كتابنا هذا عن التسمية، يجدها من يرغب في آخر الكتاب.

وفي تناولنا للبحث اضطررنا أن نقسمه إلى ستة فصول جاءت هكذا، وبعد المقدمة:

ـ الفصل الأول: مسجد جامع الشحر.

ـ الفصل الثاني: مساجد الشحر حتى عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م).

ـ الفصل الثالث: مساجد الشحر في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

ـ الفصل الرابع: مساجد الشحر ما بين الاستقلال حتى الوحدة.

ـ الفصل الخامس: مساجد الشحر ما بعد الوحدة اليمنية وحتى اليوم.

ـ الفصل السادس: المساجد التي لا يعرف أماكنها.

مشاكل الدراسة:

لعلي قد تطرقت إلى أهم مشكلة اعترضت طريقي عند بحثي لتاريخ مساجد مدينتي الشحر وأصحابها، وهي شحة المصادر وندرة المراجع، أو عدم تواصلها بحثاً، فإنك تجد خلافاً حول تسمية بعض المساجد ولا تجد الحل في بقية المصادر التي اعتمد عليها في البحث

وعندها لا تملك إلا أن تضع المسألة كما هي ويظل البحث جارياً والخلاصة أن هذا ما وصلت إليه ولي أمل أن يجد من هو أكثر جدة وأكثر صبراً على الجهد والبحث عن الصحيح في كل ما رأيته أو ما رآه مختلفاً لمن سبقنا من الكتاب والمؤلفين والمجتهدين.

أهمية الدراسة:

لا شك في أهمية العمارة الإسلامية المتمثلة في المساجد وهي بيوت الله وقد حث الله ورسوله على عمارتها بناء وحضوراً، ولذلك ذكر الله تعالى في قرآنه أكثر من مرة فقال: **(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)** وقال في موضع آخر: **(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)** لذا يمكن القول إن التعريف بتلك المباني وصيانتها وحمايتها أمر مطلوب دينياً، ولهذا كان اهتمام المسلمين بهذه المباني واستمرار بنائها عند التوسع العمراني للسكان وتأليف الكتب والدراسات عنها وعن العلماء فيها أمر ضروري، فأهمية المسجد هي أمر مرتبط بما يكتب عنها.

أهداف الدراسة:

وتتضح الأهداف الرئيسة من تأليف هذا الكتاب في الفصل السادس منه، إذ يشكل حسرة شديدة على ضياع بيوت الله تلك التي تركت لعوامل الزمن والتعرية والإهمال أن ينال كل من هذه أو غيرها كالريح والمطر والرطوبة والملوحة أن تشارك في هدم البناء أولاً حتى أصبحت لا تعرف حتى أماكنها اليوم وبعضها جعلت مساكن للساكنين وأصبح العدد الآخر من مواقع تلك المساجد لرمي القمامات وللتوالف من الأخشاب والحديد وأي مستهلكات وحظائر الأغنام وغيرها، إن هذه الأهداف هي الأهم التي فرضت تأليف هذا الكتاب،

والغرض صيانة المساجد من الاندثار والترك والإهمال والضياع، إن العودة إلى الفصل السادس يرى القارئ كيف ضاعت مباني هذه المساجد ولم يعد يعرف منها غير الاسم المردد عند العامة.

منهج الدراسة:

اعتمدت أساساً على ما بين يدي وما ادخرته من معلومات وفيرة استقيتها مما سجله المؤرخون والكتاب قبلنا، ونحن هنا إنما أغرنا على ما خلفوه لنا واتبعناهم وحاولنا المزيد من المعرفة فلهم منا كل الشكر الجزيل، ولكن هذه المصادر كما نظن جاءت قاصرة ولم تكن متكاملة أو في شبه التكامل ونحن هنا لا ندعي الكمال، ولكنها محاولات منا للتتمة والإضافة مع طرح الأسئلة للعلماء والمثقفين والرواة الثقات مع المعاينة لكل مسجد وزيارته زيارة مباشرة إلا ما ندر، وكلنا أمل في أن نكون قد قدمنا ما يفيد.

حدود الدراسة:

من خلال العنوان نجد أن البحث ينحصر على ذكر المساجد في مدينة الشحر وحدها، ويمتد جغرافياً إلى قرية (دفيقة) وهي حي الفلاحين اليوم والتي أصبحت جزءاً من مدينة الشحر بعد التوسع العمراني الحديث الذي نلمسه ونراه اليوم، وتمتد الدراسة تاريخياً من العقد الأول في القرن الهجري الأول إلى القرن الخامس عشر الهجري أيضاً أي ما بين (٦٣١م ـ٢٠٢٠م).

موقع الدراسة:

مدينة الشحر، وأحسب أنها مدينة ليست مجهولة بل هي معروفة لكل القراء في جزيرة العرب بجميع بلدانها وطالب المعرفة المزيد عنها فليس بالأمر الصعب فكم حبرت كتب ودراسات طبعت بعد أن حققت ونشرت واليوم نجد فصولاً عنها في كل من الكتب التالية:

- كتاب الشامل لعلوي بن طاهر الحداد.
- كتاب إدام القوت معجم بلدان حضرموت لابن عبيد الله السقاف.
- كتاب النفحات المسكية لعبد الله محمد باحسن.
- كتاب الشهداء السبعة للأستاذ محمد عبد القادر بامطرف.
- وفي كتابه المختصر في تاريخ حضرموت العام.

وغير هذا كثير، صدرت هذه في قرننا هذا وما قبله، لكن في الزيادة كل خير.

الشحر:

مدينة الشحر تقع على ساحل بحر العرب على مسافة ليست بعيدة من عاصمة الجنوب (عدن) وهي مدينة تقع ما بين مدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت وبلدة الحامي ذات المياه الكبريتية الساخنة، وربما هي السوق لهذه المساحة الكبيرة التي تمتد ما بين أبين وعمان والتي تعرف بالشحر، ففي خريطة وصفها بطليموس حوالي عام ٤٠ ميلادية أشار فيها إلى المدينة باسم ALASA EMPORIUM وهي تعني سوق الشحر أي المنطقة الساحلية كلها ثم امتد اسمها تاريخياً إلى عام (١١٢م) والأسعا ربما مأخوذ من اسم ملكها العز أو الغريلط ويسمونه البطالسة اليزوس Elesazos والبعض يسميه Alasa (انظر كتاب الهجرة اليمنية لمحمد عبد القادر بامطرف). وتغير إلى اسم الشحر واختفى منها لفظة السوق الواردة إلى اليوم في أرياف المدينة.

ومنذ تلك الأيام وهي عاصمة المنطقة الساحلية ومنفذها البحري المطل على العالم، وظلت هكذا حتى عام ١٩١٠م وفيه حول السلطان غالب بن عوض القعيطي عاصمته إلى المكلا وكان سبب هذا التحول اقتصادياً فقد كانت المكلا تستقبل السفن الكبيرة عابرة المحيطات وتفرغ حمولتها في أسابيع بينما في الشحر لكون ساحلها رق يتأخر تفريغ الحمولة فقد كانت المكلا على خليج.

وبناء على وصية والده الجمعدار عوض بن عمر القعيطي جعل المكلا عاصمته والشحر عاصمته الثانية. وقد كانت الشحر في السابق لهذا التاريخ الميناء البحري الرئيس للتجارة الحضرمية والهجرة إلى مختلف أصقاع العالم.

وكانت الشحر وما حولها مسكن لقبيلة قضاعة ثم خلفتها قبائل كندة حتى الإسلام وقد هاجرت أقوام منها مع الفتح الإسلامي، وتناوبت حكم الشحر قبائل المنطقة القضاعية من حضرمية ومهرية وقد استولت أغلب الدول التي أقيمت في مناطق مختلفة من اليمن ثم تخلفها السلطات المحلية عندما يدرك تلك الدولة الضعف وهكذا، وكل هذا حباً في خيرات المدينة والوارد إليها.

ثم استولى آل كثير عليها بعد أن سحب الطاهريون أميرهم منها وكان ذلك في عام ٨٧٦هـ (١٤٧١م) واستخلفوا السلطان بدر الكثيري عليها وهذه هي المرة الأولى التي حكم آل كثير الشحر فيها، ومن ذلك التاريخ والتنازع قائم بين المهرة تحت زعامة أبو دجانة وهو منهم وبين آل كثير وهم أيضا قضاعيون وظل آل كثير يحكمونها حتى ضعف حالها فأقيم ما

يعرف بحكم الطوائف وفي الشحر أربع طوائف تحكم أجزاء منها مما يجعلنا نقول أنها حكم الحويف / الحارات.

وكان آل بريك وهم إحدى هذه الطوائف قد آنسوا من أنفسهم قوة فأعلنوا دولتهم على الشحر وأعمالها عام ١١٦٥هـ (١٥٧١م) وظلوا يحكمونها مدة مائتي سنة حتى انتزعها منهم آل كثير في عام ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م) لكن لم يدم حكم آل كثير لها إلا مدة قصيرة، ففي يوم الجمعة ١٩ ذي الحجة ١٢٨٣هـ الموافق ٢٤ إبريل ١٨٦٧م زحفت الجيوش اليافعية من جيش عوض بن عمر القعيطي ومساعده الكسادي حاكم المكلا ومن معه من الجنود الهنود المسرحين من جيش نظام حيدر أباد الدكن بالهند مع الموالين له من يافع والقبائل الحضرمية تدك سور المدينة القديم ثم التحم الجيشان وفرت الجيوش الكثيرية إلى خارج المدينة.

واستمر حكم الدولة القعيطية للشحر مدة مائة سنة وكانت مدعومة من قبل الاستعمار البريطاني قال المؤلف سيرجنت لقد كان القعيطيون مرتزقة له في الهند وكانوا مثل ذلك الدور في حضرموت وانتهت هذه الدولة على يد قرار الجبهة القومية في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م لكن مدينة الشحر أصبحت مدينة سكنية لا شأن لها ولا حول ولا قوة بعد أن حول السلطان غالب بن عوض القعيطي عاصمته من الشحر إلى المكلا عام ١٩١٠م بناء على وصية أبيه الجمعدار عوض بن عمر المتوفي بحيدر أباد بالهند يوم الأحد ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٨هـ (٢٥/ ١٢/ ١٩١٠م).

١٠ نوفمبر ٢٠٢٠م

عبد الله صالح حداد

الشحر م / حضرموت

الفصل الأول

مسجد الجامع بالشحر

لقد اهتم المسلمون ومنهم أهلنا بالمساجد ومنهم من سكن هذه البقعة الطيبة التي عرفت حسب الاتجاه باليمن أي الجنوب ومنهم من سكن حضرموت وخصوصاً أهالي مدينتنا الشحر، إذ أن الاهتمام بالمساجد أمر تقتضيه رسالة الإسلام، وذلك بعمارتها وإحيائها بالعبادة والتردد عليها فقد ورد في الأثر أن الله سيظل في ظله يوم القيامة من كان قلبه معلقاً بالمساجد.

وتجلت مظاهر الاهتمام بالمساجد في الآتي:

الاهتمام بعملية البناء حيث يندر أن تجد حياً في مدينة أو أية قرية قريبة أو بعيدة إلا وبها مسجدٌ أو أكثر، على أن الاشتغال المستمر ببناء المساجد أكسبهم خبرة في هذا المجال وبرز العديد منهم ذكرهم المؤرخون وأشادوا بهم وبأعمالهم وهم الذين تصدوا لبنائها في بلاد المسلمين وفي غيرها، وهذا الصحابي العلاء بن الحضرمي الذي يذكر التاريخ بأنه أول من بنى مسجداً في دار الكفر.

كما ظهر الاهتمام بالمساجد في وقف الأموال والعقارات من أجلها، ثم الارتباط بها والحرص على إحيائها وذلك بارتيادها وأداء الصلوات فيها وتلاوة القرآن بها والذكر وسماع الواعظين بها والفقهاء أيضاً، واعتناء المؤرخين بها وتسجيل أسمائها وأصحابها ومؤلفاتهم.

وقد رأيت أن نأتي على ذكر المساجد الجوامع في اليمن عموماً وفي المدن على الخصوص، مع إفراد أكبر الاهتمام بمدن حضرموت وسوف نقدم ما استطعنا الحصول عليه من أهمية.

ولكن ما الفرق بين المسجد والجامع، فالجامع أيضاً مسجدٌ واللفظة تعني الموضع الذي يسجد فيه، أما الجامع فهو نعت للمسجد قال نشوان في الجزء الأول من كتابه الشهير (شمس العلوم) المسجد الجامع الذي يجتمع فيه الناس وتقام فيه الجمعة.

وفي ذلك يقول المقريزي في الجزء الثاني من خططه أنه: (لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة. وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك أيضاً، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده وكانت صلاة الجمعة تؤدى في المسجد الجامع) انتهى.

ومن ثم فقد أصبح للفظ الجامع مدلول سياسي فقد عُرف الجامع أنه هو المسجد الذي يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه، وأصبح الجامع في العواصم هو مسجد الدولة الرسمي، ولقد تطور بناء المساجد وبالذات الجوامع على مر التاريخ، يساير في ذلك موكب الحضارة الإسلامية وقد صحب هذا التطور تغييرات جوهرية في التخطيط المعماري.

ولعل أفضل ما نبدأ به فيما يتعلق بلفظ (الجامع) هو مسجد جامع صنعاء، وهو أول مسجد عُمر باليمن في صدر الإسلام، عمره وبرة بن يخنس الأنصاري صاحب رسول الله

صلى الله عليه وسلم في سنة ستة من الهجرة، تقرأ ذلك عند الرازي أحمد بن عبد الله في كتابه (تاريخ صنعاء) حيث يقول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر وبرة بن يخنس الأنصاري حين أرسله إلى صنعاء والياً عليها، فقال له: ادعهم إلى الإيمان فإن أطاعوا لك به فاشرع لهم الصلاة، فإن أطاعوا لك بها فمر ببناء المسجد في بستان باذان ما بين الصخرة الململمة إلى غمدان، قيل إن الصخرة المشار إليها هي الموجودة الآن في الصرح الغربي في أصل أساس الجدار الغربي من الجامع، وقيل إن الذي أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بعمارة المسجد هو فروة بن مسيك المرادي فعمره وعمر الجبانة التي هي مصلى العيدين، وقيل إن الذي عمر المسجد هو أبان بن سعيد وقيل المهاجر بن أمية أخو أم سلمة رضي الله عنها وكل هؤلاء ممن ولي صنعاء من الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا ما نقلناه من كتاب (مساجد صنعاء عامرها وموفيها) الذي جمعه الحاج محمد بن أحمد الحجري وهو أيضاً ينقل من كتاب لمحمد بهجة الأثري، في مقدمة كتاب (تاريخ مساجد بغداد) ومنه قوله: (وأما الجامع فهو يكون نعتاً للمسجد وإنما نعت بذلك لأنه علامة الاجتماع ولم يكن الصدر الأول يفردون كلمة الجامع في الإطلاق وإنما كانوا يقتصرون على كلمة المسجد وتارة يصفونها فيقولون المسجد الجامع، وطوراً يضيفونها على الصفة فيقولون مسجد الجامع. ثم تجور الناس واقتصروا على الصفة فقالوا للمسجد (الكبير) الذي تصلى فيه الجمعة وإن كان صغيراً لأنه يجمع الناس لوقت معلوم، هذا ما خطر لي في تعليل هذا الاصطلاح الذي تواصفوا عليه، وجرى عليه الأستاذ المؤلف في هذا الكتاب فكان العنوان لهذا المسجد هكذا (جامع صنعاء الكبير).

وهكذا إذاً يقال له (الجامع الكبير بصنعاء) وسرت هذه التسمية إلى مناطق أخرى في اليمن فقيل الجامع الكبير بذمار والجامع الكبير بإب والجامع الكبير بزبيد.

لكن أغلب الجوامع في العالم كله ظلت دون وصفها بالكبير وكما يقول الأثري في كتابه السابق صغيراً كان أو كبيراً في حجم بنائه، ومن ذلك مسجد الجامع بالشحر الذي أضاف إليه الناس نعت الكبير وكان ذلك بعد تحقيق الوحدة اليمنية ممثلين في لجنة المسجد الذين أعلنوا ذلك برفع لوحة كتبوا عليها (الجامع الكبير) وهي في نظري خطأ كبير إذ أن الدارس والباحث والمؤرخ سيجد أن بمدينة الشحر مسجدين أحدهما اسمه مسجد الجامع وآخر الجامع الكبير، ولن تستمر هذه التسمية ويمكننا أن نعدها خطأ شائعاً، فقد ذكر مؤلف كتاب (تاريخ الشحر، المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر) لمؤلفه الأديب الفقيه عبد الله بن محمد باسخلة المتوفى ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) والذي صدر عن مكتبة الإرشاد بصنعاء من تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي، ذكر مسجد جامع الشحر أربع مرات، اثنتان منها باسم (الجامع الشريف بالشحر) في الصفحتين ١١٥ و ١١٩ ولكن هذا الاسم ولد ميتاً ولم يذكره أحد غيره، وعندها نتذكر أن مسجد السلطان عمر القعيطي أطلق عليه عام ١٩٦٧م أي بعد الاستقلال (مسجد الثورة) فلم يلتفت إلى هذه التسمية أحد وقل مثل ذلك في تسمية حصن بن عياش وحصن ناصر وقصر السلطان الكثيري بسيئون.

إن ما ذكرناه هنا كان تمهيداً قصدناه حتى ندخل إلى الحديث عن مسجد جامع الشحر، ولكننا سوف نعرج على ذكر بعض الجوامع في المدن اليمنية، وقد مررنا على ذكر مسجد جامع صنعاء الذي يقال له (الجامع الكبير) وهو كما يقول المؤرخون أول مساجد اليمن، لكن هناك

رأي يقول إن جامع الجند أول مسجد للمسلمين في اليمن، حيث أن الصحابي معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، وأنه في ثاني يوم من وصوله أي الخميس الأول من شهر رجب من العام التاسع للهجرة أسس مسجد الجند الواقع بالقرب من مدينة تعز وفي نفس المكان أذن لصلاة الجمعة وخطب المصلين وأمهم في المكان الذي أنيخ فيه بعيره الذي نقله إلى المنطقة، إلا أنه لم يستكمل البناء فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستكمال بناء المسجد كاملاً.

وفي اليمن يوجد أكثر من مسجد يرجع تاريخه إلى العهد النبوي، كمسجد فروة بن مسيك الغطيفي وهو من مراد ومسجده يعرف بمسجد مسيك بصنعاء، وسعد بن أبي وقاص الذي أسس مسجد المدرسة، ووهب بن منبه الذي أسس مسجد وهب، ومسجد طاؤوس اليماني الذي أسس مسجد طاؤوس وكلها مساجد ما زالت قائمة.

إننا بهذا نعتبر ما ذكرناه أشبه بالمدخل للتعريف بمسجد جامع الشحر ومنه إلى عدد من مساجد مدينة الشحر للتعريف بمساجدها القديمة والحديثة.

ولنستبق الحديث عن المساجد الأولى في مدن حضرموت وسنبدأ بمدينة تريم، وفي ذلك نستمع إلى حديث ابن عبيد الله الذي جاء في كتابه (إدام القوت معجم بلدان حضرموت) عن جامع تريم إذ يقول: (إن أول ما انتهى إلينا من عمارته كونها في سنة ٢١٥هـ ثم جدد عمارته الحسين بن سلامة آخر حكام دولة آل زياد ولاة اليمن بزبيد وكان رجلاً عادلاً اختط عدة مدن وأنشأ الجوامع وحفر الآبار، ثم تابع عمارة الجامع حتى اليوم أو حتى زمن الانتهاء من

تحبير كتابه. لكنه استدرك في صفحة (٨٧٤) من الطبعة الثالثة من الكتاب ليقول: ومهما كان الأمر فمن المؤكد أن جامع تريم كان مبنياً من الصدر الأول، وإنما جدد أو وسع كجامع شبام في سنة ٢١٥هـ ثم تكررت عليه العمارة والترميم).

وبهذه المناسبة نذكر الفقيه الأديب علي سالم بكير باغيثان الذي وضع كتيباً أو رسالة عن المسجد الجامع وتاريخه وعمارته وترميمه سماه (الجامع في تاريخ الجامع) طبع دون تاريخ ولا مكان الطباعة.

ويلاحظ أن بكير لا يعتمد العبارات التي جاءت عند ابن عبيد الله بأنه لا بد أن يكون الجامع هذا قديماً، وينقل عن كتاب (البرد النعيم في نسب الأنصار خطاء تريم) مخطوط وهو من تأليف محمد بن علي بن عبد الرحمن الخطيب المتوفى سنة ١٠٢٥هـ (١٦١٦م) فينقل منه قوله: كما لا ندري هل كانت صلاة الجمعة تقام بتريم قبل ذلك؟ أي قبل تأسيس الجامع؟ وأين كانت تقام؟. فالمعروف الآن أنه ليس في تريم لذلك العهد شيء من المساجد، غير المسجد المعروف الآن بمسجد الوعل الذي أسسه أحمد بن عباد بن بشر الأنصاري، جد آل الخطيب التريميين الذين استمرت فيهم خطبة الجمعة بتريم إلى اليوم. وهل يمكن أن يقال أن أهل تريم كانوا في ذلك العهد كأهل حضرموت عامة لا يصلون الجمعة، عملاً بمذهب الإباضية القائلين بعدم جواز إقامة الجمعة إلا خلف الإمام أو نائبه، وأنها لا تصلى في القرى ولا المدن الصغيرة.

وعلى هذا يرى البعض أن أول مسجد بني في مدينة تريم على وجه الإسلام هو مسجد الوعل، وأول من أسسه التابعي أحمد بن عباد بن بشر الأنصاري، وكان بناؤه سنة ٤٣هـ

(٦٦٤م) من الهجرة النبوية على وجه التقريب، وهذا المسجد يقع بحافة الخليف في داخل حدود نفس البلد تريم الأصلية القديمة، كما ورد ذلك في (البرد النعيم) الكتاب المخطوط السابق ذكره. وللمسجد هذا عدة أسماء منها: مسجد الخطباء، ويسمى قديماً مسجد بن سالم ويسمى مسجد الخليف، ويسمى مسجد الأنصار ويسمى مسجد الوعل، وهذه التسمية هي المشهورة في هذا الزمان.

ونحن ننقل هذا عن كتب ألفت في هذا المجال واختصت بذكر هذه المساجد التي وردت معنا هنا.

إن حقيقة مسجد الوعل لا تصمد أمام الحقائق التاريخية خاصة إذا عرفنا أن الصحابي عباد بن بشر لم يصل بتاتاً إلى حضرموت وأنه توفي شهيداً باليمامة في العام العاشر من الهجرة، وأنه لم يعقب إلا بنتاً لا غيرها. وإذا عرضنا كتاب (البرد النعيم) نفسه للتمحيص التاريخي سنجد أنه كتاب لا يمكن الاعتماد الكلي عليه، فإن هناك أمور حاول إثباتها بالأحلام في اليقظة والمنام، وهذه لا تصمد كحقائق في التاريخ، وهنا علينا أن نسأل عن مؤسس هذا المسجد؟

إن هناك حقائق ضائعة في تاريخ تريم وغير تريم استعيض عنها بهذه المنامات، خاصة إذا عرفنا أن آل الخطيب كما يرى البعض أنهم آل باخطيب أي ابن الخطيب وهم من قبيلة الصدف والله أعلم.

بقي علينا أن نقول أن ابن عبيد الله السقاف يقول في كتابه (إدام القوت): وكانت بور قاعدة ملك آل كثير برهة من الزمن، وهذا مما يتأكد به أن سيئون كانت خراباً وإنما تجددت عمارتها شيئاً فشيئاً أكثرها في القرن العاشر. وعلى هذا الكلام فإن المساجد التي بها لا تكون قديمة، على أن عبارة أكثرها في القرن العاشر تفيد الازدهار في هذا القرن ولا يأتي العمران إلا في مراحل، فقد قيل أن مسجد جامع سيئون بني أو يعود بناؤه إلى القرن التاسع حيث تم ذلك على يد الشيخ أحمد مسعود بارجاء وأنه قد وسعت بناية هذا المسجد في القرن الثاني عشر على يد صالح بن منصور العولقي، وكان ذلك في عام ١١٢٥هـ (١٧١٣م) ثم توالت الترميمات وتجديدات العمارة.

ونمر على مدينة شبام والذي لا نشك فيه أن جامعها قديم وربما بني في عهد النبي أو في عهد الخلفاء، فإن ابن عبيد الله يقول: أن ما يفهم من قول ياقوت في معجمه (إن الحسين بن سلامة ابتنى جامع شبام) محمول على التجديد والترميم، وإلا فقد كان جامعها مبنياً قبل ذلك بزمان. ففي تاريخ القاضي محمد بن عبد الرحمن باشراحيل أنه (بني سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م) وأنه كالقطب الذي تدور عليه غالب شعار الدين بشبام) وكان الحسين بن سلامة من موالي بني زياد ولاة اليمن، ولما تضعضع حكم آل زياد نهض الحسين هذا وتسلم مقاليد الإمارة في حوالي سنة ٣٧٥هـ (٨٨٨م) وكان رجلاً عادلاً، اختط عدة مدن وأنشأ الجوامع وحفر الآبار وأقام في الحكم مدة ثلاثين عاماً، وتوفي بزبيد سنة ٤٠٢هـ (١٠١١م).

على أن الذي يلفت النظر لمسجد جامع شبام أوقاف تنسب للخليفة العباسي هارون الرشيد الذي حكم عام ١٧٠هـ (٧٨٦م) وحتى وفاته عام ١٩٣هـ (٨٠٨م) ولقد تم

الاتصال بالباحث الشبامي الأستاذ صالح أحمد باخبيزة الذي أفادنا مشكوراً بشيء من المنطق، حاول به الإثبات أن الجامع لا بد أن يكون من المساجد الأولى في حضرموت، فقد ذكر لنا أن ابن عبيد الله يقول في وصف شبام: (وبعيد أن ينتشر فيها الإسلام والمسلمون ثم لا يبنى بها جامع إلا في آخر القرن الثاني عشر الهجري، هذا ما لا يتمعنى بحال، ولا سيما أنها كانت دار إقامة زياد بن لبيد الأنصاري المشهور كما في (مفتاح السعادة والخير) لعبد الله محمد باقشير. وعلى أية حال فإن ياقوت الحموي يقول في معجم البلدان: (تريم اسم لإحدى مدينتي حضرموت اسم للناحية بجملتها ومدينتا تريم وشبام) ويظهر لنا أن لبيداً هذا تدبر أيضاً مدينة تريم، فكان يسكن المدينتين ومن ذلك أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ورد كتاب الخليفة الأول أبي بكر الصديق على لبيد بن زياد وهو بمدينة تريم، فقرأه على أهلها فبايعوه ثم بايعه أكثر أهل حضرموت، هكذا مما نجده في كتاب ابن عبيد الله (إدام القوت) ولنا أن نسأل السؤال التالي: أين قرأ ممثل النبي ثم ممثل الخلافة في حضرموت رسالة خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب المبايعة للخليفة الأول أبي بكر الصديق؟

ولا نشك في أن هناك كتب أحداث وتاريخ وأخبار وأشعار عن حضرموت وقضايا تاريخها فقدت ولم يعد لها وجود، ولكن المنطق يقول إنه لا بد أن يكون على الأقل بمدينتي تريم وشبام مساجد صغرت أو كبرت وهي ـ ولا شك ـ ستتخذ طابع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم المكون عند البدء من جريد النخل وسعفها وجذوعها سقفاً وأساطين وفرشاً ثم تطورت، مثل التطورات التي حدثت في بيوت الله في كل بقاع العالم ومنها في الأول في مكة والمدينة.

ونحن لو نظرنا إلى ساحل حضرموت فلن نجد غير مدينة الشحر، لكننا لا نستطيع أن نتغافل عن مدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت اليوم، وودت لو كتبت عن جوامعها ومساجدها فهناك مسجد الغالبي المنسوب للسلطان غالب بن عوض القعيطي المتوفى بحيدرأباد بالهند، ثم مسجد عمر المنسوب للسلطان عمر بن عوض القعيطي المتوفى بحيدرأباد بالهند في ١ يونيو ١٩٢٢م وهناك أيضاً مسجد النور ولكنها كلها حديثة، بل المكلا كلها حديثة، ولكي نخرج من الحرج نقول إن المكلا كانت تعرق بالخيصة وهي خليج بحري يأوي إليه أصحاب السفن ولم تكن خالية من السكان لكن في عام ١١٦٥هـ (١٧٥١م) أعلن بعض من آل كساد اليافعيين الذين استوطنوها، وكانوا من رجال البحر يملكون سفناً عابرة للمحيطات تسافر إلى الهند ورأس الخليج وإلى أبعد مكان من شرق أفريقيا، هؤلاء أنسوا من أنفسهم قوة فأعلنوا دولتهم دولة آل كساد بالمكلا.

ولكن للإنصاف نرى أن مدينة المكلا من حديث التاريخ قد نشأت في تلك الأيام التي أعلن الكساديون فيها دولتهم، لأن المدن لا تقام بين عشية وضحاها بل تنشأ في أوقات متباعدة، وعليه نفترض أن تكون قد نشأت قبل ذلك ولكن منذ ذلك التاريخ دخلت إلى عالم المعرفة أما قبل فلم تكن شيئاً مذكوراً اللهم إلا ما سبقت الإشارة إليه.

وربما نكون قد أطلقنا الحديث كمقدمة أو كمدخل واستعداد للحديث عن مسجد جامع الشحر الذي نعده المسجد الثالث في اليمن كله بعد مسجد الجامع بصنعاء وجامع معاذ بن جبل بالجند، ولهذا نعتبره ثالث المساجد النبوية أي التي بنيت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في اليمن. حيث أسس في العاشر من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لقد عاد أهل

الشحر إلى موقعهم بعد أن أسلموا ضمن من أسلم من أهل اليمن في عام الوفود، وقد سمي ذلك العام بعام الوفود لكثرة الوفود التي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة لتعلن إسلامها وكان أهل الشحر في تلك الفترة قوماً من قبيلة كندة الذين أنشأوا محلتهم في هذه البقعة التي عرفت فيما بعد بالقرية، الاسم الذي رافق هذا القسم من مدينة الشحر كأحد أحياء المدينة. لقد كانت قبيلة كندة تلقب بها بالملوك ويقال لهم ملوك العرب، ويظهر أن هناك علاقة بين هذا اللقب ووصف هذا الحي القرية بأنه قرية الملوك.

ونحن لا نشك في أن هذا المسجد الذي يعرف إلى ما قبل سنوات قليلة بمسجد جامع الشحر في كل عمره الذي يمتد إلى أكثر من ألف وأربعمائة عام، لم يكن يخرج عما كان عليه مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، الذي كانت أعمدته من جذوع النخل وسقفه من أليافها وسعفها وجريدها.

وإذا كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد استبدل أجزاء النخيل بالحجارة على عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإننا بالشحر لا نعلم عن أمر مسجد الجامع في الدور الأول من تاريخه شيئاً، لكن في عام ٢٠٧هـ (٨٢٢م) نجد الشيخ محمد بن عبد العليم باصديق يجدد عمارته. وباصديق هذا هو أحد تجار المدينة، أقصد مدينة الشحر والمعروف عند أهاليها بأنه هو الذي حفر البئر الشهيرة بوادي سمعون والمعروفة ببئر صديق، وهي البئر القديمة التي كانت أهم مصدر لمياه الشرب بمدينة الشحر قبل المشاريع الحالية، أقصد اليوم وهو ليس بحالي كما يعرف كل أهل الشحر.

إن عبارة (تجديد العمارة) تفيد بأن هناك عمارة سابقة جددت، لكنا لا نعرف عنها شيئاً أما بعد ذلك فقد توالت الإضافات والزيادات والتجديدات لعمارة مسجد الجامع، وسيجدها الراغب في الاستزادة في كتاب (الشهداء السبعة) الذي ألفه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف ولكن لا بأس في ذكرها لمن ليس لديه نسخة من الكتاب، أقصد كتاب الشهداء السبعة الذي نفذت طبعته الثانية من الأسواق.

ونعود إلى الصفحتين (٤٨، ٤٩) من الكتاب نفسه الذي وضعه الأستاذ بامطرف لنجده يقول: والذي وقفنا عليه عن تاريخ مسجد الجامع الذي بنته كندة في القرن الأول الهجري أنه: في عام ٢٠٧هـ (٨٢٢م) جدد عمارة الجامع الشيخ محمد بن عبد العليم باصديق أحد تجار مدينة الشحر.

وفي سنة ٥٧١هـ (١١٧٥م) جدد عمارته الفقيه الشيخ عبد الله بن سعد باذخار الشحري ـ وكان الأستاذ بامطرف رحمه الله يلحق بعض الأسماء بنسبته لبلده، فيقول الشحري أي أنه من أهل الشحر.

وفي سنة ٧٨٢هـ (١٣٨٠م) جدد عمارة المسجد ووسع رقعته الأمير الرسولي محمد بن أحمد الحاجب القضاعي وكانت الدولة الرسولية قد قامت في اليمن الأعلى عام ٦٢٦هـ (١٢٢٨م) وهي تنسب إلى محمد بن هارون أحد وزراء الدولة الأيوبية بمصر، وقد أنابه المسعود الأيوبي آخر أمراء بني أيوب في اليمن، وامتد نفوذها إلى حضرموت ولكن احتلالها لمدينة الشحر كان في عام ٦٧٧هـ (١٢٧٨م).

وكان الأمير ابن الحاجب أميراً على الشحر عندما جدد عمارة الجامع لكن في السنة التي تليها أي ٧٨٣هـ (١٣٨١م) هاجم آل يماني الشحر وطردوا منها الحامية الرسولية، وعلى أية حال فإن حكم الدولة الرسولية استمر على مدينة الشحر حتى سنة ٨٣٦هـ (١٤٣٢م) حيث انتزعها منهم الأمير محمد سعيد أبو دجانة الذي يقول بعض المؤرخين أنه كندي ونرى أنه من (بيت محومد) القبيلة المهرية القضاعية، وانتهت دولة بني رسول في اليمن الأعلى سنة ٨٥٨هـ (١٤٥٤م). ويذكر المؤرخ أحمد شنبل العلوي في كتابه التاريخي أن الأمير ابن الحاجب توفي في نفس السنة لكنه لم يبين مكانه.

وفي سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢م) جدد عمارة المسجد الجامع الفقيه المحدث أحمد بن قضيمتي في نفس السنة التي أقام فيها مسجده المعروف باسم بن قضيمتي الكائن بحي عقل باغريب والكامل العمارة إلى يومنا هذا، والملاحظ أن تجديد عمارة هذا المسجد الحديثة حافظت على الجزء القديم من المسجد، والذي يدلنا على قدمه العبارة التي نقشت على سقفه: (مسجد الشيخ أحمد بن قضيمتي، بني عام ٨٤٦هـ على يد شخص اسمه محمد عبد الرحمن) وعام ٨٤٦هـ تساوي عام ١٤٤٢م.

وهنا تسقط دعوى المؤرخ عبد الله باحسن الذي حاول أن يعلل اسم (ابن قضيمتي) بأنها ألصقت به، لأنه يطلب من رواد ساحته قضمة ذرة ثم يدرج بها على جيران الساحة أو مسجده لطحين تلك القضمة أو ما جمعه ليجعل منها غذاءه، إن الرجل كان ثرياً وفي غنى عن تلك القضيمات المطلوبة في شكل من الحقارة والذل. لقد جدد عمارة مسجد الجامع في نفس السنة التي أقام فيها مسجده، وقد جاء وصفه بأنه فقيه ومحدث.

وفي عام ٨٦٥هـ (١٤٦٠م) أوقف الشيخ حسين بن عبد الرحمن بن سهل العلوي أربع فرد ماء بمعيان الحرث بغيل باوزير، ومعنى ذلك أن كل فردة وجمعها (فرد) أي سقي يوم كامل، أي أربع وعشرين ساعة من كل معيان الحرث، ويعني كل ذلك أن هذه المياه تعود في ملكيتها لمسجد جامع الشحر وكانت تستثمر لصالح المسجد.

وفي آخر عام ٨٩٦هـ (١٤٩٠م) أخرج الشيخ القاضي عبد الله محمد بن عبسين وقف الجامع من تحت الدولة وكاد أن ينطمس، وأنشأ بجانب المسجد مدرسة تولى التدريس فيها الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل إضافة إلى تولي الخطابة في الجامع والإمامة في مسجد ابن عمران، أحمد بن عمران.

ونحن في واقع الأمر لا نستطيع أن نمر مرور الكرام على أسماء وردت معنا هنا كالشيخ ابن سهل والقاضي ابن عبسين والفقيه بلحاج بافضل، وهؤلاء من أهل القرن العاشر الهجري وهو في نظرنا القرن الذي شهدت فيه مدينة الشحر أزهى عصورها، علماً وثقافة واقتصاداً وسياسة، فهو عصر السلطان بدر بن عبد الله الكثيري الشهير بكنيته (أبو طويرق) وهو أيضاً عصر البرتغاليين ونشاطهم المحموم لامتلاك تجارة الشرق، وفيه حدثت قصة تأديب مدينة الشحر وأهلها من قبل البرتغاليين المتمثل في ذلك الهجوم الغاشم الذي ذهب ضحيته استشهاد تسعمائة وسبعة وعشرين شهيداً منهم قادتهم السبعة الذين عرفوا بالشهداء السبعة. (نظر كتاب الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف الشهداء السبعة).

وفي هذه الفترة عاش أيضاً الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة المشهور بالشافعي الصغير، وكذلك الفقيه محمد عمر بحرق وغيرهم، ولكني أفضل الحديث عنهم في نهاية حديثنا عن مسجد الجامع.

لكن علي أن أقف طويلاً احتراماً للقاضي الشيخ ابن عبسين الذي استطاع أن يخرج وقف مسجد الجامع من يد الدولة، ولا أظن إلا أنه أخرج الوقف عن مساجد الشحر كلها من يد الدولة وكأنه أسس من ذلك الوقت مؤسسة للأوقاف، وودت لو يأتي من يرتب أمر الأوقاف فقد تهدمت وتعطلت وانطمس الكثير منها منذ أيام إدارة الإسكان وتأميم المساكن، واحتل بعض الأفراد أوقاف المساجد واستحلى بعضهم واستملح رأي إدارة الإسكان بإهداء هذه الأوقاف لهم بعد أن جعلها بأيسر الإيجارات وغير ملزمة للمستأجر الصيانة ثم ملكهم إياها، لكن سيقيض لاحقاً وقريباً شخصاً كالقاضي ابن عبسين لفعل الجميل.

وفي عام ٩٣٤هـ (١٥٣٧م) قام كل من الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الفقيه مولى عيديد والقاضي الشيخ إسماعيل الكرعمي بتوسيع بناية الجامع من الناحيتين الشرقية والشمالية وزادا عدد جوابيه وأضافا إليه جناح النساء.

إن إضافة جناح للنساء بمسجد الجامع يدل على أن الجامع في هذا الزمن ـ أي زمن الإضافة ـ قد أصبح مسجداً للفروض علاوة على صفته بالجامع، ويعني أن الصلوات جميعها تقام به كما هو الآن وأن المساجد الصغيرة التي كانت حول المسجد قد اندرست أو كادت، وسوف نفرد الفصل السادس من هذا الكتاب ونجعله خاصاً بتلك المساجد، والتي ربما

نشأت في وقت عطلت فيه الجمعة في الأيام التي كان المذهب الأباضي مستفحلاً في هذه المنطقة والمدينة.

في عام ٢٢٠هـ (١٨٠٥م) أعاد عمارة الجامع ووسع رقعته التاجر الثري والوجيه الشيخ حسين بن محمد بن سهل وهو الثري المشهور وصاحب العملة المعروفة بعملة بن سهل التريمية وكسورها، وقد توفي هذا الشيخ بالشحر عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م) وابن سهل هذا هو الذي أقام منارة الجامع التي اشتهرت بارتفاعها الشاهق، لكن في عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) خيف على تلك المنارة من التهديم لأنها كانت مبنية من الطين، فهدمت بعد أن تأثرت بالرطوبة ولكن أعيد بناؤها على ارتفاع قريب وذلك على يد حاكم الشحر أو كما يقال له في ذلك الوقت النائب أحمد عمر باصرة المتوفى بالمكلا في ٨ ربيع الأول ١٣٩١هـ الموافق ١٤/ ١/ ١٩٨١م.

ومما هو جدير بالذكر أن ابن سهل هذا أقام أخيراً بالشحر وتوفي بها، بعد أن ساءه تصرف بعض الحكام في مدينة تريم مسقط رأسه وكانت تحت ما يعرف بحكام الطوائف اليافعية، رغم ما يقدمه هذا الثري من خدمات كبيرة أتت في مصلحة الناس والحكام أيضاً ومنها ضرب العملة المشهورة وخاصة كسورها الحرف الصغير والحرف الكبير وكسورها التي سهلت للناس التعامل والبيع والشراء، ذكر لنا ذلك الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف رحمه الله، وأشار أنه لم يكن يستفيد من ضربه هذه العملة ولكنه ضربها لله وفي الله، ورغم ذلك فقد أوذي في حاله وماله فاستوطن الشحر، ولم تكن في ذلك الوقت بأحسن حالاً ولكنها كما يقال أهون الشرين.

ونحن في الشحر يحسن بنا أن نشكر هذا الثري المحسن الذي بعد أن جدد عمارة الجامع قام بصيانة بعض المساجد وبنى منارة مسجد شيخ العيدروس بحي عقل باعوين، ومنارة مسجد علي بن أحمد عيديد بحافة عيديد بحي عقل باعوين أيضاً، وإذا كانت منارة العيدروس قد تغير الجزء العلوي منها بعد أن تهدم، فإن شكل منارة عيديد لا زالت كما بناها ابن سهل ومثلها منارة الجامع ومنارة العيدروس، وكان أن أضاف الجزء العلوي من منارة العيدروس الشيخ أحمد عوض حمود ـ غفر الله له ـ.

ونحن في حقيقة الأمر نعلم من خلال اطلاعنا أن المؤرخ الشاعر والأديب عبد الله محمد باحسن الوحيد الذي أفرد باباً من كتابه (النفحات المسكية من أخبار الشحر المحمية) عن مساجد مدينة الشحر وهو الباب الثاني من ذلك الكتاب المخطوط الذي صدر محققاً في عام ٢٠١٠م من تحقيق محمد عبد النور، ولو أنه أصغر أبواب الكتاب وفيه يقول: (نذكر فيه مساجدها العامرة والتنبيه على المندرسة منها والداثرة مع بيان ما في بعضها من خصوصة أو فضلة) وعندما جاء على ذكر مسجد الجامع قال: (هو بحارة القرية، جدد عمارته سيدنا الحسين بن عبد الرحمن بن سهل وربما زاد في توسعته، وهو يشتمل على مائة وأربعين اسطوانة وهي ما يعرف عندنا بالسارية، وبين كل اسطوانة وأخواتها نحو خمسة أدرع وهو بكامل العمارة وغاية الإحكام، ومنه إلى الجانب الشرقي مسجد وقد اندرس ومسجد آخر بناحية الجامع قريباً من البحر وقد اندرس ومن الجامع أيضاً إلى الجانب البحري أي شمالاً بيت الوقف للفقراء والمساكين والمنقطعين وقد انهدم).

هكذا جاء وصف المؤرخ باحسن للجامع في زمنه قائلاً وهو بكامل العمارة وكان باحسن قد انتهى من تحبير كتابه في شهر محرم ١٣٢٢هـ الموافق شهر ديسمبر ١٩١٣م وتوفي رحمه الله بعد ثلاثة وعشرين سنة من ذلك أي في عام ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٨م.

ونحن نستطيع الإضافة إلى المساجد المحيطة بالجامع معتمدين على كتاب الشهداء السبعة حيث يقول مؤلفه الأستاذ بامطرف: إنه بالقرب من الجامع أيضاً مسجد الشيخ عبد الله بن يعقوب المعروف بين أهل الشحر بمول المحطة الذي أصبح مزاراً وقد قيل لنا إنه سمي بمول المحطة لأن القوافل كانت تحط عنده أو بالقرب من مكانه.

وبالإشارة إلى المساجد المحيطة بالجامع فإننا نتذكر ما جاء في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أمر نائبه أبا موسى الأشعري وكان على البصرة أن يتخذ مسجد للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى المسجد الجامع وكتب مثل ذلك إلى سعد بن أبي وقاص وكان على الكوفة ولعمرو بن العاص وكان على مصر.

ولقد كان الناس هنا وفي كل بلاد المسلمين متمسكين بهذه الطريقة، فكان في الشحر مثله جامع واحد للجميع ومساجد حوله قريبة وبعيدة منه للصلاة اليومية، ونحن نعتقد أن الجامع بالشحر قد أدى دوره كاملاً بمثل الجوامع لكننا نلاحظ أن المساجد المحيطة به قد اندثرت ولم يعد لها وجود ولا أثر غير واحد وهو الذي أصبح مزاراً.

ومن ملاحظاتنا لقائمة المساجد العامرة البناء أيام أحداث الغزو البرتغالي على الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) أن مسجدين بالقرية أي بحي القرية لا يعرف مكانهما الآن وهما

مسجد الشيخ عبد الرحمن بن مزروع ومسجد الشيخ عبد الله بن أحمد باسرومي، وسوف نأتي على ذكرهما وغيرهما في الفصل السادس من هذا الكتاب، أيضاً نقرأ في وثيقة بيع لبيت لآل بصعر الأثرياء في ذلك الزمان والمجاورين لمسجد الجامع من الناحية الشرقية، نجد إشارة لمسجد يحد البيت من الجنوب أي جهة البحر ولما تمكنا من الاطلاع على الوثيقة وجدنا أن المسجد يقع بعد الطريق إلى جهة البحر وهو مسجد يعرف بمسجد (بن علوي). ومن ملاحظاتنا أيضاً أن هناك مساحة وسط حي القرية وهي التي تقع إلى الشرق من بيت شريف ناصر باناصر وإلى الغرب من مساكن آل عماني وآل الصيعري وإلى الجنوب من بيت آل اليافعي وآل بالليل، في هذه البقعة ربما يكون أحد المسجدين الضائعة مكانهما، بامزروع أو باسرومي وقل مثل ذلك في المسجد الذي على البحر أو قريباً منه.

ولقد كان آخر تجديد لعمارة مسجد الجامع في عهد السلطنة القعيطية، حيث أعيد البناء من جديد من أساساته بالحجارة والأسمنت المسلح فكان بناءً حديثاً قوياً وزود بالماء العذب للشرب والنور الكهربائي والمراوح الكهربائية، وكان ذلك التجديد بإشراف حاكم الشحر النائب آنذاك الشيخ علي محفوظ بن بريك المتوفى بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية في عام ١٩٨١م، وقاضيها الشيخ عبد القادر محمد العماري المتوفي بعاصمة قطر في ٢٥ مارس ٢٠٢١م، وقد استغرق البناء أكثر من سنة كاملة ولهذا وزع الناس لصلاة الجمعة أثناء البناء على خمسة مساجد وهي: جمعة بمسجد مدرسة الشيخ ناصر بالسوق ويخطب الناس فيه خطيب الجامع الأساسي الشيخ عوض أحمد باحميش، وصلاة جمعة بمسجد مرشد بحافة الجزيرة ويخطب المصلين فيه الشيخ سالم سعيد باقلاقل، وصلاة جمعة بمسجد عمرو ويخطب

المصلين فيه الشيخ حامد يسر اليزيدي، وصلاة جمعة بمسجد العيدروس بحي باعوين ويخطب المصلين فيه الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي، وصلاة جمعة بمسجد النور بالمحط (حي الثورة) ويخطب المصلين فيه الشيخ سالم خميس حبليل رحمهم الله جميعاً. وهذه المساجد كلها داخل سور المدينة ما عدا مسجد النور بالمحط وهو حي خارج سور المدينة.

ولقد عاد الناس إلى مسجدهم الجامع في رمضان عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) واستمر إلى يومنا هذا.

وعلينا ملاحظة أن خطيب مسجد العيدروس بحي عقل باعوين في الفترة التي توقفت صلاة الجمعة بمسجد الجامع للبناء والتجديد، كان الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي ولكنه لم يستمر، صحيح أنه هو الذي بدأ ولكنه كلف عنه أو أن الدولة عينت الشيخ سعيد سالم بن داؤود معلم مسجد الديني بافضل، فقد خطب المصلين للجمعة طوال المدة التي استمرت فيه عملية إعادة بناء مسجد الجامع، أي أنه خطيب مسجد العيدروس. والملاحظ أيضاً أن الشيخ الملاحي ظل مشاركاً لكل هؤلاء حيث ينوب عن أي منهم إذا ذهب في مهمة خارج المدينة أو أصيب بوعكة صحية، واستمر الحال على هذا المنوال حتى عاد المصلون من أهل الشحر إلى مسجدهم جامع الشحر وألغيت صلاة الجمعة في جميع المساجد المتفرقة إلا مسجد النور بخارج السور بحي المحط، فقد استمرت الجمعة فيه ويخطب المصلين الشيخ سالم خميس حبليل حتى تحول إلى جامع الشحر بعد مرض ووفاة الشيخ عوض أحمد باحميش، وعين بمسجد النور أستاذي الشيخ فرج أحمد بن نويصر حتى خلفه الشيخ عباس حامد الحداد المتوفى في ٥/ ٥/ ٢٠٠٤م رحم الله الجميع.

أما مسجد الجامع فخطب المصلين فيه الشيخ عوض عمر خريص الذي خلف الشيخ حبليل وتوفي رحمه الله ١٥ مايو ٢٠١٢م ثم آلت خطبة الجمعة بمسجد جامع الشحر لأحدهم من آل الخطيب من مدينة تريم لفترة زمنية قصيرة ثم خلف الجميع الشيخ ياسر محمد عبد الله باعباد منذ يوم الجمعة ١١ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٩٩م وهو الخطيب الحالي وهو من مواليد مدينة الشحر، وهو رجل مستقيم معتدل في نشاطه الديني والفكري والاجتماعي، وهكذا يجمع عليه أهل مدينة الشحر وأنا منهم ومعهم.

ونحن هنا لا نود أن نسترسل في ذكر من عرف من الرجال الذين خطبوا المصلين بمسجد جامع الشحر وربما قد مر ذكر بعضهم معنا فيما سبق، والشيخ المؤرخ خميس كرامة حمدان ذكر عدداً منهم في صفحة (١٣٠) من كتابه حديث الصدور الذي صدر تحت عنوان (الشحر عبر التاريخ) وفيها يقول: وفيما يلي بيان خطباء جامع مسجد الشحر إلى القرن الرابع عشر الهجري. ورغم أنه بدأ بذكر الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل المتوفى ٩١٨هـ (١٥١٢م) فقد قال إلى القرن الرابع عشر الهجري وذكر منهم أربعة عشر خطيباً فقط، ولو جاء عنوان هذه الفقرة (بيان بعض خطباء جامع الشحر) لكان الكلام صحيحاً.

ولقد اهتم الأهالي هنا بمدينة الشحر وغيرها من التجار الحضارمة في مهاجرهم بإفريقيا وآسيا بأمر مسجد الجامع وخاصة بفرش المسجد، وكان قبل ذلك الزمان والقريب منه يعتمد فرش المسجد اعتماداً رئيسياً على الحصر والسجاجيد الخوصية التي تنسج يدوياً حيث أن هناك مصانع صغيرة لحياكتها من سعف النخيل وخوصه وأنواع الخوص المختلفة، ولما كان الجامع قريب من البحر تتعرض فرشه وجدرانه للرطوبة والملوحة الزائدة المفرطة فتؤدي إلى

تلف تلك المفروشات وتقصر عمرها، ولكن في الأعوام الأخيرة التي تلت الخمسينيات من القرن الماضي اختلفت هذه الفرش، فقد تقدمت صناعات السجاجيد وكثر إنتاجها ورخص ثمنها وإلى المعقول، ففي فاتحة شعبان من عام ١٣٧٧هـ التي توافق فبراير ١٩٥٨م وصلت لجامع الشحر هدية ثمينة وهي إحدى وسبعين قطيفة فرشاً للمسجد، وقد حدث هذا لأول مرة وهو أن يفرش بهذا الفرش الناعم والجميل والوثير، وكانت تلك الهدية على يد الشيخ عبيد باشعيب رحمه الله وكان قد جلبها من مدينة جدة وهي في الأصل هدية من بعض التجار الحضارمة من أمثال: باخشب وبادحدح وبقشان وبغلف وغيرهم، ولا علم لي بالآخرين، ولا يضرهم ذلك فحقهم مسجل عند الله سبحانه.

وكلها وقف على مسجد جامع الشحر، ومن المؤسف جداً أن يعتقل هذا الشيخ الجليل باشعيب بتهمة العمالة والارتزاق يوم الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ الموافق ١٨/ ٣/ ١٩٦٦م والحكم ظاهراً بأن الشيخ باشعيب رجل خير وبركة ويديه تمتد فيه طويلاً، وهو من أهل مدينة تريم وإن كان كما يقال أن آل باشعيب من سكان قرية (الواسطة) في شرق تريم، وكانت الطفرة التجارية في المملكة العربية السعودية هي من عائدات النفط التي جعلت كثيراً من التجار يمدون أياديهم في الفضل إلى أقصاها، وقد وجدوا في الشيخ عبيد (عبد الله) باشعيب ضالتهم لكن هنا من أساء الظن فيه وخاصة هنا في الشحر وربما في غيرها، دون تحري الدقة والتحقق، ذلك بعد أن أوشك على الانتهاء من بناء مسجد الأوابين بحي المحط (حي الثورة) فيما بعد السبعينات فدعوه (بمسجد الرابطة) على أثر التهم التي توجه لهذا الحزب باعتباره ضليعاً في العمالة والارتزاق، غفر الله لهذا الرجل الشهم الذي

استمر في أدائه للخير غير مبالٍ لما يقال عنه وعن اتجاهه، سامح الله من تجنّى عليه وآجر الله باشعيب فيما ارتكب في حقه.

وزادت الصدقات على مسجد الجامع، ومن وسائل مختلفة كالمصاحف وكتب الأدعية والبحوث في المجالات الدينية والفرش المتنوعة كالسجاجيد الفردية والسجاجيد الكبيرة والمطوية علاوة على وسائل الإنارة والتهوية، ولكنها صدقات جزئية لقيت أكثر المساجد بالشحر وغيرها نصيباً منها، وهي في حالة الجامع مجزأة لم تكفِ لعلاج الرطوبة التي أثرت على الجدران والأبواب والسرج والمراوح والمصنوعات الحديدية.

وفي رمضان من عام ١٤١٦هـ (فبراير ١٩٩٦م) زار المسجد رئيس الجمهورية السابق علي عبد الله صالح وصلى فيه الجمعة وتفقد أجزاءه وطاف بها وطرح عدة أسئلة تدل على أنه كان يعرف شيئاً عن المسجد وقدمه، ثم قدم بعد صلاة الجمعة مبلغ ستة ملايين ريال يمني وكان هذا المبلغ في ذلك العام له أبلغ الأثر في ترميم المسجد جميعه كترميم الجدران والأرضية وتغطيتها بالبلاط والسيراميك وتجديد وسائل الإنارة واستبدال آلات التهوية وطلاء الجدران والسقوف وسقف الشمسية وتزيينها بالنوافذ التي أعطت المسجد الضوء والتهوية، كما وسع القسم الخاص بالصلاة اليومية كما جدد بعض الأبواب وأقيمت المداخل المسقوفة التي زينت بالقباب الجميلة، هذا وقد وعد لجنة المسجد بأنه بعد إتمام أمر الصيانة والترميم سوف يقوم بنفسه بفرش المسجد على العموم وفعلاً تم ذلك، وما الفُرُش الذي يملأ مسجد الجامع اليوم إلا من ذلك الوعد المنجز الذي قطعه الرئيس على نفسه وتم تنفيذه لاحقاً.

لقد استعاد مسجد الجامع مكانته في المساجد الجديدة والمجددة ليؤدي دوره كما كان عليه إن شاء الله تعالى إن لنا في رسول الله أسوة حسنة فما إن نزل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة إلا والتفكير جارٍ على بناء مسجده بها.

وبعد مضي أسبوعين باشر في بنائه الذي دامت فيه حركة البناء سبعة أشهر لكننا هنا نهتم بدور المسجد التعليمي التثقيفي الذي سوف ينعكس بدوره على أدوار مساجد الإسلام في أرجاء المعمورة ومنها مسجد جامع الشحر الذي نركز عليه هنا على أن الهدف الأساسي هو دور المسجد منذ تأسيس أول مسجد في الإسلام وحتى الساعة ولقد أشار الأستاذ نجيب سعيد باوزير عند الحديث عن والده المؤرخ سعيد عوض وكان أيضاً أديباً وفقيهاً: (إن صلاح المسجد كفيل بإصلاح المجتمع) وهو ما جاء في مقال للمؤرخ عن دور المسجد الذي يكمن في مؤهلات وكفاءات القائمين على أمور المسجد.

ونحن إذا عدنا للحديث عن المسجد النبوي للمدينة المنورة فإن حديثنا في الحقيقة عن المدرسة الأولى للتربية الإسلامية والثقافة الدينية، إذ كانت تعقد به حلقات الدرس القرآني والتربية النبوية في ساحاته وبالإجماع فقد كان المسجد النبوي مصدر الإشعاع العلمي الأول وكان الجامعة التي يلتقي فيها جميع الأجناس والقوميات ومنذ فتح مكة والمسجد الحرام مدرسة للعلم فقد رحل النبي صلى الله عليه وسلم عائداً للمدينة تاركاً معاذ بن جبل فيها يعلم الناس قواعد دينهم في المسجد الحرام، ومعاذ هذا أنصاري خزرجي ووعاء من أوعية العلم بل جبل من جباله وقد أوفده النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وحضرموت معلماً وقاضياً إذ كان أعلم الصحابة بالحلال والحرام ومن أشدهم حفظاً للقرآن وقد زودهم

بنصائح علمية وخلقية من نفس طيبة فزكت ونمت وآتت أكلها الشهي حسب عبارة محمد رجب بيومي في كتابه (مجالس العلم في حرم المسجد).

ولقد جاءت أخبار الصحابي معاذ بن جبل في الجزء السادس من كتاب البداية والنهاية لابن كثير الذي جاء فيه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين اليمن وحضرموت يتنقل من بلد إلى بلد ذكره سيف بن عمر وذلك كله في سنة عشر وآخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فبينما هم على ذلك إذ نجم هذا اللعين الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب بن غوث من بلد يقال له كهف ضان، في سبعمائة مقاتل وكتب إلى عمال النبي صلى الله عليه وسلم أيها المتمردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه، ثم ركب فتوجه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليال من مخرجه ثم قصد صنعاء فخرج إليه شهر بن باذان فتقاتلا فغلبه الأسود وقتله وكسر جيشه من الأبناء واحتل بلدة صنعاء لخمس وعشرين ليلة من مخرجه، ففر معاذ بن جبل من هناك واجتاز بأبي موسى الأشعري فذهبا إلى حضرموت.

وفي كتاب طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي ذكر مثل ذلك، وأضاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: انطلق يا معاذ وأحسن في القوم ذكرا وكن لطيفاً، فأقام معاذ بين أظهر أهل اليمن اثني عشر شهراً وأياماً... وقال: وكان معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين اليمن وحضرموت، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم فكان ينتقل في عماله من عامل إلى عامل في اليمن وحضرموت.

ولقد أتم معاذ مهمته في تلك المدة وختمها في خلافة أبي بكر الصديق خليفة المسلمين رضي الله عنه بعد أن استفحل أمر الأسود العنسي كما سنشير إليه لاحقاً.

إننا نستطيع القول أن معاذ بن جبل الصحابي الجليل كان أول معلم للإسلام في حضرموت، ولا بد أن يكون له تلاميذ هنا في حضرموت تابعوا مهمته التي من أجلها أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه البقعة الطيبة إن شاء الله ولا بد أن يكونوا خيراً وبركة، فقد ذكر أن أصحاب معاذ رضي الله عنه الذين تعلموا منه باليمن وحضرموت قبل تحولهم إلى الكوفة كانوا المقدمين في الفقه والعلم والحلال والحرام.

وفيما مضى تجنبنا هذا القول عن عدم علمنا بوجود مساجد في كل من مدينة تريم ومدينة شبام رغم وجود عامل الرسول صلى الله عليه وسلم زياد بن لبيد البياضي في كلا المدينتين القريبتين من بعض، وأنه قد سكن فيهما، وأشرنا بداهةً بأنه لا بد أن يكون هو أو غيره من حضرموت قد ابتنى مسجداً قدرنا شكله بأنه لا بد أن يشبه مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم من جذوع النخيل وسعفها وجريدها وليفها، واعتذرنا عن عدم وجود مراجع نستند إليها في إثبات مسجد أو أكثر في تلك الفترة الأولى من إسلام أهل حضرموت، وقلنا أيضاً أنه ربما لم يسجل أو يكتب أحد أخبار هذه الفترة، وربما ضاع ما كتب وفقد، لكننا لن نتعرض لنفس الحرج إذا سئلنا عن تاريخ مسجد جامع الشحر، فقد كان مرجعنا الأساسي هو كتاب (الشهداء السبعة) للأستاذ محمد عبد القادر بامطرف الذي يقول: (في السنة العاشرة الهجرية اعتنق أهالي حضرموت ومنهم أهل الشحر بطبيعة الحال... وأقام حكام الشحر من قبيلة كندة مسجد الجامع العامر بناؤه إلى اليوم ولعله من أقدم المساجد اليمنية) هكذا، وليس لدينا

مراجع أخرى على الأقل إلى اليوم ثم إن الأستاذ دائماً ما يخفي مصادره ولا يكتبها في البعض من كتبه أو أبحاثه لهذا ظللنا نبحث في أضابير التاريخ لعلنا نجد حلاً أو أمراً مقنعاً ـ حتى لو استند إلى المنطق ـ ومن كتب حجة على من لم يكتب.

لقد ذكر الأستاذ بامطرف في آخر كتابه (الشهداء السبعة) قوله: (تلك حوادث قليلة، ولكنها دالة، اقتطفناها من عشرات الحوادث المماثلة من سجلات المؤرخين باسباع وبامخرمة وباسخلة وبافقيه وبن حميد) ص٨٨.

ومع أنه لم يفدنا أحد بأن زياد بن لبيد عامل الرسول صلى الله عليه وسلم بحضرموت قد زار الشحر أو الساحل، بل إن الإفادة تقول بأنه تارة يقيم في تريم وأخرى بشبام، فإن وائل بن حجر وهو من عرف بأمير الشاطئ، وهو الصحابي الجليل والذي يعد من رواة الحديث الثقات قد أقره النبي صلى الله عليه وسلم على إمارته بعد إسلامه في كل من تريم وشبام والشحر، لكن القول بأن (حكام الشحر من قبيلة كندة) وعبارة (أنشأت كهلان كندة محلتها التي عرفت منذ القدم باسم القرية على ساحل مدينة الشحر) صرف عنا القول الذي نستطيع قوله عن الجامع وقدمه، وعلاوة على هذا لم نيأس في سبيل بحثنا فقد وجدنا ما كتبه أحمد عبد الله الرازي في كتابه (تاريخ صنعاء) وفيه يقول ذاكراً ما جاء على لسان أحد تلاميذ معاذ بن جبل مؤكداً ذلك حيث يقول: (قال عبد الرحمن بن سابط بن عمر بن ميمون الأودي قدم علينا معاذ بن جبل من الشحر رافعاً صوته بالتكبير، رجل حسن الصوت، فما فارقته حتى حثوت عليه التراب ميتاً) فقد مات معاذ رضي الله عنه في طاعون عمواس بناحية الأردن سنة

اثني عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أو ست وثلاثين سنة في رواية أخرى، وعبد الرحمن هذا من قبيلة أود اليمنية.

وإذا كنا لا نستطيع أن نحدد موقع الشحر ولا ندري ما هي هذه الشحر التي قدم منها معاذ رضي الله عنه حيث إن الشحر ساحل طويل، لكننا نعتقد أنه طاف في أكثر من مكان في هذا الساحل المعروف بالشحر، ولا بد أن يكون قد زار هذه البقعة المباركة إن شاء الله المعروفة اليوم بالشحر، والتي أقيم بها أول مسجد بحضرموت وهو جامع الشحر الحالي.

إذ أن هذه البقعة آهلة بالسكان كما يقول المؤرخون، حيث أقامت قبيلة كهلان كندة محلها هناك ثم إن فرعاً آخر من كندة وهم السكاسك قد اختاروا جزءاً من المشقاص ـ وهو شرق مدينة الشحرـ ليسكنوه وقد تزوج معاذ رضي الله عنه منهم.

إن دور مسجد الجامع لن يخرج عن دور أي جامع ومسجد في مختلف بقاع العالم الإسلامي، لكن تاريخ حضرموت كله مفقود المصادر ويكتنفه الغموض فنحن لا ندري كيف كان حال حضرموت في تلك الفترة، ويحق لنا أن نسأل كيف كان حال جامع الشحر في الفترة الأباضية، وخاصة بشروط الجمعة عندهم حيث لا تصلى في القرى والبلدان الصغيرة.

وحتى العلماء الذين أوردهم كل من ابن سمرة الجعدي في كتاب (طبقات فقهاء اليمن) والجندي السكسكي في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك) لا تجيب عن أسئلتنا عن دور الجامع إلا في إشارات مقتضبة، كابن السبتي وهو الفقيه أحمد بن محمد بن يحيى السبتي المذكور في أصحاب الإمام القلعي السني، وهو الذي قيل عنه أنه خطيب الجامع الذي توفي

سنة ٧١٢هـ وقد كان خطيباً مصقعاً، وابن أخيه الخطيب الذي خلفه وهو أبو بكر السبتي الذي تفقه على أخيه وخاله محمد سعيد بن أبي شكيل، وبعده الخطيب محمد أحمد محمد وكان يكنى بأبي أسد وكان في ذلك اليوم مدرس البلد وفقيهها.

لقد رأينا فيما سبق كيف أن كتب التاريخ لم تكتب عن فترة طويلة من تاريخ حضرموت، وربما كانت مفقودة، وهي السبب في قلة المعلومات عنها فيما بين القرن الثاني والقرن السادس الهجريين، وتعتبر فترة غامضة ونظن أن هذا السبب الذي جعل المؤرخ أحمد شنبل يبدأ كتابه في تاريخ حضرموت من أول القرن السادس الهجري ويحتوي ما سجله في كتابه هذا ما بين ٥٠١هـ إلى ٩٢٠هـ وهو عام وفاته، وهناك من يرى أن اللاحقون طمسوا ما تركه السابقون لأسباب نجهلها، والمؤرخ شنبل لم يذكر شيئاً عن جامع الشحر مع أنه عاش فترة في مدينة الشحر وأنجب ابنته فاطمة سنة ٨٩٦هـ فيها، وقد ذكر ما يقرب من عشرين مسجداً وجامعاً بحضرموت، ولم يذكر واحد من مساجد الشحر غير الإشارة إلى وفاة خطيب الشحر جمال الدين محمد أحمد السبتي سنة ٧٨٢هـ.

لكن كتب أخرى تفيدنا في مواضع متفرقة ما كانت عليه مدينة الشحر منذ القرن السادس وحتى التاسع من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة الأوضاع الثقافية والتربوية الإسلامية وانتشار المدارس والأربطة التعليمية.

وأشارت هذه المراجع إلى الشيخ سعد الدين الظفاري وإلى تلميذه سعيد عمر بلحاف والفقيه التربوي الشيخ أحمد باجوبان صاحب رباط باجوبان التعليمي، ولكل من هؤلاء الثلاثة مسجد بالشحر، ثم إن جهابذة في علوم الدين والتصوف تلقوا دراساتهم هنا في

الشحر، أمثال الشيخ عمر بن عبد الرحمن السقاف الشهير بلقبه (المحضار) وابن أخيه عبد الله بن أبي بكر الشهير بالعيدروس، حيث انتشرت المدارس التي كانت تعرف بالزوايا، والتي يقوم بالتدريس بها فقهاء من آل باهراوة وآل باعشير وآل باعديلة وآل بابهير وآل باعامر وآل بافضل وغيرهم، ونحن لا نستطع هنا أن نذكرهم بالتفصيل وهذه مدونة في مظانها، وإذا نظرنا إلى قائمة مجددي عمارة مسجد الجامع في تلك الفترة نجد منهم الأمير والتاجر وبجانبهم الفقيه عبد الله بادخار والفقيه المحدث الشيخ أحمد بن قضيمتي والقاضي الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبسين، علاوة على ذكر بعض أصحاب الفتاوى وبعض القضاة.

وقد وصلت أخبار مدينة الشحر ونشاطها الفقهي والتعليمي إلى جهات بعيدة، فشدت إليها الرحال وزارها عدد من العلماء والفقهاء ومكثوا بها أزماناً اختلفت مددها، ومنهم من فضل الإقامة فيها منهم الفقيه المؤرخ الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفي بمكة سنة ٧٦٨هـ (١٣٦٦م) حيث أقام بالشحر فترة أشاد فيها مسجده العامر بناؤه إلى اليوم، وقعد بها زمناً للتدريس بمسجده، وهو الذي يعرف اليوم بقبة بن مزروع، وقد زار الشحر أيضاً ابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله وأقام بها للتدريس وينسب إليه البيتين:

مررت بوادي حضرموت مسلماً فألفيته بالبشر مبتسماً رحبا
وألفيت فيه من جهابذة العلا أكابر لا يلقون شرقاً ولا غربا

وتوجه إليها الشيخ فضل بن عبد الله بافضل وفضّل سكناها، وأشاد بها مسجده المعروف باسمه وفضلها على غيرها حتى وفاته عام ٨٠٥هـ (١٤٠٢م) وكان يلقب بأبي العباس لأنه كما يقال يتشبه بعبد الله بن عباس في الورع والتواضع والعلم وإذا كان حال

الشيخ هكذا فلا مكان لما نعته به عبد الله باحسن استحقاراً، وقد ورد هذا في ترجمته التي جاءت في كتاب الشيخ أحمد الشرجي الزبيدي الذي أسماه (طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص) أن الرجل أقصد بافضل لن يكون له في العلم أدنى نصيب إذا رضي هو لنفسه بذلك المكان الخاص بقاذورات وفضلات الإنسان أياً كان نسبه وما هكذا يكون التواضع، ثم ماذا عن أي مسلم يرفض قول الله تعالى المتكرر في قرآنه العزيز (ولقد كرمنا بني آدم) وربما نعود لذلك عند ذكر مسجده لاحقاً.

وما إن يهل القرن العاشر الهجري إلا ونجد كتب التاريخ تكثر من ذكر جامع الشحر وما يعتمل فيه وفي المدينة كلها من نشاطات مختلفة، وهي على أي حال كتب تؤرخ لهذا القرن أمثال تاريخ الشيخ عبد الله محمد باسخلة الذي طبع بعد تحقيقه في العام الماضي، وتاريخ الشيخ عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال الذي أعطى كتابه عنوان (الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر) وكان هذا الشيخ قد مكث فترة بالشحر يدرس بالمدرسة البدرية التي أنشأها السلطان بدر بن عبد الله أبو طويرق.

هذا إضافة إلى كتاب الشيخ عبد القادر العيدروس الذي وضع كتابه الشهير جداً تحت عنوان (النور السافر عن أخبار القرن العاشر) وقد ذيله الشيخ محمد الشلي بكتاب اختار عنوانه (السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر) والذي صدر أخيراً عام ٢٠٠٤م.

ونحن في ختام ما كتبناه عن مسجد الجامع نقول معتذرين عن أي تقصير وقع منا ونعتقد أن ما قدمناه يفيد ولم يكن مجرد كلام تذروه الرياح، ولكني وأيم الله قد بذلت ما أستطيع

لأقدم ما جمعت عن مسجد الجامع بمدينتي الشحر الذي قلنا في أول هذا الكتاب أنه من أوائل المساجد التي بنيت في عهد النبوة في اليمن كلها.

ولقد تابعنا تاريخ هذا الجامع منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا ولاحظنا أن تاريخ مسجد جامع الشحر لهو تاريخ مدينة الشحر حكاماً ومحكومين، وهو تاريخ هذه المدينة السياسي والاقتصادي والثقافي.

ولنضرب أمثلة على التاريخ السياسي مقتصرين على ذكر بعض الأحداث ومنها ما يلي: في سنة ٩٢٧هـ الموافق ١٥٢٠م كتب السلطان محمد بن عبد الكثيري رسالة إلى خطيب الجامع الشيخ محمد أحمد السبتي بأن يسقط اسمه من خطبة الجمعة وأن يخطب لأخيه بدر بن عبد الله الشهير بأبي طويرق. وفي يوم الخميس ٩ ربيع الآخر اتفق قادة مقاومة الغزو البرتغالي وهم الشهداء السبعة على أمور منها أن يتحدث في اليوم التالي الذي يصادف يوم الجمعة، فيتحدث الشيخ أحمد عبد الله بافضل أحد القادة السبعة إلى المصلين ويحثهم على المقاومة والدفاع عن وطنهم وأموالهم وأعراضهم وذلك قبل يوم واحد من ابتداء الغزو البرتغالي.

وفي يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ٩٣٣هـ الموافق ١٥٢٦م وصل إلى ميناء الشحر الأمير فرحان توماي من قبل الأمير سليمان الطوشي الذي حمل مرسومين وخلعتين لسلطان حضرموت أبو طويرق بدر بن عبد الله شرفه بها السلطان سليمان بن سليم القانوني، وقد عقد اجتماعاً عاماً بمسجد الجامع، فكان حفلاً مهيباً حيث قام الأمير فرحان أمام السلطان خطيباً عند تقديم المرسومين، ثم قام القاضي عبد الله عمر بامخرمة وقرأ المرسوم السلطاني وعند الانتهاء منه تكلم السلطان بدر بما معناه، أنه يرحب بالمرسوم ويرحب بأول رسول تركي ورد

إلى الشحر وأنه سيأمر في الجمعة القادمة بأن يخطب الخطباء في مملكته للسلطان سليمان، وجاءت الجمعة المشار إليها في ٢٤ ربيع الأول عام ٩٤٤هـ فكانت أول جمعة خطب فيها لسلطان آل عثمان بحضرموت.

وإذا انتقلنا إلى جانب آخر من الجوانب التي أواها جامع الشحر الذي نحن بصدد الكتابة عنه، والذي تتعلق بدور الفقهاء وعلماء الذين في إيصال التعليم الإسلامي وشرائع الإسلام السمحة إلى جموع الناس فلا بد من التركيز على الوعاظ والخطباء، فعلاوة على من ذكرتهم المصادر القديمة وهم الذين فرضوا أنفسهم على المؤرخين ولم يستطع هؤلاء أن يمروا دون ذكرهم، ومنهم من خلف لنا مشاركات في الفقه والحديث وغيرها من علوم الدين المتنوعة، ولا بأس علينا لو ذكرنا بعضهم وهم من اشتهروا بين الناس، كالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل وهو المولود بتريم عام ٨٥٠هـ والمتوفى بالشحر عام ٩١٨هـ الشهير بتأليف المقدمة الحضرمية في الفقه وتسمى بمختصر بافضل، وعليها عدة شروح وحواشي، وقد طلبه القاضي عبد الله محمد بن عبسين إلى الشحر وجعله معلماً وخطيباً بمسجد الجامع مع إمامة مسجد بن عمران، وقد افتتح أيضاً مدرسة بالحي الذي يسكنه وجعل ابنه الشهيد أحمد عبد الله معلما بها.

ومن العلماء أيضاً الشيخ عبد الله بن حاتم وهو من أهل الشحر وقد كان في تلك الأيام مفتياً لمدينة الشحر، والشيخ الفقيه أحمد محمد السبتي الذي خطب لأول مرة للسلطان أبو طويرق، والفقيه الشيخ سالم محمد بامعيبد القاضي صاحب مسجد بقشة وقد أوصى أن يقبر عند شيخه بغيل باوزير، وأيضاً الشيخ سعيد يعقوب برعية متولي التدريس والإمامة بالجامع،

كذلك الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة صاحب التأليف والشهير بالشافعي الصغير بجانب توليه القضاء والإفتاء بالمدينة، والفقيه الشيخ عبد الله بن عقيل بافضل الذي تولى القضاء بالشحر.

وفي تاريخ عبد الله محمد باحسن (النفحات المسكية) إشارات إلى القضاة وخطباء الجامع في الفترة الأخيرة، وذكر منهم عدداً من أحفاد الشيخ ابن إسماعيل السقاف المتوفى بالشحر والمقبور بجانب مسجده المعروف بشمال غرب الشحر، إضافة إلى الخطباء منهم والقضاة والعلماء.

الفصل الثاني

سوف نعتمد في هذا الفصل على قائمة المساجد التي جاءت في كتاب الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف (الشهداء السبعة) وتحت عنوان «وصف مدينة الشحر كما كانت سنة ٩٢٩هـ» أي ١٥٢٣م:

«وأما المساجد التي كانت عامرة في مدينة الشحر سنة ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) هي:

١ـ مسجد الجامع (بالقرية).

٢ـ مسجد عبد الله مولى المحطة (بالقرية).

٣ـ مسجد الشيخ سعد الدين الظفاري (بالمجرف).

٤ـ مسجد الشيخ فضل بن عبد الله بافضل (بالخور).

٥ـ مسجد الشيخ عمر المحضار السقاف (بحافة الخور).

٦ـ مسجد الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي (بالحور ـ الحوطة).

٧ـ مسجد الشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير (بالحور ـ الحوطة).

٨ـ مسجد الشيخ حسين باهراوة (باقرين) عقل باغريب.

٩ـ مسجد الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد باغريب (عقل باغريب).

١٠ـ مسجد الشيخ عبد الرحمن بن مزروع (القرية) مكانه لا يعرف الآن.

١١ـ مسجد الشيخ عبد الله بن أحمد باسرومي (القرية) مكانه لا يعرف الآن.

١٢ـ مسجد الشيخ إبراهيم الديني بافضل (عقل باعوين).

١٣ـ مسجد الشيخ أحمد بن عمران (عقل باعوين).

١٤ـ مسجد الشيخ محمد بن علي بازيراك (القرية).

١٥ـ مسجد الشيخ سعيد عمر بالحاف (بالمجرف).

١٦ـ مسجد الشيخ أحمد بن قضيمتي (عقل باغريب).

١٧ـ مسجد الشيخ عبد الرحيم سعيد باوزير (الحور ـ الحوطة).

١٨ـ مسجد الشيخ سيف الدين الكهالي (حافة القرية).

١٩ـ مسجد الشيخ أحمد بن عبد البارئ الغالبي (عقل باعوين).

٢٠ـ مسجد الشيخ عبد الله محمد باسبوعة (عقل باعوين).

٢١ـ مسجد الشيخ أحمد العتيق بن عبد الله الحاج بافضل (عقل باعوين).

٢٢ـ مسجد الشيخ أحمد بن جوبان (الرباط).

٢٣ـ مسجد الشيخ عمرو بن أحمد (عقل باعوين).

٢٤ـ مسجد الشيخ أحمد بن عمر الذيبي (باذيبب) (عقل باعوين).

٢٥ـ مسجد الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس (عقل باغريب)»

كل ذلك جاء في الصفحات ٤٧ ـ ٤٨ من الطبعة الثانية الصادرة في عام ١٩٨٣م عن دار الهمداني بعدن، وتزيد على ذلك القول:«والمساجد المرقمة (١) و (٧) و(٨) و (٢٢) و (٢٤) كانت بها مدارس قرآنية ملحقة بها وذلك إضافة إلى مدارس (كانت تعرف بالزوايا) تقدم دروساً في الفقه واللغة العربية كزاوية باغشير وباعامر وباعديلة وبابهير وباهارون» ص٤٩.

ويلاحظ انتشار موجة من التدين على طريق التصوف والتنافس بين بعض الأسر والفئات لترأس النشاط الديني وقيادته، وبإلقاء نظرة على القائمة نرى أن آل باوزير أسسوا أربعة مساجد وهي التي تحمل الأرقام (٢ و ٧ و ١٤ و ١٧) وهو الرقم الأكبر ويليهم في الترتيب آل بافضل ومساجدهم تحمل الأرقام (٤ و ١٢ و ٢١) ثم يليهم الشيخ سعد وتلاميذه ومساجدهم تحمل الأرقام (٣) و (١٥) و (٢٢) ثم المرتبة الرابعة وهي للعلويين ومساجدهم تحمل الأرقام (٥) و (٢٥) ولكنهم ساهموا في إعادة إعمار المسجد الجامع أو ترميمه على وجه الخصوص.

على أن هذا التنافس بين هذه الفئات نزل بهم إلى حد التنقيص والتقليل من دور الآخرين ونسبهم وكل ذلك من أجل أن يعلو شأنهم على الآخرين وهي مسألة عنصرية وكان للسياسة الدور الأكبر في إذكاء روحها وتنميتها ولنضرب أمثلة على ذلك: ففي تلك الفترة ادّعت كل فئة نسبها للأنبياء والصحابة فالعلويون قالوا إنهم من نسل علي بن أبي طالب وابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء، وآل باوزير قالوا نحن من أولاد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل العمودي قالوا إنهم بكريون وإن جدهم أبو بكر الصديق، وآل بامزاحم وآل باجابر ومعهم آل بن سلم وباكريت وبن صالح قالوا إن جدهم عقيل بن أبي طالب وآل الخطيب جدهم عباد بن بشر وهو صحابي استشهد يوم اليمامة ولا عقب له، والأنساب لا تكون إلا بالوثائق ولم تكن يوما بالمنامات والأحلام والوارد الوهبي والآراء.

والتنافس بين هذه الأسر والفئات جعل الأحاديث لا تخرج عن تكذيب هذه الادعاءات وتزكيتها بأنساب أخريات أو بالحديث عن قصص مختلقة كاذبة وتعدى ذلك إلى كتابتها في

مؤلفات لا تخرج عن الهدف الأكبر وهو التقليل من الآخرين كي يعلو كعبهم في النسب، وهذه أمثلة: فقد قيل لعبد الله بن علوي الحداد أن آل إسحاق يقولون أنهم ينسبون إلى إسحاق بن جعفر الصادق فقال لا يصح هذا النسب ونسب آل باحميد إلى حميد الطويل وهو فارسي يعرف باسم تروية في حين أنهم يقولون نحن ننسب إلى حميد الساعدي الخزرجي الأنصاري وقل مثل ذلك عند الآخرين.

وقد وضع الشيخ عبد الرحمن بن محمد العيدروس كتاباً أسماه (الدشتة) ونسب فيه آل باوزير جميعاً إلى البرامكة وقد رفض آل باوزير هذا النسب وسوف نتناول ذلك عند الحديث عن أول مسجد لهم بالشحر.

وسنتناول الأحاديث عن المساجد وأصحابها متتبعين قائمة الأستاذ بامطرف التي جاءت في كتابه الشهداء السبعة:

٢ـ مسجد الشيخ عبد الله مولى المحطة :

لقد تصدرت قائمة المساجد في عام ٩٢٩هـ بالشحر مسجد الجامع وقد أفردنا له فصلاً مستقلاً وهو الفصل الأول، ويحتل الرقم الثاني مسجد الشيخ عبد الله مول المحطة.

وقد ورد بهذا الاسم في تلك القائمة المذكورة، وتذكره وثائق اليزيدي باسم العارف بالله عبد الله بن يعقوب صاحب المحطة.

ولما كان مرجعنا الأساسي عند تناول هذا البحث عن مساجد مدينة الشحر وأصحابها الجزء الثاني من كتاب المؤرخ عبد الله محمد باحسن (النفحات المسكية في أخبار الشحر

المحمية) وإن أمانة النشر تقتضي أن أورد رأيه كاملاً ثم أعقبه مذكراً بآراء المخالفين، وكنت قد اتبعت نفس هذا الأسلوب وذكرت خلافاتي معه في كثير من المواضيع التي سترد معنا في هذا البحث.

جاء في النفحات المسكية للمؤرخ باحسن مايلي:

١ـ أن صاحب المسجد هو الشيخ الفاضل الإمام عفيف الدين عبد الله الشيرازي.

٢ـ أنهم اختلفوا في تسميته بصاحب المحطة، ويرجح القائلون بأن سوق ذلك الزمان تجاه حافة القرية ومحل قبره الآن وهناك كانت القوافل تحط عنده فلقب بذلك.

٣ـ أنه علوي النسب أصله من مدينة شيراز الفارسية وأنه تلقى هذه المعلومات ممن يثق به نقلاً عن العلامة عبد الله بن عمر بن يحيى، ويضيف بأنه قد بلغه تأييد الشيخ ابوبكر بن محمد بامطرف هذه المعلومة.

٤ـ ويستشهد باحسن ببيت شعر من قصيدة العلامة وجيه الدين عبد الرحمن باكثير ليؤيد رأي بن يحيى وبامطرف من أن الشيخ عبد الله مول المحطة شريف النسب شيرازي الأصل:

وشيخ شيراز القديم فإنه حصن حصين للأنام ومعقل

٥ـ وأنه الآن عليه قبة عامرة قائمة البناء مقصودة للزيارة، وفعل له الدولة المكرم علي بن ناجي في زيارته تابوتاً من العود.

٦ـ وينقض باحسن رأي آل باوزير ويعتبره كلام طويل الذيل بعيد المنزع أن يزعموا أنه ـ أي مولى المحطة ـ من أجدادهم ودخل في عمود نسبهم وقولهم أن الشيخ محمد صاحب عرف بن سالم بن عبد الله مولى المحطة المذكور هنا بن يعقوب صاحب المكلا ورفعهم النسب إلى سيدنا عبد الله بن العباس المطلبي.

٧ـ ويفيد أن هذا النسب قد قدره الشيخ الفاضل عبد الله بن عمر بن قبيله باوزير ويضيف بأنه غلط فيه من الأصل.

٨ـ ويصحح النسب بإرجاع نسبهم إلى البرامكة، ويؤكد رأيه بذكر مراجعه حيث يقول إنه رآه في بعض التعاليق، وهي بخط العلامة الشيخ الصالح بن أحمد بارضوان، قال فيه: (الحمد لله من خط الفقيه العلامة المحقق المدقق البارع في العلوم عبد الله بن أبي بكر باشعيب، قال: آل باوزير من بني برمك، منهم البرامكة أهل الكرم والفضل المذكورين في خلافة هارون الرشيد العباسي ا.هـ. نقلاً من خط المعلم عبد الرحمن بن أحمد باوزير، قال: (نقلت من خط الفقيه عبد الله باقشير) ثم يعلق باحسن قائلاً: وهو المستفاض المشهور.

٩ـ ثم يؤيد باحسن قول بعض آل باوزير ومن يصفهم بأنهم بعض الصلحاء، بقوله: (وهو عين الحق)، ويذكر هذا الرأي إن القائل (بأننا نحن من الشيخ محمد سالم صاحب عرف ومن يليه، يكفي نحن فخر)

١٠ـ ثم يترجم الشيخ عبد الله بن عمر بن قبيلة واضع نسب آل باوزير كما يرى، وبصورة مباشرة فيقول: «أنه شيخاً فاضلاً عنده طرف من العلم وكان مسموع الكلمة لدى الدولة

المكرم علي بن ناجي بن بريك، وهو من سكان الشحر وتوفي ودفن في تربة الشيخ عبد الله الشيرازي»

وهنا ملاحظة وهي أن باحسن لا يعرف تاريخ وفاة الشيخ بن قبيلة واضع نسب آل باوزير، حسب قوله، رغم أنه الوحيد أو أول من كتب عن تاريخ دويلة آل بريك التي حكمت (١٢٦٥ ـ ١٢٨٣هـ) (١٧٥١ ـ ١٨٦٦م) مدينة الشحر وأعمالها ولم تزد في توسعها على مدينة غيل باوزير رغم أنه يورد في نفس كتابه النفحات اثنين من أمراء آل بريك علي ناجي الأول الذي حكم ما بين (١١٩٣ـ ١٢٢٠هـ) (١٧٧٩ ـ ١٨٠٥م) وعلي ناجي الثاني وحكم ما بين (١٢٤٣ ـ ١٢٨٣هـ) (١٨٢٨ـ ١٨٦٦م) حيث طرده آل كثير من الشحر عندما استولوا عليها ولمدة سبعة أشهر ثم طردهم على آخرها السلطان عوض بن عمر القعيطي بعد أن شن حرباً بدأها صباح التاسع من ذي الحجة ١٢٨٣هـ الموافق ٢٤ إبريل ١٨٦٧م.

وباحسن ولد عام ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) وتوفي عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) وعليه فإن عمره كان أحد عشر سنة عندما طرد آل كثير علي ناجي الثاني، وعلى افتراض أن الشيخ بن قبيلة مسموع الكلمة عند هذا الأمير يكون باحسن قد عرفه أو أنه قريب العهد به وبآرائه، ربما، ثم إن الشيخ سعيد عوض باوزير (ت ١٣٩٨/ ١٩٧٨م) وهو من اعتمد اعتماداً كلياً على تاريخ باحسن في الفصل الخاص بدولة آل بريك وتحت عنوان (علي ناجي بن بريك) في كتابه (صفحات من التاريخ الحضرمي) لم يلتفت إلى دعوى باحسن هذه، ولم يذكرها أصلاً لا في الفصل الخاص بدولة آل بريك ولا في الفصل الخاص بتاريخ آل باوزير. والكتاب مطبوع في

طبعتين فليرجع إليه من يريد الاستزادة ولكن لا بأس من ذكر الموجز من قصة آل باوزير التي عرفت بهذا الاسم لأن عميدها علي بن طراد، وزر للخليفتين المسترشد والمقتفي، وأنه لم يلي الوزارة عباسي سواه. وكان حفيده يعقوب بن يوسف طراد قد واصل تعليمه في البصرة والكوفة والحجاز وبعد وفاة أبيه يوسف هاجر إلى بغداد.

ولما لم تطب له الإقامة في بغداد سافر إلى جهات مختلفة متفرقة هو وأبناؤه الثلاثة. وعادوا إلى بغداد وقد أنجب عبد الله الذي نحن بصدده، سالماً من شيرازية هي في الأصل من أبناء عمومته العباسيين وهو الذي يطلق عليه الشيرازي ولكنهم سافروا مرة أخرى قاصدين الحج ونزلوا المكلا حيث توفي بها يعقوب بن يوسف وتوجه البقية إلى الشحر وتوفي يوسف بن يعقوب بحجر وتوفي أخوه عمر بن يعقوب ودفن بالخور غربي مدينة الشحر، وتحلى عبد الله بن يعقوب بالصبر فانصرف لتعليم ابنه سالم وتوجيهه لنشر التعاليم الدينية بين الأوساط البدوية الحضرمية ثم زوّجه إحدى البدويات في قرية عرف لتنجب محمد سالم الجد الأعلى لآل باوزير والمشهور بمولى عرف.

ولم يكن باحسن أول من ذكر نسب آل باوزير مغايراً لما يقولون عن أنفسهم فقد سبقه إلى هذا عبد الرحمن بن محمد العيدروس وهو من أهل بلدة الحزم (١٠٧٠ـ١١١٣هـ) (١٦٦٠ـ١٧٠١م) وهو مؤلف كتاب أسماه (الدشته) وتبعه أحمد بن حسن العطاس وهو من أهل حريضة وصاحب رسالة في أنساب بعض سكان حضرموت وهي منشورة (١٢٥٧ ـ ١٣٣٤هـ) (١٨٤١ ـ ١٩١٦م) وأعتقد أن إطلاق مثل هذه لم يكن إلا من قبيل التنافس حول زعامة سكان البلد دينياً واجتماعياً، وقد تجمل آل باوزير بالصبر ولم يقابلوا ذلك بكيل الصاع

صاعين، وإنما بكتابة المؤلفات وتكرار ما يؤمنون به ويعتقدونه. فقد اطلعت على رسالة العطاس بخط أحد آل باوزير الذي لم يسجل قوله: (إن أصلهم من ذرية جعفر بن خالد البرمكي وزير العباس) وأسقطها من الأصل وهي كناية عن عدم اعترافهم بذلك النسب الموضوع ثم ما طرح في الأسواق من كتب مخطوطة ومطبوعة:

* جدوة الاقتباس في نسب بني العباس.
* الكوكب المنير في ذكر بعض مناقب المشايخ آل باوزير.
* رفع الحجاب عن نسب آل باوزير ودفع الالتباس عن ما لا يعلم إن آل باوزير من بني العباس.

والأخير الشيخ مزاحم سالم باوزير ظل متمسكاً بآراء العلويين وهم أول من طعن في نسب آل باوزير فقد اتصل بعيدروس بن حسين العيدروس وقد ذكره عبد الله الحبشي في كتابه (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن) ولم يزد عن ذكر اسمه وكتابه (الكواكب الدرية) الذي طبع بالهند طبعة حجرية عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) جاء ذلك في مقدمة كتابه قائلاً: (فقد أخبرني وبشرني سيدي وسندي ... قال لي مشافهة: إن نسب آل أبي وزير سيظهره الله على يديك) وإن هذا يعني عدم اعترافه بما قال آل باوزير وما قاله الآخرون عنهم.

وعلى أي حال فقد صدرت الكثير من الكتب لآل باوزير أنفسهم تغض الطرف عن من طعن في نسبهم وهي موجودة وغير معدومة.

وبقي الشيخ عبد الله في الشحر ووجد في الانصراف إلى تربية ابنه سالم والانشغال بتعليمه، بعض السلوى عن فراق أخويه وعما كان يشعر به من آلام الغربة، حتى توفي

بالشحر. ا. هـ .(صفحات من التاريخ الحضرمي). ولم نقف على تاريخ وفاته لكن والده يعقوب توفي بالمكلا في ٥٥٣هـ الموافق ١١٥٨م، وعلى ذلك نستطيع القول أنه من أهل القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي. ويتفرد صاحب كتاب (مساجد مدينة الشحر) بذكر وفاته وأنه في عام ٥٨١هـ الموافق ١١٨٥م وكانت تقام له زيارة حولية تعقد في الخامس عشر من شهر رجب، فهل توفي في هذا الشهر؟

وتقام له حضرة في الثامنة من صباح كل يوم جمعة، تقدم فيها الأناشيد الصوفية وهي قائمة إلى وقت قريب من زمننا.

ونحن لا ندري تاريخ تحول هذا المسجد إلى مرقد وضريح لهذا الولي الصوفي وهو في الحقيقة على بعد أمتار من مسجد الجامع شمال غربي المسجد، وحوله دفن الناس موتاهم وفي هذه التربة دفن الشيخ عبد الله عمر بن قبيلة واضع النسب كما جاء عند باحسن.

وفي مارس ١٩٨٧م درست هذه التربة وأزيلت قبورها بفضل افتتاح مشروع الطريق وسفلتته وكان مقرا أن يزول هذا الضريح، كل البناء والإبقاء على القبر وسط دائرة تحف به السيارات المارة من وإلى المستشفى ولكن هناك من قام بتعليق لوحة على الواجهة الأمامية للضريح كنوع من الاحتجاج فأبقت إدارة الأشغال الضريح على حاله والله أعلم.

ولكني لم أستطع أن أفسر اكتفاء الأستاذ بامطرف بإيراد اسمه هكذا مجرداً من اسم والده ولم يذكره باحسن إلا بالشيرازي وقد ذكره عبد الله بن يعقوب كل من صاحب الصفحات ووثائق اليزيدي.

٣ـ مسجد الشيخ سعد :

ويعرف بين الناس بمسجد الشيخ سعد الدين الظفاري ويقع بالركن الشمالي الشرقي لحي المجرف والركن الجنوبي الشرقي لحي عقل باعوين وقد حفت به بيوت المساكن فأطلق عليهم حي مجورة الشيخ سعد، هذا قبل أن تتكون مجورة آل الشيخ أبو بكر لاحقاً.

وصاحب المسجد هو الشيخ سعد الدين محمد بن علي الظفاري ثم الشحري وصفه في الغرر: (بأنه الشيخ الكبير والعالم الشهير... قال في البرقة المشيقة (كان من فحول الرجال المربين، وهو من أكابر فحول الرجال المربين وعلماء الحقيقة وفرسان المعرفة ومشايخ التربية) وجاء في الجوهر الشفاف (أنه تاج الدين ومعدن الصادقين) ج٢/ ٧٢٣. وقال الشيخ علي بن أبي بكر في البرقة المشيقة: (كان من فحول المشايخ المربين بأمور الشفقة والرأفة بالمريدين ينزل في المعاملة معهم إلى درجاتهم ويخاطبهم على قدر أحوالهم) وعلى أي حال فإن التعابير والألفاظ التي وردت تبين أن الشيخ سعد أحد رجال التصوف المعدودين بحضرموت وأنه أول المتصوفة بحضرموت.

وجاء عند ابن عبيد الله في إدام القوت ما نصه: (تاج العارفين الشيخ سعد الدين بن علي الظفاري جحفل إلى الشحر من ظفار واستوطنها ونسبه يرجع إلى الجحافل وهم من مذحج بنو جحفل بن الحارث بن حرب، من بني علة من مذحج كما في (روضة الألباب) للشريف محمد أبي علامة (ولا يزال بالدثينة مثوى علة إلى اليوم).

وقد كتب تلميذه محمد علي باطحان مصنف في مناقب شيخه سماه (تحفة المريد وأنس المستفيد) وتسمى أيضاً (تحفة الراغبين) وصفه بأنه (جميل الطلعة حسن التركيب نظيف البدن

واللباس صبيح الوجه وكان رفيع القامة له الهيبة العظيمة وكان له كلام عالم في الحقائق والرقائق، وكان شيخا للفقيه المقدم بالمكاتبة، ومما جاء في كتاب الفقيه: (إني أقول لك قول ناصح محب مشفق فلا يكن قلبك متعلقاً بالكرامات ولا غيرها ولا تلتفت إليها ولو ظهرت لك أي ظهور وليكن قلبك متعلقاً بمحبة الله... وأنت يا فقيه أهدى من أن تهدى ـ إن شاء الله ـ وأعلم بالشريعة والحقيقة والظاهر والباطن).

وكان الفقيه المقدم والأستاذ الأعظم يكتب للشيخ سعد: من المولود إلى الوالد ثم كتب له بعد ذلك من المملوك إلى المالك. وقد شرح جميع رسائل صاحب الترجمة تلميذه باطحان.

وللمؤرخ ابن حسان ساكن بلدة المشقاص مصنف في مناقب الشيخ سعد وعلى ذلك نجد أن صاحب الترجمة قد أخذ عن محمد بن علي علوي صاحب مرباط المدفون بها سنة ٥٥١ أو ٥٥٦هـ وهو من أجل مشايخه وأخذ أيضاً عن ولديه أحمد وعلي وأخذ عن سالم بن فضل بافضل وعن العارف بالله عبد الله الأسدي وعن محمد بن سالم باوزير مولى عرف.

وقد تتلمذ عليه غير واحد وأخذ عنه العديد من الأجلاء نكتفي بمن جاء ذكرهم في المراجع التي بين أيدينا ومنهم الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد علي بن محمد بن علي صاحب مرباط وأحمد باجوبان ومحمد علي باطحان وسعيد عمر بالحاف وغيرهم.

وقد تدير الشيخ رحمه الله مدينة الشحر، وكان ذا صلاح وتقوى وفيها أسس مسجده الشهير والمعروف والعامر البناء إلى يومنا هذا، وفي رواية أن ابنه أبو بكر هو الذي أشاد المسجد، ولكن على رواية تلميذه باطحان في تحفة المريد نجد أن أبا بكر مات غريقاً بالبحر في

طريقه لزيارة والده، حيث يشير إلى ذلك قائلاً: (سافرت مع سيدي الشيخ أبابكر لما أردنا زيارة والده بالشحر ولما غرق بنا الجهاز بالبحر خرجت إلى البر سالماً).

وقد أحبه أهل الشحر كثيراً وأصبح عندهم ذا مكانة كبيرة وتوفي في عام ٦٠٧هـ ببندر الشحر ولعله في شهر صفر يوليو/ أغسطس ١٢١٠م، حيث زحف على الشحر جيش الغز مع عبد الباقي بن فارس، وهم جنود الأيوبيين وكانوا خليطاً من الأتراك واليمنيين وطردوا حامية المدينة وأهلها وأوسعوا المدينة نهباً وتخريباً حتى قيل أن موكب جنازة الشيخ سعد تعرض للاضطراب.

ودفن الشيخ سعد في الجانب الجنوبي لمسجده وبالقرب منه بالمقبرة الشهيرة ببندر الشحر وعرف هذا الجزء منها بمقبرة الشيخ سعد، وقبره معروف يزار وكان عليه عريش، وفي نصف ليلة الجمعة سابع شعبان سنة ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) تعرض العريش للاحتراق وذلك بسبب فتيلة السراج والتهمت النار كل شيء، ولما كان الناس في تلك الأيام في القرى المجاورة أيام خريف النخل، فقد جاءت النار على كل ما حواه ذلك العريش، حيث لم ينقذ الموقف أحد ثم بنيت على ضريحه قبة منورة عالية ولا يزال الزوار يقصدون ضريحه وكان ذلك في عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م أما الآن ونحن في عام ١٤١٠هـ ١٩٩٠م فإن ضريح الشيخ سعد لم يبق منه إلا جدران القبة الأربعة فقط وهي من الطين وغير منورة.

ومسجده وإن كان عامراً بالمصلين وبحضرته التي لا تؤدى إلا مساء كل ليلة اثنين من كل أسبوع بعد صلاة المغرب فإنه قد بدأ عليه الاندثار ومنارته قد أزيلت منذ ما يزيد على عشرين سنة وقد تقدم أكثر من شخص لغرض ترميمه وإعادة بنائه ولكن المركز اليمني

للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف يعترض على ذلك باعتباره أحد المآثر الخالدة، وقد جاء في تقرير أعده المركز موثقاً بالصور والرسوم التخطيطية من أن صيانة هذا المسجد أمر ملحٌّ وضروري باعتبار أمر الصيانة علماً متخصصاً وتم الاتصال بالمنظمة الدولية للثقافة والتربية والعلوم التي بادرت بإرسال ثلاثة خبراء في إبريل ١٩٧٩م ولم تستطع البعثة معاينة أكثر من خمسة وعشرين موقعاً وعليه أعد هذا التقرير من قبل المركز عام ١٩٨٠م وجاء فيه أنه مسجد صغير جميل له شغل خشبي مزين ومتقن ونوافذ مشبكة يعود تاريخها إلى القرن السادس الهجري وفي الداخل يوجد محراب مبيض مزين ورواق مكون من عقدين مروحيين أشكالهما متعددة (مثل المروحة بلا سيقان عقد رئيس على شكل قاعدة سفينة) ومن الواضح أن البناء قد أعيد تزيينه حوالي ٩٣٧ ، ٩٥٧، ١٥٢٠ و ١٥٣٠م.

وتمام ما يروي العامة أن الشيخ سعد توفي بساحل الذيبي نواحي رأس بالحاف بعد قفوله من الحج وأنه أوصى أن يحمل على ناقة ويدفن في المكان الذي تبرك فيه، وفي ترجمة تلميذه الشيخ سعيد عمر بالحاف تفاصيل القصة كاملة.

ويجب أن يعلن أن هذا المبنى هو أثر وطني محمي ويجب أن تبدأ الخطوات لتجديده وصيانته بالتعاون مع العائلة التي لا تزال تحافظ عليه، ولم يظهر أن هذا النداء لقي آذاننا صاغية، والله الموفق لما فيه الخير.

وللشيخ سعد كرامات كثيرة ومناقب شهيرة أورد بعضها تلميذه الشيخ باطحان في تحفته قال: (بلغنا أن الشيخ توافقه الأساطين والجدران في السماع كان إذا تطأطأ تطأطأت وإذا ارتفع ارتفعت) وكان لمثل هذه المرويات أثرها في العامة فيأخذون في الإكثار من ترديدها

وزيادتها وإكبارها على حساب الأمور التي دعا أو قام من أجلها الشيخ سعد وهي دائرة على ألسنتهم إلى يومنا هذا.

ومنها أن الشيخ عندما سافر من ظفار اتجهت معه كل أشجار النارجيل وإن الأسماك تبعته إلى اتجاهه فردها قائلاً إن أسماك أهل الشحر معهم وأنتم هنا لأهل ظفار، هكذا.

وإذا كانت هذه لغرض الإعلاء من شأن الشيخ سعد الدين فإنه غني عن مثل هذه الترهات والأكاذيب.

وكنت أكتب حلقات رمضانية تبث ثلاث مرات في الأسبوع من إذاعة نور الإيمان بالشحر والحلقة الثالثة كانت عن ترجمة الشيخ سعد ومسجده، فرفض مدير الإذاعة بثها ومعه اتهامي بأني ضد الصوفية وأنكر الكرامات فيهم. وقام بإضاعة الحلقة المكتوبة بقلمي، وربما لم يكن هو من رفض الحلقة ولكن هيئة الإذاعة وهو الذي قام بالتنفيذ.

وقد تحدث المتنطعون وقليلو المعرفة عن سبب رفض إذاعة الحلقة وكنت قد انتقدت القصة من أساسها واعتبرتها مختلقة هدفها الإعلاء من شأن الشيخ سعد وفرض قدسيته، فاعتبر قولي عدم اعتقادٍ في الكرامات، وهو ليس صحيحاً فكان موقفي بصفتي مؤرخاً فقط.

وفي القصة التي أوردها المؤرخ باحسن خروقات تسبب إرباكاً للمؤرخ، ومن ذلك:

١ـ الغريب أن يختلف القبائل حول أين يمكن أن يقبر هذا الشخص رغم عدم معرفتهم به، وما سبب اختلافهم وأحقية ملكية الجثمان.

٢ـ ثم ما السبب في سوق التلميذ بالحاف لحضور الخلاف بين الحيين.

٣ـ ولم يسأل أحد عن المسافة بين المدينتين الشحر وبالحاف التي قد تؤثر على الجثة وتعفنها، ثم كم زمن الخلاف؟

٤ـ تحرك التلميذ بالحاف خلف الناقة وهي تحمل جثمان الشيخ سيراً مع ارتجال الشعر الخاص بالتحسر والندم على فقد الشيخ.

٥ـ وكان التصفيق المنظم والمتوافق مع إيقاع الصوت الذي يتغنى به التلميذ بالحاف.

٦ـ ترك الناقة عند دخولها الشحر حتى تبرك بالمكان المعين بتوجيه من العناية الإلهية، وكأنها كما جاء عن ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم (اتركوها فإنها مأمورة) فهل بهذا يراد فرض قدسية الشيخ سعد والناقة والضريح؟

٧ـ استعمال حركات التصفيق التوقيعية للتلميذ بالحاف في حضرة الشيخ سعد مع تلك الأشعار والتوقيع المنتظم بالأكف دون استعمال آلات السماع في الحضرات بحضرموت.

٨ـ أضيف إلى أن ما كتبته هو العمل كمؤرخ وليس لي أهداف أبعد ثم إن المسافة بين تريم والشحر (٢٦٥)كيلو متر تقطعه الجمال في ثمانية أيام وما بين بالحاف ومدينة الشحر (٢١٠) كم فكم يوماً نفرضه لتقطعه الناقة حاملة جثة الشيخ سعد رحمه الله ثم ماذا بسنة الحياة، ألا تتأثر جثة الشيخ الميت؟

إن كل ما طرحناه نقلاً عن المؤرخ الشاعر عبد الله محمد باحسن نجد في كتابه ما ينقضه فهو يقول ما نصه: (وعلى كل تقدير لم يثبت بشيء من ذلك لعدم تحقيقه وصحته، لم أجزم به) جاء هذا في الورقة رقم (١٤٦) من مخطوطته (النفحات المسكية) في صفحة (٣٦١) من تحقيق الدكتور محمد يسلم عبد النور للمخطوطة. فإذا قدر خطيب جامع الفلاح ومدير إذاعة بث نور الإيمان بالشحر إلغاء الحلقة الإذاعية التي جاءت في نقد القصة والعمل على ضياع نسخة الحلقة المكتوبة عمداً، فإن عليه ومن معه أن يتلف مخطوطة باحسن النفحات المسكية ومصورتها المنشورة في كل مكان وأن يتلف النسخة المحققة للدكتور محمد يسلم عبد النور، لكن هيهات، وبالمناسبة أذكر هنا أحد أهازيج الأطفال بالشحر القائلة:

دحنا دحنا حنبص كل شيء كل شيء ينبص

ورأيت أن أختم ترجمة الشيخ سعد ومسجده بذكر شيء عن تلميذه محمد علي باطحن: قال ابن عبيد الله (إدام القوت) عن محمد علي باطحن: (هو من أوعية العلم غير أن غلوه في شيخه سعد الظفاري أوقعه في إساءة الأدب على الفقيه المقدم فكرهه العلويون) جاء ذلك في صفحة (١١٦) من تحقيق محمد باذيب.

ولكن لم يكتب أحد عن هذه الإساءة حتى نحكم عليها ولكن يمكن أن نطلع على كتابه في شيخه لعدم وجوده وسمعت حديثاً مباشراً لشيخ متدين من رجال مدينة تريم مفاده أن هناك من قام بإحراق كتاب باطحن هذا (تحفة المريد وأنس المستفيد) ولعل هذا يندرج في مقاله أحمد حسن العطاس: (إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف رأوا في سيرة أسلافهم ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها) وقد

أشار إلى مؤلف (جني الشماريخ، أسئلة في التاريخ) علوي بن طاهر الحداد، ولعل المؤرخ صالح الحامد أكثر وضوحاً في كتابه (تاريخ حضرموت) حول سوء الأدب هذا الذي ألحقه ابن عبيد الله في محمد علي باطحن.

وفي ١٤ أكتوبر ١٩٩٥م أزيل بناء مسجد الشيخ سعد تماما بعد استمر العمل في تهديمه مدة ثلاثة أيام متوالية وذلك على يد معلم المسجد الشيخ مرعي بغية تجديد عمارته، وكان أن أذن له بأن يبدل سقف بيت الصلاة والرواق الشرقي، لكن المعلم وجد أن جدرانه قد تآكلت تماما فهداه تفكيره إلى تجديده له من أساسه. وكانت الحكومة قد سمحت له بزيادة رقعة المسجد بإضافة جنوبية ضيقة وشرقية تقدر بعشرة أقدام وقد سبق أن أقيمت زيادة إلى الارتفاع تقدر ما بين ٣ إلى ٦ أقدام أو تزيد قليلاً، وقد احتفل بافتتاح المسجد من جديد رسمياً عصر يوم ١٣ محرم ١٤١٨هـ الموافق ٢٠ مايو ١٩٩٧م، وذلك بعد اكتمال بناء بيت الصلاة وصحن المسجد.

٤ـ مسجد فضل بافضل :

جاء ذكر هذا المسجد ضمن قائمة المساجد العامرة في مدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م)

أيام غزو البرتغاليين للمدينة ويقع على الطرف الغربي لمدينة الشحر تلك الأيام، أما اليوم يقع ما بين حي الخور وحي الشقق.

اختطه الولي العارف بالله الشيخ فضل بن عبد الله بن فضل بن محمد بن أحمد بافضل المولود بمدينة تريم سنة ٧٣٠هـ (١٣٢٩م)، ترجمه المؤرخ عبد الله محمد باحسن في كتابه

(النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) اعتماداً على الشرجي المتوفي ٨٩٣هـ (١٤٨٧م) الذي ترجمه في كتابه (طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص) وجاء فيه: «ذو الفضائل والمواهب والمعارف والمناقب، كان بالمحل الأعلى والمقام الأسنى، كثير الأذكار في المساجد يقرأ القرآن والعلم، وله العناية التامة بتحصيل الفوائد، بجلاً للعلماء، حسن الظن بالناس، حج عام ٧٦٤هـ (١٣٦٢م) واجتمع بالشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، وكان له بالفقيه محمد بن أبي بكر بن عبادة محبة تامة وهو شيخه وانتفع به كثيراً».

وفي ترجمة الشيخ سالم بن فضل بافضل المتوفي سنة ٥٨١هـ (١١٨٥م) وهو أول من ترجم له عبد الرحمن محمد الخطيب في كتابه (الجوهر الشفاف..) من هذه الأسرة وإليه ترجع شهرة آل بافضل، وأشار المؤرخ علي صالح الحامد في كتابه تاريخ حضرموت الجزء الثاني إلى من ظهر من ذريته وذرية أخيه، وقال: «منهم علماء أجلة كالشيخ فضل بن عبد الله صاحب الشحر والشيخ عبد الله بلحاج وغيرهما مما يطول تعدادهم ممن وافاهم معاصرنا الشيخ محمد عوض بافضل» ج٢/ ٢٩٦.

وكان الشيخ فضل قد تلقى تعليمه في بلده تريم وأخذ عن علمائها والمشهورين بها في زمنه، جاء في كتاب (المشرع الروي) للشلي: «إن الشيخ فضل كان يدرس في مسجد شيخه عبد الله باعلوي بتريم بعد وفاته، وكان يحضر درسه الإمام محمد مولى الدويلة، ثم توطن الشحر.

والشيخ فضل بن عبد الله هو المراد في قصيدة القطب أبي بكر العيدروس:

كذا أبو فضل في الأنساب فضلها فيـما تأنـق بالتفصيـل والجمــل

وله ترجمة أيضاً في كتاب قلائد النحر لباخرمة وفي كتاب صلة الأهل لمحمد عوض بافضل.

قال عنه محمد بن علي خرد في كتابه غرر البهاء الضوي: «العارف بالله تعالى الشهير العالم العامل التقي الزاهد، المحقق الورع المدقق الضابط العابد، جامع أشتات الفضل من علوم الشريعة والطريقة والحقيقة إمام العارفين وقدوة السالكين».

ويضيف باحسن في نفحاته، قوله: «إنه من أجل أكابر العارفين، قرأ صحيح البخاري مائة مرة، وجاء في خلاصة الأثر للمحبي والسناء الباهر للشلي ويظن أنه نقله منه، إن الشيخ فضل بن عبد الله بافضل هو الذي حقق نسب آل أبي فضل، وأثبت أنهم يتصلون بعد العشيرة من مدحج».

ويلاحظ أنه يكنى بأبي العباس، وهو عبد الله بن عباس ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ندري كيف جاءت هذه الكنية ولا من أطلقها عليه؟

وعبد الله بن عباس قد وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه حبر هذه الأمة وقد عينه في محله بالحرم المكي عند مغادرته كلياً إلى المدينة المنورة. وهو كما يشار إليه الفقيه الضليع في مسائل الدين الإسلامي وفقهه وهذا يعني أن الشيخ فضل يتابع أخبار هذا العالم الإسلامي ويقفو أثره ويسأل عن أخباره وأعماله ونشاطه الإسلامي فإذا كان الشيخ فضل قد قرأ صحيح البخاري مائة مرة فكيف لنا أن نصدق هذا؟ ألم تمر على هذا الشيخ الأحاديث التي

تكرم بني الإنسان وقل مثل ذلك في القرآن المجيد، فقد كرم الله الإنسان في قرآنه ومجده ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وقال في أخرى (ولقد كرمنا بني آدم).

ألم يقرأ الشيخ فضل مثل هذه الآيات؟ كيف نقر أنها لم تمر على خاطره عندما قال: (حمدت الله على قولي، الله يجعلني سحوحة لآل البيت)، والسحوحة مكان تجمع قاذورات الإنسان عند التبول والغسل وإزالة النجاسات، وكل ما يعافه الإنسان من نفسه، فهل يرضى الإنسان أن يكون (سحوحة) لأخيه الإنسان أين عقل المؤرخ باحسن هنا؟ فإذا كان الكلام من باحسن فهو مردود وإذا جاء من الشيخ فضل فلي الحق وكل الحق أن أرفض قوله هذا.

إنها قصة ملفقة وهي من تلفيق باحسن ولا يجوز منه أن يسجل مثل هذه في كتابه التاريخي وأنا هنا مضطر لتجاوزها، إن علي الاستمرار في وصف الشيخ فضل حسبما ورد عند كل الذين رجعنا إليهم.

لقد كان الشيخ فضل قد تلقى تعليمه في بلدة تريم ثم أنه أخذ عن شيخه عبد الله باعلوي وعن ابنه أحمد وجاء في المشرع الروي أن الشيخ فضل كان يدرس في مسجد شيخه عبد الله بن علوي بتريم، بعد وفاته، وكان يحضر درسه الإمام محمد مولى الدويلة ثم توطن الشحر، وفيها أقام مسجده الشهير إلى يوم الناس هذا وأشاد به زاوية يقوم بالتدريس بنفسه بها.

وفي يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى ١٤١٦هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٩٩٥م أقيمت صلاة الجمعة بالمسجد لأول مرة بعد توسعة المسجد وكثرة الساكنين بالأحياء الجديدة المجاورة التي

تقع غرب المسجد وقد خطب الناس وأمّهم معلم المسجد الشيخ عوض بن مبارك بريدان وهو من محافظة المهرة استوطن الشحر بعد عودته من المهجر الكويت والزواج بها وقد حضر أول جمعة بالمسجد جمع غفير قدرته بألف ومائتي شخص وربما أكثر وجاء في الخطبة الأولى الحديث عن التنزه عن أموال الناس وسلبهم مستحقاتهم وفي الثانية تحدث عن الجمعة الأولى بالمسجد ثم ذكر الأسعار وارتفاعها ثم عن القمامة ومضارها للمواطنين.

٥ـ مسجد عمر المحضار بحي الخور

ومسجد عمر المحضار بحي الباعوين :

أنشأ هذا المسجد الشيخ عمر بن عبد الرحمن السقاف المشهور بلقب المحضار وهو من مواليد مدينة تريم وبها نشأ نشأة صوفية ووصل إلى ما لا تطمح إليه الآمال تفقه على الفقيه أبي بكر بن محمد بلحاج بافضل وصحب جماعات كثيرة وكان كثير الاعتناء بالمنهاج والإحياء وتفسير السلمي، وكان كثير المجاهدات والرياضات في الأعمال الصالحة وترك الحظوظ والشهوات والإنخلاع عن جميع العادات ولم يزل حتى أتته المواهب اللدنية والأسرار الغيبية وانفجرت من بحور قلبه ينابيع الحكم الربانية، هكذا، فكان يلقي دروساً في المسائل الدقيقة في علوم الشريعة والحقيقة وتخرج به الكثيرون، من أجلّهم شمس الشموس الشيخ عبد الله العيدروس والشيخ سعيد أحمد باغريب وغيرهما وكان كثير الإقامة بوادي عرف على مرحلة من بندر الشحر (١٥ كيلو متر) وله بهذا الوادي أملاك وغرس ونخيل.

وأشار المؤرخ عبد الله محمد باحسن بأن الولي الصالح عمر المحضار قد أقام مدة من السنين بالشحر وذكر صاحب المشرع (إن لسيدنا عمر المحضار ثلاثة مساجد منها هذا

المسجد وهو محل الزيارة والتوسل) وهذا ليس صحيحاً فله عدد من المساجد سنأتي على ذكرها هنا وعلى أي حال فإن صاحب المشرع كان يقصد المسجد الذي نتحدث عنه وهو بحي الصيادين المعروف بحي الخور الذي وصفه باحسن بالقول (أنه كامل العمارة) وكان باحسن قد انتهى من تبييض كتابه (النفحات المسكية) بتاريخ فاتحة الحجة ١٣٢٢هـ الموافق ٥ فبراير ١٩٠٥م وتوفي في ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٩م.

وقد زرته بنفسي في عصر يوم من شعبان ١٤١٠هـ (مارس ١٩٩٠م) وهو مهدم تماماً إلا من الرواق الأمامي لبيت الصلاة الذي بقي مصاناً بطريقة رديئة فوجدت بعض النساء يقرأن قصة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وتدل بعض الحجارة المتناثرة حول ذلك الرواق أنه كان أوسع مما هو عليه، وبجانبه بئر ربما هي التي استعملت لتموين ميضأة المسجد سابقاً. ولعل للرطوبة أثر في ذلك التهديم فهو على مرمى حجر من ساحل البحر ولربما جاء أحد من أهل الخير وساعد في إعادة بنائه وترميمه. والملاحظ أن الفناء الواسع حول المسجد لم تحف به المساكن كما هي عادة المساكن وأهل المدينة ربما لبعده أو لقربه من ساحل البحر، ونستطيع أن نقول مثل ذلك عن مسجد الشيخ فارس باقيس المندرس.

ولو ألقينا نظرة إلى إشارة الشلي في كتابه المشرع الروي نجده يقول بأن المحضار بنى ثلاثة مساجد يكون أولها مسجده العامر بناءه الآن في مدينة تريم وهو ذو المئذنة الشاهقة إلى عنان السماء والفريدة في البناء ويكون المسجد الثاني هذا المسجد الذي بناه جنوب حارة (الخور) فهل سيكون ثالث المساجد المذكورة مسجده الذي بناه بحي عقل باعوين؟

إن من أهم أعمال هذا الشيخ سعيه لإصلاح عشيرته آل باعلوي، وجمعهم تحت مؤسسة واحدة وتوحيد كلمتهم فانتخبه العلويون نقيباً عليهم أسوة بما فعله العلويون في بغداد في تأسيس النقابة العلوية، وهي تهتم بشؤونهم الخاصة والعامة وتكفل لهم دوام الاتفاق والإخاء مع التعاون والتآزر على إعلاء كلمة الحق وقمع أصوات الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر كل مظلوم. وهنا يمكننا أن نفسر نشاط المحضار الدؤوب وتحركاته الكثير في كل من ساحل حضرموت وداخلها، وقد أسموها منصبة.

وبقي المحضار على منصبه مترأساً العلويين وزعيماً مطلقاً فيهم وفي سائر أهل حضرموت، مقبول الجاه نافذ الكلمة متنقلاً بين بلدان الساحل والداخل من حضرموت، ينشر العلم ويبث الفضائل ويحوط الحوط للاجئين، ويبني المساجد في كل ناحية وبكل قرية، ولهذا نجد مساجد المحضار العامرة في كل من شرمة وتبالة وقرية الواسط وعرف ومسجده الذي نحن بصدده الآن الذي يقع في عقل باعوين بالشحر وغير هذا.

وهنا نسأل لم ترك مسجده لقديم الذي بناه في (الخور)؟ يبدو لي أن هذا الاختيار كان غير موفق في ذلك لوقت، فقد كان بعيد عن السكان ولهذا وحتى زيارتي الأولى له في عام ١٩٨٨م لا تجد من حفّ بالمسجد، وهذا ليس الآن فقد التهم الناس الأراضي في توسعة للمدينة بشكل غريب ويظهر أن المحضار لم يعجبه عدم تباع أهالي الشحر وخاصة الصيادين له ولتعاليمه، ربما لوجود لوبي خفي من نشطاء الأباضية التي بقيت رواسب من نشاط هذا المذهب إلى اليوم، وربما لأن الجهل كان السبب فقد كان بين الصيادين وربما للبعد وغيره الذي لم نصل إليه، لهذا وكما نظن قال عبارته الشهيرة: (أن كوافي أهل الشحر زبد بول الحمار)

ثم نقل مسجده أو ابتنى مسجداً آخر في امتداد مدينة الشحر في اتجاهه الشمالي وفي وسطها تقريباً وكان هذا على سوق البلد للحطب وعلف البهائم.

ويتوسط هذا المسجد العامر بناؤه إلى اليوم بالعمارة والمصلين حي عقل باعوين ويقع في أحد أرباعه المعروف باسم المسجد ربع المحضار وينتشر بين ناس الحي بأن هذا المسجد بناه أحد أولاد عمر المحضار بن الشيخ أبو بكر ولما اعترضت على ذلك في المسجد نفسه رفض قولي أستاذي الشيخ سالم خميس حبليل (ت ١٤/٨/ ١٩٩٦م) وكان حينها معلم المسجد وخطيب جامع الشحر ثم حمل إلي نسخة مصورة من كتاب المؤرخ عبد الله محمد باحسن (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) ولأول مرة أطلع عليه وأعارني إياه لبضع أسابيع ووجدت أن المؤرخ أورد المسجد في الباب الثاني من كتابه عند ذكره لمساجد الشحر العامرة قائلاً: (مسجد المحضار وليس هو المحضار السقاف ، غير أنه منسوب لبعض أولاد سيدنا الشيخ عمر المحضار بن الشيخ أبو بكر بن سالم) ونحن لا نتفق معه في ذلك للأسباب الآتية:

ونرى أن المؤرخ عبد الله باحسن قد خدع بالخطأ الشائع من نسبة هذا المسجد وهو خطأ شائع إلى يومنا هذا وعلينا تصحيح وضع النسبة هذه إلى صاحبها.

١ـ ورد ذكر هذا المسجد في حوادث البرتغاليين على مدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) ففي اليوم الأول الذي أغار فيه البرتغاليون على الشحر توغلوا إلى حافة المحضار وحاولوا إحراق المسجد بأن كدسوا فيه كميات من قصب الذرة الجافة وصبوا القار عليها وأشعلوا فيها النار، بيد أن النار انحسرت في قصب الذرة ولم تتعداه إلى سقف المسجد وإن كان باب

المسجد الرئيس قد أتلفته النار وكانت الساحة الواقعة أمام هذا المسجد تستعمل في ذلك الوقت سوقاً فرعية للحطب وعلف البهائم.

٢ـ ثم إن الشيخ أبا بكر بن سالم والد عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم ولد عام ٩١٩هـ/ ٩٩٢ (١٥١٣ / ١٥٨٤م).

وقد غزا البرتغاليون الشحر وعمره عشر سنوات فكيف بابنه عمر المحضار الذي توفي عام ٩٧٩هـ (١٥٨٨م) بعينات وحتى رواية مؤلف (النهر المورود في مناقب الشيخ أبي بكر فخر الوجود) لا تقبل عندما قال: (ومات عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر وعمره نيف وثمانون سنة).

٣ـ ثم إننا نجد طاقة في هذا المسجد وفي بيت الصلاة تتبرك بها نساء حي عقل باعوين ونساء ربع حافة المحضار على وجه الخصوص ويقال لها (خلفة عائشة) وهي ابنة عمر المحضار السقاف وأم أبي بكر العيدروس العدني، وقد أشار إلى ذلك الشيخ الراوي عوض سالم عبدن (ت ١٩٩٠م) وهو بهذا يؤيد الرأي القائل بأن هذا المسجد هو مسجد الشيخ عمر المحضار السقاف.

٤ـ ثم إن أستاذي الشيخ محمد عبد القادر بامطرف (ت١٩٨٨م) يستنتج من رواية الربان باسباع وهو أحد الذين استقى قصة كتابه الشهداء السبعة من كتاباتهم، (إن هذا المسجد أنشأه الشيخ عمر المحضار بن الشيخ عبد الرحمن السقاف، ويضيف بأنه في تاريخ يحتمل أن يكون

لنصف الثاني من القرن العاشر الهجري قام الشيخ عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم بتوسيع المسجد أو إعادة بناء هذا المسجد) اهـ.

وقد توفي عمر المحضار السقاف بتريم يوم الاثنين ثاني ذي القعدة سنة ٨٣٣هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٤٣٠م وقبر بمقبرة زنبل بتريم.

وهذا المسجد من المساجد الأثيرة عندي فقد عرفته من صغري ومنذ أن كان جدي لأمي الشيخ مبروك جمعان دريقان يصحبني معه للصلاة فيه وهو ليس بعيداً عن مسكنه الذي أسكن معه فيه، عن مائة خطوة، وهو من المساجد الجميلة البناء حيث يتكون من بيت الصلاة الواسع وجزء منه الشمالي مقتطع للنساء ويحيط ببيت الصلاة صحن المسجد من ثلاث جهات وله مئذنة أسطوانية جميلة ذات شكل مميز لمآذن مدينة الشحر والمديرية وبجانبها الأسفل مكان لحفظ مقتنيات المسجد ثم يليه بيت لصلاة النساء أما الجزء الشمالي الشرقي من المسجد فهي الميضاءة وخلف المسجد مزرعة واسعة توهب للساني أي الذي يتولى رفع الماء من بئر للمسجد والميضاءة وعليه أن يسقي المزرعة حتى لا يتجمع الماء ويسبب مستنقعات يتوالد فيها البعوض وغيره من الحشرات، وهذا في كل المساجد أو قل في أغلبهافالمزرعة التابعة للمسجد لها أهمية قصوى وهي توزيع الماء على المساحة المزروعة وحتى لا تبقى مستنقعات تسبب أشياء غير مرغوب فيها.

كنت معجباً بذلك المسجد فالتقطت لها صورة هي بالغلاف الأخير للكتاب، وقد أزيلت هذه المزرعة تماماً ودخلت في المسجد عند التوسعة الجديدة مع ثلاث منازل صغيرة كانت في الجهة الجنوبية للمزرعة وهي تعد من ممتلكات المسجد.

وقد تعرض المسجد لعدة ترميمات لم يسجل لنا التاريخ إلا البعض منها.

ومنها رغبة مؤسسة دريقان للأخوين سالم جمعان دريقان (ت ١٥ مارس ١٩٤٦م) وأخيه مبروك جمعان (ت٢٨ مايو ١٩٦٧م) وشريكهما الشيخ بريك أحمد بركان (ت ١٣ سبتمبر ١٩٣١م) طلب أصحاب هذه المؤسسة التجارية من السلطان صالح بن غالب القعيطي على السماح برفع سقف بيت الصلاة في المسجد المذكور فأجابهم بالموافقة بشرط أن يتم استكمال رفع السقف وإلا فسوف تحجر السلطنة على اموال المؤسسة حتى إكمال المشروع هذا (انظر جواب السلطان ضمن الملحقات بهذا الكتاب).

وأخيراً تم تجديد آخر للمسجد من أساساته وتغيرت ملامح المسجد كلياً وذلك تحت إشراف معلم المسجد الشيخ يسلم برك عمير وبتمويل متكامل من أستاذي الشيخ محمد علي جواس الذي توفي رحمه الله في (٢/ ١٠/ ٢٠٢٠م) بالإمارات العربية المتحدة ـ والكتاب هذا في دور التحبير ـ ولعلي أذكر أنه ربما لا يريد أن يعلم بهذا أحد ولكن البحث سبب المعرفة.

وأعلم أن المسجد جار له ولمنزله القديم وقد قرأ وتعلم وصلى بهذا المسجد منذ طفولته في صلاته الأولى، قال الله تعالى: (**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**) سورة التوبة الآية ١٨.

٦ـ مسجد عبد الله اليافعي :

جاء في قائمة الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه الشهداء السبعة اسم المسجد في الصفحة (٤٨) باعتبار المسجد من المساجد العامرة بالبناء والمصلين في عام ٩٢٩هـ

(١٥٢٣م) أي قبيل حوادث الغزو البرتغالي التأديبي على مدينة الشحر وغيرها، وذكر هذا المسجد تحت الرقم (٦) باسم (مسجد الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي بالحور ـ الحوطة) لكن في هامش نفس الصفحة يقول: (تذكر إحدى الروايات التاريخية إن الذي أنشأ هذا المسجد هو ابنه عبد الرحمن بن عبد الله اليافعي) وكان هذا الابن قد زار حضرموت وكتب في ذلك بيتاً شهيراً سارت به الركبان وهو:

مررت بوادي حضرموت مسلماً فألفيته بالبشر مبتسماً رحباً
وألفيت فيه من جهابذة العلا أكابر لا يلقون شرقاً ولا غرباً

ولو عدنا إلى كتاب الأستاذ بامطرف (الجامع) لوجدنا ترجمة لهذا الشيخ الجليل عبد الله بن أسعد (٦٩٨ ـ ٧٦٨هـ) (١٢٩٨ ـ ١٣٦٦م).

عبد الله بن أسعد اليافعي، عفيف الدين نسبة إلى سرو حمير، مؤرخ باحث، متصوف، شافعي، ولد ونشأ في عدن، حج سنة ٧١٢هـ (١٣١٢م) وعاد إلى اليمن واستقر فترة في مدينة الشحر، وابتنى بها مسجداً في حي الحور المعروف الآن (بالحوطة) ثم رجع إلى مكة سنة ٧١٨هـ (١٣١٨م) فأقام وتوفي بها.

من كتبه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان) أربعة مجلدات، و(نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية) و(الدرر النظيم في خواص القرآن الكريم) رسالة، و(مرهم العلل المعضلة) و(روض الرياحين في مناقب الصالحين) و (أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر)، ونحن في الحقيقة لا نعدم مؤلفاته ولا ترجماته فهي كثيرة ومهمة ولكننا لسنا الآن بسبيلها.

وإشارة إلى ما جاء عند المؤرخ عبد الله باحسن حول آل مزروع أو المزاريع فهم فخذ من الصيعر من كندة حضرموت، وكانت هجرتهم حديثة نسبياً إلى ما يعرف اليوم بإمارة الشارقة من اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة وهاجرت منهم فرقة إلى شرق إفريقيا واستقرت هناك في جزيرة زنجبار وثغر ميناء ممباسة الميناء المعروف.

ومن المزاريع الذين هاجروا إلى إفريقيا من اشتهر منهم وعين حاكماً على ممباسا بشرق إفريقيا حيث عين إمام عمان ناصر بن عبد الله المزروعي عام ١٧٧١م حاكماً على ممباسا، ومنهم علي بن عثمان الذي تمرد على الإمام وغيره، وكتاب (العمانيون وقلعة ممباسا) الذي صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان في عام ١٤١٥ = ١٩٩٤م فيه تفاصيل عن المزاريع في ممباسا.

أما المزاريع في الشحر فمنهم العلماء والقضاة وقد برز منهم العالم الورع الزاهد عبد الرحمن بن محمد مزروع المتوفي في ٩١٣هـ (١٥١٣م) كما يشير إلى ذلك شنبل في كتابه، ونعتقد أنه الذي قصده الأستاذ بامطرف في كتابه الشهداء السبعة ضمن أصحاب المساجد العامرة بمدينة الشحر آنذاك، وكان المسجد بحافة القرية، وإن مكانه لا يعرف في زمننا وزمنه الذي وضع فيه كتابه (الشهداء السبعة) عام ١٩٧٤م، ويبدو أنه من أهل شبام واستقر بمدينة الشحر، ويذكر بافقيه تاريخ وفاته بعام ٩١٣هـ (١٥١٣م) وينفرد المؤرخ باوزير بنسبته لمدينة شبام.

ومن هؤلاء المزاريع أو آل مزروع الشحريين الذين عدهم النائب السابق عبد الخالق عبد الله البطاطي في كتابه(إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع بحضرموت) من الذين مارسوا

التجارة والملاحة وقيادة الأساطيل التجارية الحضرمية، قائلاً: (ونقصر الكلام على ذكر الأسر التي كانت تزاول المهنتين تداولوها جيل بعد جيل) ونضيف نحن بأن منهم هؤلاء من اعتنى بمسجد الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي وافتتحوا مدرسة ملحقة به استمرت طويلاً وهي ما تدل عليه عبارة المؤرخ عبد الله باحسن: (ثم زاد في عمارته وتوسعته آل مزروع من أهل الشحر ولهذا نسب إليهم) فالمسجد اليوم يعرف بقبة مزروع.

وللشيخ عبد الرحمن محمد فتاوى، وهي المنتشرة بين الناس علاوة على كتاب (بيع العهدة) وهو لا زال مخطوطاً.

وأعتقد أن الساحة المملوءة بصنادق الأغنام والقمائم والمتروكات من الأخشاب والأسلاك والقطع الحديدية وغيرها، والتي تقع خلف دكان الشيخ جمعان سالم عماني وأمام منزل أبو عقاب اليافعي وحسن بالليل وغرب منزل الفنان سعيد سالم عماني وإخوانه وشرق منزل آل ناصر.

هذه الساحة كما نعتقد أنها ساحة مسجد عبد الرحمن محمد المزروعي، أما عبد الرحمن المزروعي الذي ورد اسمه هكذا في تاريخ باسخلة في حوادث عام ٩٦٦هـ (١٥٥٨م) فقد وصف بالفقيه، وكان مقرباً من السلطان عبد الله بن بدر (أبو طويرق) الذي خلف أباه فقد صحب أخدام الدولة إلى أجزاء الوادي ـ وأخدام الدولة كلمة تطلق على المأمورين والمكلفين والحكام المعينين وجامعي الزكوات والضرائب ـ وذكره مرة عائد من وادي حضرموت إلى الشحر مرافقاً لزوجة السلطان عبد الله وبمعية محمد سراج باجمال.

كلنا أمل في أن يأتي يوم ونعرف مكان المسجد ونعرف لم تركت هذه البقعة في وسط الحي دون أن يقيم فيها أحد مسكنه فهل هي مكان لمسجد كان قائم البناء فيها واستحقت هذه البقعة الاحترام إلى أيامنا؟ ربما يكون فيما نقوله بعض الحقيقة.

٧ـ مسجد عبد الرحيم باوزير :

مسجد صغير جميل، يقع في الطرف الجنوبي لحي الحور الذي عرف في وقت ربما القرن التاسع الهجري بحي (الحوطة) وبالجزء المعروف عنه بالمقد، وبموقعه هذا يكون شمال وشمال شرقي مقبرة الشحر المعروفة بمقبرة الحور والتي أصبحت اليوم تعرف بمقبرة عبد الرحيم نسبة لهذا المسجد والشيخ الذي أسسه، وقد كان هذا المسجد قائم البناء معموراً أيام الغزو البرتغالي التأديبي لمدينة الشحر ولا يزال على ذلك الحال إلى يومنا هذا.

والذي اختط هذا المسجد هو الشيخ عبد الرحيم بن عمر بن محمد بن سالم مولى عرفالذي وصل الساحل من حضرموت سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٦م) يبحث عن منطقة صالحة له ولعقبه من بعده فوقع اختياره على منطقة هي الآن غيل باوزير فهو مؤسس مدينة غيل باوزير وهو أول من بنى المنزل الأول ليكون سكناً له ولأسرته غربي مسجده الجامع المشهور ثم حفر في الناحية الشمالية للمسجد أشهر عيون الماء والتي ما زالت إلى اليوم تروي مساحات كبيرة من المزارع التي تقع جنوب المدينة، وبجانب هذا النشاط الحيوي كان له نشاط ثقافي حيث بنى مدرسة لأبنائه وأحفاده وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة واستقدم لها المدرسين الأكفاء وأرسل أبناءه للاستزادة من العلم إلى جهات كاليمن والحجاز.

ومضت أربعون سنة منذ تأسيس المدينة وكان الشيخ فيها القانت العابد والعالم الكامل، لا يطغى فيها المسجد على المزرعة فيخل بشؤون دنياه ولا تشغله المزرعة عن المسجد فتفسد عليه أمور دينه، وكان له بين المزرعة والمسجد متسع من الوقت للإشراف على المدرسة ونشر العلم والتدريس، حتى وافاه الأجل في منتصف شعبان ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) بمكانه من غيل باوزير، ودفن خارج مسجده وبجانب الجدار الشرقي وهو اليوم داخل المسجد بعد التوسعة والتجديد.

والذي لا شك فيه أن الشيخ كان يتردد على مدينة الشحر ليأخذ منها كل ما يعن له أو يساعده في بناء المسكن والمساجد والمدرسة وحفر العيون والآبار وشق الترع وتمهيد التربة، وكذا وسائل التعليم من كتب وكراسات وأوراق وأقلام وغير ذلك مما يحتاج إليه المعلم والطالب ويحتمل أن يكون قد أسس مسجده بالشحر في هذه الفترة.

ولا توجد ترجمة مفصلة لحياة هذا العلم، ولكن المعروف أنه درس على كبار علماء عصره في حضرموت وعموم اليمن والحرمين الشريفين كما يشير إلى ذلك المؤرخ سعيد عوض باوزير في كتابه (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي) ص١٣٩، ومن يريد الاستزادة فعليه الاطلاع عليه وعلى كتابه الآخر (صفحات من التاريخ الحضرمي).

ويتكون المسجد من بيت الصلاة الصغير وله اسطوانة واحدة تتوسطه تعلوها أربع قباب صغيرة هي سقف بيت الصلاة والقباب مخروطية الشكل وله خمسة أبواب تفتح على صحن المسجد الذي يحيط ببيت الصلاة من الشمال والجنوب والجهة الشمالية تشكل رواقاً ضيقاً له اسطوانة واحدة مع الجدار الأمامي والمحراب عادي جداً وله زخرفة نباتية جصية وللمسجد

مئذنة اسطوانية شحرية لا مثيل لها إلا في مساجد مدينة الشحر وقد أزيل طابقها العلوي منذ سنين القرن الماضي كما قيل لي لتشققها وخيف سقوطها، والميضاءة من الجوابي والحنفيات وغيرها في الجزء الشرقي من المسجد وللمسجد باب رئيس واحد يفتح عند الجهات الشمالية وبعد الرواق مباشرة، والبناء كله من اللبن والطين المجلد والمنور بالكلس.

ومن المؤكد أن بناء المسجد قد تجدد مرات لم نقف عليها ولكن التجديد الأخير تولاه الشيخ محمد سعد بربيد من أهالي الشحر وكان ذلك في نهاية عام ١٩٩٣م، وكان الدعم من قبل المديرية تمثل في منحه أربع قطع أرضية قابلة للبيع إضافة إلى مبالغ مالية من خارج الجمهورية.

٨ـ مسجد باهراوة باقرين :

يقول أهل الشحر إن هذا المسجد الذي يقع بمدينتهم يحمل اسمين، هما مسجد باقرين ومسجد باهراوة، وهناك ما يؤيد قولهم من الرواة وما جاء في الكتب والسجلات والوثائق.

ففي سجلات الأوقاف بالشحر يعرف بمسجد أحمد باقرين وفي قائمة الأستاذ محمد بامطرف مسجد حسين باهراوة (باقرين)، لقد جعل اسمه الثاني بين قوسين وذلك ضمن قائمة المساجد الموجودة والعامرة قبل معركة الغزو البرتغالي على مدينة الشحر في ١٠ ربيع الثاني ٩٢٩هـ ـ ٢٨ فبراير ١٥٢٣م ومثل ذلك عند المؤرخ الشاعر عبد الله باحسن في كتابه (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) المخطوط، في بابه الثاني الذي ذكر فيه مساجد المدينة العامرة والمندرسة والداثرة، واكتفى كل من عبد الخالق يسر وأحمد الملاحي ومبارك الأرضي وسالم هلال وطاهر الأرضي بذكر (مسجد باقرين) فقط في وثائقهم.

ونحن نلاحظ أن بمدينة الشحر عدد من العلماء من آل باقرين، عرفنا المتأخرين منهم، فقد ذكر القاضي بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي في كتابه (السلوك في طبقات العلماء الملوك) ما نصه: «إن من أهل الشحر (حسن بن علي باجبير، فقيه صالح، يدرس بمسجد يعرف بأبي قرين، وتوفي سنة ٧٣٢هـ» ج٢/ ٤٦٠. وهذا يدل على اسم المسجد القديم وهو على الأقل في الربع الأول من القرن الثامن الهجري.

أما الفقيه الشيخ أحمد سالم باقرين، فقد كان أحد ذوي الفضل وممن كانوا في القمة من شخصيات عصرهم الذين تولوا التنديد بسياسة السلطان أبي طويرق بدر بن عبد الله الكثيري (٩٠٢ ـ ٩٧٧هـ ـ ١٤٩٧ ـ ١٥٧٠م) ومنهم الشيخ أحمد بن علوي باجحدب وهو من أهالي مدينة تريم ولما كانت بينهم صحبة ـ أي باقرين وباجحدب ـ ظن بعض المؤلفين أن باقرين من شيوخ تريم، بينما يؤكد المؤرخ سعيد علي بامعيبد صاحب كتاب (زاد الأسفار في أخبار الشحر وعدن ومالابار) بأن الشيخ أحمد باقرين من أهالي الشحر. (انظر بامطرف،السبعة ص ١٣٤) ويتضح أن الشيخ أحمد من رجال القرن العاشر الهجري، إلا أنه ربما يكون هناك من حمل هذا الاسم (أحمد) من رجال القرن الثامن أو ما قبله، فنسب المسجد إليه لأسباب تأسيسه أو عمارته أو إمامته أو مما له أي صلة بذلك المسجد كما جاءت التسمية في سجلات الأوقاف.

ويلاحظ أنه في القرن العاشر الهجري، وربما قبله انتشرت مواقع التعليم في مدينة الشحر التي شهدت عصراً مزدهراً عند ذلك الوقت، فقد كانت هناك مدارس تعرف (بالزوايا) تقدم

دروساً في الفقه واللغة العربية، كزاوية باغشير وباعامر وباعديلة وبابهير وباهارون، وكانت خمسة من مساجد الشحر العامرة تلحق بها مدارس قرآنية، وهي:

١ـ مسجد جامع الشحر، بحي القرية.

٢ـ مسجد الشيخ عبد الرحيم عمر باوزير، بحي الحور (الحوطة حالياً).

٣ـ مسجد الشيخ حسين باهراوة (باقرين)، بحي عقل باغريب.

٤ـ مسجد الشيخ أحمد بن جوبان، بحي الرباط شرقي المدينة.

٥ـ مسجد الشيخ أحمد عمر الذييبي (باذييب) بحي عقل باعوين.

إضافة إلى مسجد الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، الذي يقوم بالتدريس فيه مؤسسه بنفسه (في زمنه)، وقيل إن الذي أسسه ودرس به ابنه عبد الرحمن، لكن المسجد يعرف اليوم بمسجد (قبة مزروع) ذلك لكونهم أسسوا به مدرسة ملحقة.

ولعلنا نجد الكثير من العلماء بالمدينة في هذا القرن منهم الفقيه عبد الله عمر بامخرمة صاحب الفتاوى والفقيه محمد عمر بحرق الشحري صاحب التآليف الكثيرة والفقيه عبد الله عبد الرحمن بافضل صاحب المقدمة الحضرمية والفقيه عبد الله باسرومي والفقيه القاضي عبد الله بن عبسين وغيرهم (انظر النور السافر للعيدروس) وغير خافٍ على أحد من أن ثلاثة من قادة مقاومة الغزو البرتغالي السبعة كانوا مدراء مدارس، وهم:

ـ الشيخ يعقوب الحريضي، مدير مدرسة باهارون.

ـ الشيخ أحمد بن عبد الله بافضل، مدير مدرسة بافضل.

ـ الشيخ فضل رضوان بافضل، مدير مدرسة بابهير، وكان الثلاثة من الفقهاء المشهود لهم بالفضل، وقد استشهدوا.

وهذا ما استطعنا معرفته من أمر التسمية الأولى (باقرين)، أما أمر التسمية الثانية (باهراوة) فإن الشيخ محمد علي خرد يذكر في كتابه (غرر البهاء الضوي) ترجمة الشيخ عبد الله العيدروس بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف وأنه تلقى دروسه بالشحر (على الفقيه عبد الله باهراوة والفقيه عبد الله باغشير والفقيه علي بن محمد علي باعمار) ص ١٠٣، والأخير يسكن بلدة عرف، وقد ذكر صاحب المسجد قائلاً: (الفقيه الولي حسين بن محمد باهراوة الشحري) ص ١١٢، وأورد ثمانية أبيات من قصيدة له رثى بها الشيخ عبد الرحمن السقاف المتوفى بتريم عام ٨١٩هـ:

قالوا سلوت عن الأحبة قلت: لا ... كيف اصطباري عنهم وتجلدي
كيف السبيل إلى السلو وقد سطا ... خطب الفراق على الهمام الأمجد
شيخ الأئمة ذي السماحة والندا ... كنز العلوم الزاهد المتعبد

وعلى هذا فإن الشيخ الفقيه الشاعر من رجال القرن التاسع، ويصفه المؤرخ باحسن في تاريخه المخطوط (النفحات..) قائلاً: (والشيخ حسين من مشاهير الرجال، ويعد من العارفين والعلماء العاملين، وله الخوارق التي شاع ذكرها، حيث شهد من داخل قبره على صاحب الوديعة.. فاستغفر الرجل وتاب، وإلى هذه الكرامة أشار الشيخ عبد الرحمن باكثير في وسيلته بقوله:

وأبي هراوة الشهير حسين من ... شاعت مناقبه التي لا تجهل
أدى الشهادة في قضية مدعٍ ... من قبره إذ هو لها متحمل

وهذه الكرامة سقناها على رأي باحسن الذي يهتم بمثلها كثيراً عندما يذهب إلى كتابة تراجم الرجال فينسبهم إلى المتصوفة المكاشفين، لكن الذي يهمنا أن نعرف مكانة صاحب المسجد عنده وفي مجتمعه، ثم إنه أورد قصيدة له مع أربع رباعيات قائلاً: (ومما نسب إليه) ومنها:

يـاظبي سـمعون وا مكحـل العـين خـذ هـاك الفـين
وجـد بوصـلك وا ملـيح يـا زيـن مـا بيننـا البـين
إن قلـت لي لبـين والـف لبـين شـاعطيك لاكـين
مـا عاشـق إلا يكـون صـبار كتمام الاسـرار... الخ

وقال باحسن: (وكلامه عزيز الوجود إنا البركة في الموجود، وله مسجد مشهور يعرف بباقرين ولم أعلم حقيقة نسبه، وقبره داخل قبة الشيخ سعد بن علي الظفاري بالشحر ولم أتحقق من تاريخ وفاته بعد البحث والسؤال) وعلى أي حال فهو من رجال القرن التاسع الهجري، والمسجد الذي ينسب إليه قائم العمارة إلى يومنا هذا، ويقع إلى الشمال من قصر أو حصن الدولة المعروف بدار ناصر.

فمنذ أول أعوام الوحدة اليمنية، والتفكير جارٍ لإعادة بنائه بما يتناسب وموقعه في سوق البلد وفي عام ١٩٩٥م قام إمام المسجد الشيخ سعيد سالم بن بريك بمعية لجنة من تسعة أشخاص يرأسها الشيخ عبد القادر عبود صياد بمباشرة إعادة إعمار المسجد بالحجارة بعد أن تصدعت عمارته الطينية السابقة علاوة على قدمها وتآكل خشب سقفها تطلب الأمر معها الإعادة والتوسع لتستوعب عدد المصلين ولكون البناء القديم رديء التخطيط ضاع معه بعضاً من مساحة لمسجد ولكون المساحة المضافة للمسجد تساعد لغرض التوسع.

ولأن اللجنة مزكاة من رئيس مكتب فرع إدارة الأوقاف بمديرية الشحر وبمباركة الداعية الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي والداعية القاضي عبد الله محفوظ الحداد وذلك على رسالة موجهة من اللجنة إلى أهل الفضل والإحسان مؤرخة ٥/ ٧/ ١٩٩٥م فقد شارك جمع من أهل الخير في جمع التبرعات من التجار وغيرهم في الداخل والخارج، والتي مكنت اللجنة من بناء المسجد وطلاء جدرانه وتنويره بالمصابيح الكهربائية وتهويته بالمراوح وتوفير المياه العذبة للميضاءة والماء البارد للشرب والفرش المناسبة الجديدة.

وقد عرفت المسجد وإمامه من الصديق وزميل الدراسة المحامي بمدينة أبو ظبي الأستاذ أحمد عبد الله أحمد اليزيدي، وهم من ساكني مدينة الشحر، والزميل أحمد لا يألوا في تقديم المساعدة الكبيرة في طباعة ونشر بعض ما قدمته ومنها هذا الكتاب.

وكنت أتردد على المسجد خاصة في صلاة العصر في الأيام الأخيرة وعندها عرفت الشيخ الوالد عبد الله أحمد اليزيدي، وكان من عادته أن يقرأ ويشرح فقرات بما يتسع الوقت من كتاب صحيح الإمام البخاري على مدار السنة ثم يحتفل ومن معه أيام شهر شعبان من كل عام ويحضر معه عدد من وجهاء المدينة ومنهم على سبيل الذكر الشيخ أحمد عبد الله قشمر بافضل والشيخ أبو بكر سالم باذيب والشيخ سالم عبد الرحمن باجرش ويدعو الحضور لتناول الفطور في بيته، وكان الشيخ اليزيدي قد تلقى تعليمه من الشيخ سالم الكلالي ومن زملائه في مدرسة مكارم الأخلاق منهم الشيوخ سعيد سالم بن سرور وعبد الله أحمد الناخبي وقد رشح للقضاء بمدينة الشحر فاعتذر عن ذلك، وكان الراحل كما عرفناه مثالاً للمحبة والإقدام والوداعة، وقد ذكر المؤرخ مبارك صالح الأرضي الشيخ الذي يكلف من مكتب الأوقاف

بخرص نخيل المسجد وبيع ثمرته وجعلها من مدخرات المسجد وكان ثقة على كل الناس ومنهم إدارة الأوقاف بالشحر رحم الله الجميع وبارك الله في كل من قدم يده للمساعدة عمراً وصحة ومالاً وخيراً.

٩ـ مسجد باغريب :

وصاحب هذا المسجد هو الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد باغريب وقد جاء ذكره في النفحات المسكية لأخبار الشحر المحمية الذي وضعه المؤرخ عبد الله محمد باحسن لكنه لم يزد عند ذكره لهذا المسجد على: (مسجد الشيخ باغريب وهو كبير ومتسع) وفي كتاب المشرع الروي للشلي عند ترجمة الشيخ عمر المحضار السقاف قال: (وتخرج به كثيرون من أجلهم... والشيخ سعيد بن أحمد باغريب الشحري).

وفي الشهداء السبعة لبامطرف جاء بأن حي عقل باغريب الذي يقع فيه المسجد ينسب إلى الفقيه الشيخ سعيد بن أحمد باغريب صاحب المسجد وتلميذ الشيخ عمر المحضار السقاف ووالد الشيخ أحمد سعيد باغريب الذي نقرأ بعضاً من حوادث هذا الرجل العظيم القدر مع الحاكم بدر بن عبد الله أبو طويرق وعند ذكر مساجد الشحر العامرة عام ٩٢٩/ ١٥٣٢م أي عند غزو البرتغاليين للشحر ذكر للمسجد باسم: مسجد الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد باغريب وقيل إن صاحب المسجد هو احمد بن سعيد باغريب كما جاء في وثيقة الشيخ طاهر علي الأرضي المتوفى في يوم الخميس ٤ جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ الموافق ١١/ ٥/ ١٩٧٨م.

ولم نقف على تاريخ ميلاد هذا الرجل ومكانه ولا وفاته ومكانها ولكننا نعلم أن ابنه الشيخ أحمد بن سعيد الشاعر الفلكي الفقيه الذي يطلق عليه أهل الشحر لقب (المعلم) كان في السبعين من عمره عندما أمر السلطان بدر أبو طويرق بجلده في ساحة سوق الشحر بعد صلاة العصر، وكان الشيخ باغريب قد لام السلطان على شراء بضائع أهالي الشحر التي نهبها القراصنة البرتغاليون عندما عرضوها في سوق الشحر فقام السلطان بدر وجلد الشيخ باغريب وحبسه، وعلق الربان باسباع بأن باغريب ليس من التجار ولكنه رجل شجاع من أهل الخير ولما وقف أهالي الشحر في صف باغريب عاد السلطان وأطلق باغريب من الحبس وأعطاه رضوة مقابل الجلد ولكن الشيخ لم يقبل العطاء، وعلى أي حال فإن آل باغريب أسرة كبيرة منها من هم موجودين في مدينة الشحر.

وبالمناسبة فإن المؤرخ عبد الله محمد باحسن ذكر مسجد باغريب في كتابه النفحات كما قد مر معنا قائلاً: (والقائم في ذلك الزمان بوظائف المسجد المذكور السادة آل باعمر وبيتهم قريب من المسجد وكانوا أهل علم وصلاح وتقوى ومال واسع ولم يبق أحد منهم الآن في بندر الشحر والكثير منهم بمدينة ظفار) بسلطنة عمان.

والمسجد قد جدد قديماً وحديثاً لكن مئذنة المسجد تركت كما كانت ربما في شكلها القديم تقام على قاعدة مربعة تعلوها المئذنة الاسطوانية التي تشابه المآذن في مدينة الشحر ونواحيها وهي لا ترتفع كثيراً، ويكون بيت الصلاة فيه في الجزء القبلي البحري في شكل واسع ويحيط الصحن ببيت الصلاة من جهتين والميضاءة بالجزء الشمالي الغربي من المسجد وللمسجد بوابتين واحدة شرقية وأخرى شمالية والمسجد معمور بالبناء والمصلين.

١٠ـ مسجد بن مزروع :

جاء اسم هذا المسجد في قائمة المساجد العامرة أيام الغزو البرتغالي على مدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) ويحتل الرقم (١٠) من تلك القائمة التي وردت في صفحتي ٢٨/ ٢٩ من كتاب الأستاذ المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف (الشهداء السبعة) مع ملاحظة أن موقعه حي القرية وأن مكانه لا يعرف الآن، وقد ورد اسمه هكذا مسجد الشيخ عبد الرحمن بن مزروع.

وقد جاء اسمه كاملاً في تاريخ الطيب الشحري محمد عمر بافقيه من تحقيق الأستاذ عبد الله محمد الحبشي مع ذكر وفاته قائلاً: (وفيها (٩١٣هـ) توفي الفقيه الصالح العالم العلامة وجيه الدنيا والدين عبد الرحمن بن محمد بامزروع رحمه الله) ص٨٢، وأضاف الأستاذ المؤرخ سعيد عوض باوزير في كتابه (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي): (العلامة الفقيه المعروف عبد الرحمن بن محمد بن مزروع الشبامي، له فتاوى مشهورة، وكان أحد رجال الفقه والفتوى المشهورين) ص١٥٠.

ووآل مزروع أو بامزروع من فروع قبائل كندة سكنوا شبام، ومنهم من سكن مدينة الشحر، وهم بيت علم وصلاح وولاية وقضاء، اشتهر بذلك كثير منهم كما ذكر ابن جندان في الجزء الأول الخاص بقبائل كندة من كتابه مختصر (الدر والياقوت في معرفة عرب المهجر وحضرموت)ص ٢٥٥، ولم يذكره المؤرخ باحسن في الجزء الخاص بمساجد مدينة الشحر الذي جاء بعنوان (مساجدها العامرة والمندرسة) لكنه عند ذكره جامع مدينة الشحر والمساجد المندرسة التي كانت حوله ذكر أحد المساجد قائلاً: (ومنه إلى الجانب الشرقي مسجد وقبة، اندرس) وهذا دليل على أنه لا يعرف المسجد ولا اسمه ولكني على شيء من

التأكد بأنه مسجد بامزروع ليس غيره، ولعلي أستبقي الحديث عن هذه الأسرة فسوف تمر معنا عند ذكر مسجد الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي.

إن كلمة (با) التي تسبق أسماء بعض القبائل والأسر الحضرمية في منطقة الشحر وأجزاء أخرى من حضرموت، هي من رواسب اللغة الآرامية (إرم عاد) التي كانت متمركزة في مدينة حريضة،وأضيف أنها تستعمل إلى اليوم لتعني (ابن) فباصالح يعني ابن صالح وهكذا.

إن على مكتب الأوقاف بمدينة الشحر أن تفرض على الأهالي الذين تقع مساكنهم حول الموقع المتوقع أن يكون مسجد الشيخ عبد الرحمن بن مزروع أو غيره من المساجد المندرسة والتي لا يعلم حقيقة موقعها الحضور إلى المكتب أو المحكمة الشرعية بالمدينة مصحوبين بوثائق ملكياتهم لتلك المساكن المواجهة للموقع وفيها سنجد اسم المسجد لا محالة خاصة عند تحديد مواقع سكنهم كقولهم يحدها قبلياً الفضاء أو مسجد فلان أو منزل علان، هذا إذا لم يكن للرغبة من الأهالي أنفسهم التعاون مع الجهات المختصة، طبعاً بعد إعلامهم بأن يفيد المحكمة وإدارة الأوقاف باسم المسجد الذي ذكر في وثائقهم، وبالله الاعتماد.

١١ـ مسجد باسرومي :

يحتل هذا المسجد (١١) من القائمة التي أوردها الأستاذ المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه الشهداء السبعة باعتبارها من المساجد من المساجد العامرة عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) وقت أيام الأحداث للغزو البرتغالي على مدينة الشحر مع ملاحظة قوله إن مكانه حي القرية وهو غير معروف الآن.

وقد اختطه الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله أحمد سرومي الشحري وترجمته في الصفحات (٣٥٧ـ٣٥٨) من الجزء العاشر كتاب (النور السافر عن أخبار النور السافر) لعبد القادر العيدروس في أحداث سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م) حيث جاءت أخبار وفاة القاضي باسرومي في شهر القعدة من نفس السنة بعد أن وصل إلى مكة قبل الحج رحمه الله.

وكانت ولادة هذا الفقيه القاضي ببلدة الشحر ونشأ بها وقرأ بها القرآن ثم ارتحل لطلب العلم إلى زبيد وأخذ على إمامها كمال الدين موسى بن الزين، والعلامة جمال الدين محمد بن حسين القماط وغيرهما، ثم رجع إلى بلده الشحر وأخذ عن عالمها الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن بافضل المعروف ببلحاج ولازمه ثم سعى له الفقيه عبد الله رحمه الله في وظيفة القضاء في آخر أيام السلطان عبد الله بن جعفر فولاه القضاء وذلك أول سنة ٩١٠هـ (يونيو ١٥٠٤م) بعد وفاة القاضي الصالح عبد الله بن عبسين بنحو سنتين.

ولم يزل متولياً قضاء الشحر إلى أن عزم إلى الحج وكان رحمه الله تعالى يحب الطلبة ويؤهلهم ويحب الإفادة والاستفادة وكان لطيفاً قريب الجانب سليم الباطن.

حكى صاحب النور السافر عبد القادر العيدروس أنه قدم بعض السواح إلى الشحر فقام إلى القاضي عبد الله فسأله قائلاً: (يا سيدي كيف الطريق إلى الله تعالى؟) فأطرق القاضي ساعة ثم قال: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فخر ذلك السائح على أقدام القاضي يقبلها وقال أنه كان يعتني بحاشيته على الروض لكنها خفيت في آخر أيامه وبعد وفاته والسبب في ذلك أن أحد أولاده دخل بها إلى الهند حتى أنها عدمت ولم تظهر) ص٢٨٢.

وفي تاريخ بافقيه الشحري قوله: (وفي شهر ذي القعدة ٩٤٣هـ الموافق (١١ إبريل ١٥٣٧م) توفي الصالح القاضي عفيف الدين عبد الله أحمد باسرومي بمكة) ص٢٤١ وجاء مثل ذلك عند لمؤرخ سعيد عوض باوزير في الفكر والثقافة الحضرمي ص١٤٧.

وبمناسبة قول بامطرف بأن المسجد (يقع في حي القرية ولا يعرف مكانه الآن) فقد وقفت مع أكثر من مسن من أهل هذا الحي خاصة تلك البقعة المتروكة من وسط الحي وبين المنازل السكنية وفي مكان أقرب لمسجد الجامع وهي إلى غرب مساكن آل عماني سعيد سالم عماني وإخوانه وغرب بيت المصعري وجنوب منزل أبو عقاب الحضرمي اليافعي الملقب (فعفع) ومنزل حسن بالليل وإلى الشرق من بيت آل باناصر.

وقد تركت تلك المساحة لتحتلها العديد من الصنادق وصنادق الأغنام والحاجات المعطوبة والمتروكة وبالظن القريب من الصحة أن هذه المساحة كانت لمسجد الشيخ عبد الله أحمد باسرومي أو لمسجد عبد الرحمن بامزروع وقد فشلت تماماً في الاطلاع على بعض وثائق الأهالي المجاورة منازلهم لهذه الساحة فربما جاء فيها ذكر للمسجد ومكانه واسمه، والله ولي التوفيق.

١٢ـ مسجد إبراهيم الديني :

ورد اسم هذا المسجد ضمن المساجد العامرة أيام الغزو البرتغالي التأديبي لمدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) باسم مسجد إبراهيم الديني بافضل، ويقع هذا المسجد الصغير نسبياً يحي عقل باعوين غير بعيد من مسجد علي عبد الله بافضل ومسجد علي بن أحمد بن قبولة ولكنه قريب جداً من مساكن هذه الأسرة الشهيرة بالعلم والفضل والصلاح والتي تنتمي إلى

سعد العشيرة المذحجيين ويعتقد أنهم انتقلوا من مدينة تريم واختاروا هذه البقعة من مدينة الشحر لتكون محلتهم وجاورهم من الغرب بعض الأسر التي انتقلت من تريم والبلدان المجاورة لها مثل الأسر آل باحويرث القضاعية وغربهم أسر آل العيدروس العلوية ونحن نجد إلى اليوم مساكن هذه الأسر ملتفة على بعضهم ومتجاورة لبعضهم.

والمعروف بين الناس الذين ما يزالون يتبادلون هذه المعلومة أن صاحب المسجد أحد أبناء الفقيه الشيخ عبد الله بلحاج بافضل صاحب المقدمة الحضرمية في الفقه الذي لم يزد المؤرخ باحسن عند ذكره أولاد الشيخ على أن قال: (الشيخ إبراهيم وكان إماماً فاضلاً بارعاً في العلوم وتوفي سنة ٩٦٨هـ) والتي توافق ١٥٨٩م لكنه لم ينسب إليه هذا المسجد بل قال عند ذكره لمساجد الشحر: (مسجد إبراهيم بن أحمد الديني بافضل) وتذكره وثائق الشيخ عبد الخالق اليزيدي باسم إبراهيم ابن الفقيه عبد الله بلحاج ووثائق الشيخ طاهر الأرضي تورده باسم إبراهيم بن أحمد ونعتقد أن هذا الاختلاف حول اسم والد صاحب المسجد هو الذي حدا بالأستاذ محمد عبد القادر بامطرف أن يقتصر اسمه على القول: (مسجد الشيخ إبراهيم الديني) وأن يغفل اسم والده ومنذ فترة ليست بالقصيرة سألت عدداً من آل بافضل وبعضاً من المعمرين بالحي القريب من المسجد فلم أفز بطائل لكن أحدهم أشار إليّ بأن الرجل من صغره وهو متدين وليس له أية صلة بقبيلة (الديني) الحضرمية فأطلق عليه الديني.

والمسجد صغير جداً خاصة بيت الصلاة وعندما تم التفكير في توسعته امتد جنوباً ليكون صحن المسجد وتلته الميضاءة وعلى هذه الحال عرفت المسجد منذ ما يزيد على نصف قرن فهو أقرب إلى مسكن أسرتي والبيت الذي ولدت به في تاريخ ٢٦ إبريل ١٩٤٦م، وبالله الاعتماد.

١٣ـ مسجد بن عمران :

تذكر سجلات الأوقاف هذا المسجد باسم أحمد بن عمر بن عمران وهو من المساجد المباركة المأثورة القديمة وعد باحسن صاحبه ضمن قائمة المشايخ الذين لم يتحقق له شرح أحوالهم وتواريخ وفياتهم غير ما اشتهر من أسمائهم ومحلاتهم وقال عنه: (الشيخ أحمد باعمران قيل أنه مدفون في قبلة مسجده المعروف وهو من أكابر الصالحين ومسجده من أشهر مساجد الشحر)

ويقع المسجد في حي عقل باعوين وبفوهة سوق البز بالبلد من جهة الشرق والمعروفة بسوق شبام وهو قائم البناء معمور بالمصلين إلى يوم الناس هذا وكان موجوداً بكامل البناء عند الغزو البرتغالي التأديبي للشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) ولهذا فإن شك الأستاذ أحمد عبد الله السقاف في كتابه (خدمة العشيرة بترتيب شمس الظهيرة) في غير محله فقد ورد عنده وفي هامش الصفحة (٤٦) من الكتاب المذكور آنفاً من أن في مدينة الشحر مسجد معمور بالمصلين والدارسين في الوقت الحاضر سمي مسجد بن عمران فهل هناك علاقة بالحبيب عقيل بن عمران بذلك المسجد؟

ونحن ننفي أية علاقة به إذ أن الشيخ عقيل المذكور توفي في عام ١٠٦٣هـ (١٦٥٢م) بظفار وقد زار فعلاً حضرموت مرتين عند ذهابه وعودته من حج بيت الله وقد اطلعنا بناء على إشارته على تاريخ ثغر الشحر لباحسن وعلى المشرع الروي للشلي وخاصة ترجمة علي بن عمر بن علي وترجمة الأستاذ عقيل بن عمران.

أما محمد ضياء شهاب محقق كتاب شمس الظهيرة فقال: (عقيل بن عمر (عمران) بن عبد الله.. ولد بقرية الرباط من قرى ظفار الحبوضي ١٠٠١هـ (١٥٩٢م) وتلقى عن العلماء).

وعبدالله الحبشي ترجم هذا العلامة في كتابه (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن) وذكر كتبه مع تصنيفها فقال: (عقيل بن عمر المشهور بعمران بن عبد الله بن علي بن عمر بن سالم.. عاش بقرية مرباط بظفار وتلقى علومه بالحرمين واليمن وتوفي بظفار ١٠٦٢هـ (١٦٥١م).

وقد ذكر بعضاً من كتبه في الكلام والفقه والتصوف ولاحظنا أنها كلها مخطوطة وأن كتابين فقط في التصوف مخطوطين بمكتبة الأحقاف بتريم، أحدهما (حلية المسافر) وهو شرح منظومة في التصوف للشيخ سعيد عمر بالحاف وهو مخطوط بمكتبة الأحقاف تحت رقم (٢٦٠٥) مجاميع وبالحاف هذا هو صاحب مسجد بالحاف الكائن بحي المجرف بالشحر (انظر ترجمته في هذا الكتاب).

وقد نبهنا الحبشي إلى مصادره التي رجع إليها عند ترجمة عقيل هذا وهي : البدر الطالع ١٤٩، الجواهر والدرر للشلي، والمشرع الروي له أيضاً ٢/ ٢٠٣، عقد اليواقيت ٢/ ٨٧، وخلاصة الأثر للمحبي ٣/ ١١٤.

واختلف علوي محمد بافقيه في كتابه (البضعة المحمدية) في اسم هذا الكتاب حيث يقول: (إن الشيخ سعيد عمر بالحاف له مؤلف يسمى(سفينة المسافر) عليه شرح من الحبيب

عقيل بن عمران) ويضيف (أطلعت على مصورة لهذا الكتاب في مدينة صلالة عند السادة آل باعمر).

وبالرجوع إلى مخطوطة الأديب الشاعر باحسن النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية نجد بالقسم الثاني منه قسماً خاصاً بالمساجد في الشحر وعند ذكره للمسجد قال: (مسجد الشيخ أحمد باعمران وهو من المساجد المباركة المأثورة القديمة) لكنه عند ذكره لمسجد الشيخ باغريب وهو الذي ينسب إليه حي عقل باغريب، قال: (القائم في ذلك الزمان بوظائف المسجد المذكور السادة آل باعمر وبيتهم قريب من المسجد وكانوا أهل علم وصلاح وتقوى ومال واسع، ولم يبق أحد منهم الآن ببندر الشحر والكثير منهم بمدينة ظفار ومنهم السيد عمر باعمر شارح قصيدة حلية المسافر).

وعلى هذا لم نستطع العثور على أية ملاحظة تؤكد أو تؤيد الإشارة أو السؤال الذي طرحه الصحافي أحمد السقاف في كتابه (خدمة العشيرة) عن علاقة عقيل بن عمران بمسجد بن عمران بالشحر والعكس من ذلك فقد وجدنا اسم المسجد مدرجاً ضمن قائمة المساجد العامرة بمدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) أي قبل أحداث الغزو البرتغالي على مدينة الشحر ويحتل هذا المسجد الرقم (١٣) من تلك المساجد العامرة في ذلك الزمان جاء ذلك في كتاب (الشهداء السبعة) الذي وضعه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف. (انظر ص ٤٧).

وفي أحداث عام ٩١٣هـ (١٥٠٧م) ذكر المؤلف أحمد بن عبد الله شنبل إن فيها فرغ الفقيه شهاب الدين أحمد ابن الفقيه عبد الله من قراءة تفسير البغوي على والده الفقيه عبد الله

بن عبد الرحمن بافضل بالشحر المحروسة بمسجد بن عمران وهذا يدل على أن الفقيه عبد الله يدرس بالمسجد أيام إمامته لهذا المسجد (ص٢٨).

وفي نفس السنة (بني حمام مسجد بن عمران) ويعني بناية بيت الصلاة الذي تسميه تواريخ حضرموت (الحمام) الكلمة التي لا تروق لي أبداً.

وقد أكد المؤرخ عبد الله باحسن في كتابه النفحات المسكية إن الشيخ عبد الله كان إماماً لمسجد (بن عمران) وله درس به عصراً وقد توفي هذا الإمام سنة ٩١٨هـ (١٥١٣م).

وذكر الشلي في كتابه (السناء الباهر) الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله باعمران الشحري، هكذا، جاء ذكره عند ترجمة صديقه في التلمذة عبد الله بن عمر بامخرمة الذي ولد بالشحر.

وقد وصف الشلي باعمران الشحري هذا بأنه من أجل تلاميذ الفقيه عمر عبد الله بامخرمة الذي تصوف فيما بعد وتوفي بسيئون تحت الإقامة الجبرية عام ٩٥٢هـ (١٥٤٥م) لكني لم أجد فيما بين يدي من كتب شيئاً آخر عن هذا التلميذ الفقيه باعمران الشحري، ولو أنه لم يرد شيء عن فترة التلمذة عن صديقه عبد الله بن عمر بامخرمة الذي عرف فيما بعد بالشافعي الصغير، لما عرفنا عن باعمران الشحر حتى هذه.

إن هذا قد أفادنا بأن الشيخ عمر عبد الله بامخرمة قد افتتح مدرسة بالشحر أو أنه على الأقل قام بالتدريس في بيته أو بأحد المساجد ومن تلاميذ هذه المدرسة ابنه عبد الله بن عمر (الشافعي الصغير) وصاحبه الشيخ باعمران الشحري.

إن أسرة آل باعمران أو ابن عمران الشحارية أنجبت علماء وفقهاء منهم الشيخ عبد الرحمن عبد الله بن عمران الشحري تلميذ الشيخ عمر بامخرمة وصديق عبد الله عمر بامخرمة وأنجبت الشيخ أحمد عمر بن عمران صاحب المسجد بالشحر.

ومن هذه المعلومات وتدريس العلامة الفقيه عبد الله بلحاج وإمامته للمسجد وتدريس عمر عبد الله بامخرمة ومن قائمة المساجد العامرة أيام أحداث الغزو البرتغالي على الشحر نستطيع القول إن مسجد بن عمران من مساجد القرن التاسع الهجري على أقل تقدير.

ولم أستطع الوصول إلى معرفة صاحب هذا المسجد ولا مؤسسه ولا حتى تاريخ تأسيسه وإلى اليوم الذي أحبر فيه كتابي هذا عن تاريخ مساجد الشحر وأصحابها، وفي أوائل أيام النصف الأخير من شهر ديسمبر عام ٢٠٠٨م مررت صدفة بالجزء الخلفي من سوق البز بالشحر فلم أجد المسجد، لقد أصبح في خبر كان فقد أحالته أجهزة الهدم الجرارات والحفارات والغرافات والناقلات إلى حفرة واسعة هي في الأصل الرقعة التي كان يقوم عليها هيكل بناء مسجد الشيخ أحمد بن عمر بن عمران المكون من بيت الصلاة (الحمام) وصحن المسجد (الضاحي) والميضاءة (الجوابي والحنفيات) ومئذنة المسجد التي تقع في استقلال تام عن الجزء المسقوف من المسجد أعني بيت الصلاة والميضاءة، وفي حقيقة الأمر أنا لا أعلم كيف يسوغ للبعض هدم معالم المدينة واحد تلو الآخر مساجد ومنارات وحصون وديارات وقلاع وبوابات وأضرحة وسقايات ومعالم وبنايات، ولعلي هنا أذكر رسالة وجهها السلطان صالح بن غالب القعيطي (ت ١٩٥٦م)للبيت التجاري آل دريقان، الذين طلبوا السماح لتحقيق رغبتهم في رفع سقف مسجد عمر المحضار الواقع بحي عقل باعوين، السلطان

سمح لهم بذلك لكنه شرط عليهم إتمام البناء وإلا ستحجر الدولة على أموالهم لإكماله والعبرة هنا هي الإذن بالسماح، وهذا دليل على أن الدولة ممثلة في وزارة الأوقاف ومكاتبها بالمحافظات والمديريات وفروعها وهيئاتها هي التي عليها أن ترى الأنسب وماذا يجب هدمه وما الذي يجب إبقاؤه أو إعادته على نفس الحال، وأرى في حالة مسجد بن عمران أن بيت الصلاة فيه قد تشقق نتيجة هطول الأمطار الشديدة الأخيرة في آخر أكتوبر ٢٠٠٨م ـ والتي تأثرت بها الكثير من الأبنية على ساكنيها في محافظة حضرموت على الأخص ولقيت مدينة الشحر النصيب الأوفى ومن ذلك مسكني الذي اضطررت إلى تركه ـ ولا بد من إزالته لكن مئذنة المسجد لم تكن في حالة سيئة وكان بالإمكان ترميمها وإصلاحها، ولا أدري من الذي أصر على إزالتها كلياً وهو في نظري يتحمل المسئولية أمام الله والتاريخ وتراث هذا البلد وهويته، كان على مستوى المدينة أو المديرية أو المحافظة أو الجمهورية.

ولقد كنت مولعاً بالتقاط صور لمآذن مساجد مدينتي الحبيبة الشحر لكني أخطأت عندما لم ألتقط لهذه المئذنة صورة ولعل غيري قد فعل ذلك فيمدنا بنسخة منها وله المزيد من الشكر.

كانت مئذنة المسجد دائرية ولها قسط من الجمال ولم تكن عالية الارتفاع وهو كما أظن يتراوح ما بين الثلاثين والأربعين قدماً، وجمالها يتكرر في طابعها المحلي الصرف ومادة بنائها من اللّبِن النيء المطلي بمعجون من مدقوق اللبن المحروق المخلوط بمادة الكالسيوم المذاب ويسمى (ساروج) ثم رشها بمستحلب الكالسيوم الأبيض.

وعندما كنت أدرس الفقه بهذا المسجد بمعية آخرين على إمام المسجد وخطيب جامع الشحر الشيخ عوض أحمد باحميش (انظر ترجمته بكتابنا تاريخ المكتبة السلطانية بالشحر) فيما بين عام (١٩٥٩ ـ ١٩٦٣) لم يكن بيت الصلاة الذي هدم الآن واستبدلته عمارة المسجد من قبل هيئة الأوقاف بالشحر بل كان غيره وكان من اللبن النيء (المدرس) وقد جدد بالحجارة والإسمنت المسلح الآن ولم أسمع أو أقرأ خبر تجديد آخر قبله غير ما ورد في كتاب تاريخ شنبل الذي نص على قوله(: وفيها (في عام ٩١٣ (١٥٠٧م) بني حمام مسجد بن عمران) ص٢٢٩.

والناس هنا لا يهتمون بمثل هذا وربما سجل أحدهم خبراً عن ذلك في مدوناته اليومية ولم يصل إلينا ذلك، فمن أهل الشحر من يكتب هذه المدونات اليومية وهي على طريقة التاريخ الحولي وبعض أهل مدينتي يهتمون بهذا وقد سمعنا عن مدونتي الربان سالم عوض باسباع وسعيد علي بامعيبد، وهما مرجعان هامان للأستاذ المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف لكتابه (الشهداء السبعة) وهناك مدونة للمؤرخ عبد الله محمد باحسن وكانت مرجعاً للأستاذ بامطرف في كتابة مسرحيتي (سور الشحر) و (حرب الأرادي)، أيضاً هناك مدونة الشيخ علي أبوبكر بامعيبد وقد أحرقها أهله خوفاً كما أشاروا لنا بأنفسهم، وأخرى اطلعنا عليها وهي مدونة الشيخ مبارك صالح الأرضي الذي استمر في تدوينها مدة عشرين عاماً متواصلة. (انظر ما كتبناه عنها بالعدد (٥) من مجلة الفكر الغيلية).

وقبل الختام علي أن أسجل هذه الملاحظة، فقد حفرت الغرافات كل تراب المسجد وبيت الصلاة وغيره من قبلة المسجد إلى آخر جدران المسجد فلم نجد أية جثة لا في قبلة المسجد

ولا في أي ناحية من بيت الصلاة، لقد كانت إشارة المؤرخ باحسن بأن المؤسس الشيخ أحمد عمر بن عمران مقبوراً في قبلة المسجد لا أساس لها من الصحة، فالمؤسس مقبور في مكان آخر لا نعرفه.

١٤ـ مسجد بازيراق :

يقع هذا المسجد الصغير الجميل في حي القرية وهو ما نعتقد أنه مسجد قديم فقد جاء ذكره من بين المساجد المعمورة ببندر الشحر وقت الغزو البرتغالي على الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) مما يدل على أنه ربما كان أقدم من ذلك ويدلنا على قدمه تناسي الناس اسم صاحبه فقد جاء أن اسمه محمد بن علي بازيراك ويؤيد هذه التسمية كل من قائمة المساجد الواردة في كتاب الشهداء السبعة للمؤرخ محمد عبد القادر بامطرف ووثائق الشيخ طاهر علي الأرضي (ت١٩٧٨م) باسم محمد بن علي بن عثمان بازيراك، لكن المؤرخ باحسن في نفحاته يورده باسم محمد بن علي بن عثمان بازروق وهناك تصحيح بالهامش للأسرة: بازيراق، وهي التسمية التي يطلقها أهالي الشحر على مسجدهم إلى اليوم وتتفرد وثائق الشيخ هلال الحبشي بتسمية المسجد بازاراق وأكاد أتفق معه فالناس هناك يضربون مثلاً (إن عدت لك يا بازاراق زرقنا) وقد أشار إلي معلم المسجد الشيخ عبد الله بن زين اليهري بأن صاحب المسجد ينتمي لآل باوزير الحضارم ولكني لم ألتفت إليه لأنه لا يمكن أن يغفله الشيخ سعيد عوض باوزير في كتبه وهو منهم ولم تذكره وثائق الشيخ عبد الخالق اليزيدي في باب مشاهير ببندر الشحر ولم يأت في كتاب باحسن النفحات.. ولم يذكره حتى في تعداد المشايخ الذين لم يتحقق من شرح أحوالهم وتواريخ وفياتهم رغم معرفة أسمائهم المشهورة ومحلاتهم والله أعلم.

وقبل أن أختم ما أكتبه عن هذا البازيراق مكنني الأستاذ أحمد كرامة البحسني مدير محكمة الشحر الابتدائية وهو معتكف الآن على إعداد كتاب أو معجم بالقضاء بمحكمة الشحر الأولية منذ تكوينها مكنني من الاطلاع على وثيقة رسمية صدرت من المحكمة بالشحر تثبت أن اسم المسجد بازيراق وهو من آل باوزير وتؤكد سجلات الأوقاف الرسمية بأنه محمد بن علي بن عثمان بازيراق.

١٥ـ مسجد بالحاف :

اختطه الشيخ سعيد عمر باللحاف بنفسه ونظن أن ذلك تم في حياته وهو من رجال القرن السابع الهجري وقد ورد اسم مسجده ضمن قائمة المساجد العامرة في مدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) وظل هكذا حتى يومنا هذا عامراً بالمصلين، وقد ترجمه عبد الله محمد باحسن في كتابه (النفحات المسكية) وعده من مشاهير الرجال الغوث الكامل الواصل وقال هو تلميذ الفقيه المقدم حيث لازمه فترة طويلة قال ذلك صاحب المشرع الروي وأثنى عليه وقال: (المحبو بخفي الألطاف وهو أحد أكبر تلاميذه) وقال في موضع آخر: (الشيخ المتحلي بالتقى والعفاف) ووصفه صاحب تاريخ حضرموت بأنه (الشيخ الناسك التقي) وذكره أيضاً صاحب (كنز البراهين) شيخ بن محمد الجفري وقد أخذ (أيضاً عن القطب الإماما عبد الله باعلوي وعن والده علوي وأخيه علي بن الفقيه المقدم وعن الشيخ عبد الله إبراهيم باقشير وعن الشيخ عبد الله أكدر وعن الشيخ عبد الله باعباد وعن الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل رحمهم الله) وفي المشرع الروي أنه قرأ على بعض من هؤلاء في التلمذة.

ويقول باحسن: (والمستفاض على ألسنة الناس أنه لم يدرك الشيخ سعد وأنه طلع من حضرموت يريد الاتفاق بالشيخ سعد فوجده قد مات).

ولا يستقيم معنا قول باحسن هذا، فكيف نستطيع أن نعده تلميذاً للشيخ سعد مع هذا الخبر غير المؤكد ومن ألسنة الناس كلاماً يدار هكذا ولا يمكننا أن نثق به أو نصدقه، وكان على الشيخ سعيد أن يعود من حيث أتى وإلى مركز انطلاقته، وإلا فما الذي أعجبه في الشحر حتى يقيم فيها ويبني له مسجداً ويقعد فيه للتدريس ويكون هو الذي فكر في أمر حضرة الشيخ سعد وترتيبها وإن كانت القصائد التي تردد فيها من وضع الشيخ بالحاف نفسه.

إن هذه شائعة بين الناس أوردها باحسن وتوكل على الله وأرفق بها وتلاها قصة وفاة الشيخ سعد على سفينة بعد قفوله من حج بيت الله بالقرب من ميناء بالحاف فأخرجوه إلى الساحل، وساق القصة التي أوردها عند ترجمة الشيخ سعد، وباختصار إن الشيخ بالحاف أركب جثمان الشيخ سعد على جمل وتحرك الجمل بما حمل إلى مكان دفن الشيخ بالشحر، وتمام ما يروون أن الشيخ سعد الذي توفي بساحل الذيبي نواحي بالحاف بعد قفوله من الحج وأنه أوصى أن يحمل على جمل ويدفن في المكان الذي يبرك فيه الجمل.. إلى نهاية القصة في نفحات باحسن.

والملاحظ أن الشيخ سعد كان ذا مكانة كبيرة عند أهالي الشحر وهو في الحقيقة يستحقها، ولكن العوام دائماً ما يضعون على قبور أوليائهم هالة من القداسة ربما لم يكن يقصدها صاحب القبر أو الضريح أو صاحب هذا المرقد، ولكنها بالتأكيد من وضع من لهم مصالح

من ذريته أو من لهم أهداف في إعلاء مكانتهم الاجتماعية حيث تتشكل الأساطير عن طريق الكرامات وخوارق العادات والتي تحاك وتنشر حتى تتأصل في اعتقادات العامة.

إن في قصة جثمان الشيخ سعد وخلفه الشيخ بالحاف والجمل والمكان الذي سيبرك به الجمل، والذي سيكون موضع القبر أو الضريح والشعر الذي يردده الشيخ بالحاف وخلاف القبائل وغير هذا، كل ذلك لم يكن إلا من قبيل وضع هالات من القداسة للقبر وصاحبه وحضرته الأسبوعية، وهي لا شك مستقاة من قصة وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وبناء مسجده بالمدينة المنورة المسجد النبوي، في المكان الذي بركت فيه ناقته صلى الله عليه وسلم بعد أن ألقى بخطامها على غاربها، حرصاً منه على وحدة المسلمين والقضاء على كل شبهة في أن تثور العداوة القديمة. ورغم ذلك فقد بركت الناقة أمام بيت أبي أيوب الأنصاري بإجماع الرواة، وكان بعيداً عن موضع المسجد. أما القصة فقد نشأت بعد ذلك حتى لا يزعم أحد أن له حقاً في أرض المسجد.

لقد ساق لنا المؤرخ باحسن هذه القصة التي تردد عند العامة وكأنها حقيقة لا تقبل الجدال ومثل هذه تروق عند العامة ويحسن اعتقادها. إن أخبار وفاة الشيخ سعد عند المؤرخين تكشف لنا أن هذه القصة مفتعلة ولا أساس لها من الصحة، وقد جاء عند باحسن نفسه قوله: (وعلى كل تقدير لم يثبت شيء من ذلك ولعدم تحقيقه وصحته لم أجزم به) ص٣٦١.

وقد جاء عنده على لسان الشيخ محمد علي باطحان تلميذ الشيخ سعد في نفحات باحسن صفحة ٤٣ أنه توفي بالشحر. وجاء خبر وفاة الشيخ سعد بالشحر على لسان الشيخ بامخرمة

في كتابه قلادة الخرج ٣/ ٢٦٤٤ أيضاً. وجاء كذلك في كتاب أحمد شنبل المعروف بتاريخ حضرموت ص٧١ وذكر ذلك الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه الشهداء السبعة ص٤٥.

وقد رسم لنا المؤرخ باحسن صورة لحضرة الشيخ التي تقام بمسجده ليلة الاثنين من كل أسبوع بعد صلاة المغرب، ويشير لنا بأن جميع الأشعار التي تقدم بها من كلام الشيخ سعيد عمر بلحاف وهو يحاول أن يوفق بين رواية العامة التي سمعها من الناس والتي سقناها من كتابه النفحات المسكية قائلا: (أن هناك بعض دلالات على صحة ما قالوه سابقاً بأن حادي الحضرة المذكورة يسكت أثنائها ويسكت معه المعاونون أيضاً، ثم يرقص بيديه كالمتأسف ويقول: البدر محمد صلوا عليه، ومن المعلوم في قاعدة البلد إن لفظة (البدر محمد صلوا عليه) تقال عند حمل الجنازة، وباعتبار الرقص (التصفيق) الذي يحتمل على الأسف واللفظ فيه نظر إلى صحة ما قالوه والله أعلم) ص٣٦١.

وبعدها ساق لنا أبيات تقال في أول الحضرة:

يا غافلين كم سا تكون غفلة ... مستهلين كم سا تكون مهلة
لا تحسبوا أن الطريق سهلة ... يفرح بها من كان جاهل أبله
توبوا إلى الرب الكريم صلوا ... وحافظوا الأوقات لا تملوا دار
إياكم دار القرار حلوا ... القرار تصلح بها المحلة
يا ناس في الجنة قصور تبنى ... وحور عين تصلح لكل معنى
وأنهار تجري ونخيل تجنى ... أثمارها فوق السرور مظلة

ص٣٦٢.

ثم يختم المؤرخ باحسن ترجمته للشيخ سعيد عمر بالحاف قائلاً: (ومن هذ الكلام الشاهد على جلالة مقامه نكتفي باليسير). وعلى أي حال فإن مقام الشيخ سعيد عمر بالحاف معروفاً عند صوفية حضرموت، وعلى العموم فإن للشيخ سعيد مناقب وفضائل مشهورة في كتب السلف مذكورة.

وللشيخ عبد الله أبو بكر العيدروس بن عبد الرحمن السقاف شرحاً على قصيدة الشيخ العارف بالله التي مطلعها:

نحن لكم من قبل أن يلد نوح وأنتم لنا من قبل أن يخلق اللوح

ولعقيل بن عمر الشهير بعمران المتوفى بظفار سنة ١٠٦٢هـ شرح على قصيدة العارف بالله سعيد بن عمر بالحاف التي مطلعها: (لما بدت لي حيلة المسافر)، سماه (فتح الكريم الغافر في شرح حلية المسافر) لم يسبقه غيره إلى نسج مثله، رتبه على ترتيب السلوك إلى ملك الملوك، مع زيادة أمثلة في معنى السفر الحسي والمعني.

إن قبيلة بالحاف اليوم تعد من قبائل المهرة وهي من فروع تسكن بلدان يروب والفيدمي والحصن ودمقوت وحات، وهم يقولون إنهم انتقلوا في القدم من منطقة بالحاف مديرية رضوم في محافظة شبوة ونعتقد أن الشيخ منهم. وتوفي رحمه الله بمدينة الشحر ودفن في قبة الشيخ سعد الدين الظفاري وقبره تحت جدار القبة من الجانب النجدي، قال باحسن: (ولم أقف على تاريخ وفاته).

١٦ ـ مسجد ابن قضيمتي :

يبدو لي أن الناس هنا لا يعلمون عن صاحب المسجد شيئاً وأنا معهم ومثلهم فالمثل الشعبي المردد عندهم يقول: (ما مع أمك إلا من أبوك) فإني لم أجد من ترجم الرجل أو كتب عنه شيئاً فيما بين يدي من الكتابات ويتهيأ لي أنه له نصيب من لعلم والتجارة إن لم يكن له مركز سياسي أو اجتماعي أو جاه.

والمسجد يقع بحي عقل باغريب أحد الأحياء الكبيرة في مدينة الشحر وهو غرب الساحة الكبيرة التي ربما تكون مكاناً لقلعة قديمة أقيمت في القدم هنا وهو قريب من سور المدينة الحالي وفي القسم الغربي منها.

وهذا المسجد مشهر بالعمارة والمصلين وكان قائم البناء أيام الغزو البرتغالي عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) وبيت الصلاة في هذا المسجد الذي يسميه أهل حضرموت خطأ (حمام) جميل الشكل صغير الحجم يقام على أربع اسطوانات تعلوها قبب (ومنقوش في أحد سقوفه هذه العبارة (مسجد الشيخ أحمد بن قضيمتي بني عام ٨٤٦هـ على يد شخص اسمه محمد بن عبد الرحمن) انظر كتاب الشهداء السبعة حواشي الكتاب صفحة ١٣٥ رقم (٣٨).

وعام ٨٤٦هـ يعادل عام ٤١ـ١٤٤٢م.

وقد كتب الشيخ أحمد عبد القادر الملاحي في مذكرته التاريخية المخطوطة أن المسجد هذا قديم وقد بني سنة ٢٨٠هـ أيام الخلافة الأموية) لكن الدولة الأموية قد انتهت عام ١٣٢هـ

(٧٥٠م) وقامت على أنقاضها الدولة العباسية وكان الخليفة المعتضد بالله هو الخليفة السادس عشر وقد حكم ما بين (٢٧٩ـ٢٨٩هـ) (٨٩٢ـ٩٠٢م).

وقد كلف المؤرخ باحسن نفسه باحثاً عن اسم صاحب المسجد ومعناه فوصل إلى القول: (إنهم اختلفوا في اسمه فقيل إن القوافل لما تأتي من البر كان الشيخ أحمد يطلب من كل حمل حب قضمة فيعطى ذلك من قبيل التبرك) وأظن أن عدم وجود مصادر مكتوبة للتعريف بهذا الشيخ ورأى باحسن أنه لا بد من الكتابة عن هذا المسجد وهو على بعد أمتار من مسكنه فجرى لاهثاً عن معنى لهذا الاسم، فكان هذا التخريف.

وهو هنا قد جعله حاكماً أو متنفذاً يفرض أتاوة على كل من يبرك جمله محملاً أو أنه شحاذ يطلب منهم (قضمة حب) وهذا لا يستقيم مع كونه فقيهاً ومحدثاً وربما تاجراً أو يملك ما يدر عليه دخلاً طيباً ففي عام ٨٤٦هـ (١٤٤١ـ١٤٤٢م) جدد عمارة مسجد جامع الشحر في نفس السنة التي أقام فيها مسجده السالف الذكر وهذا الأمر يتطلب أموالاً لا تجتمع مع قضيمات الجمالة .

وفي مدينة الشحر يعينون سبعة من المساجد العامرة ويصفونها بأن أصحابها المناصب السبعة ولكنهم لا يعلمون ماذا تعني الكلمة وهي على أية حال أن ينصب جماعة أو فئة أو قبيلة من الناس شخصاً معيناً يكون رئيساً أو مسؤولاً نقابياً يحافظ على شئونهم ومصالحهم وهي رتبة نقابية وأول من أنشأ هذه النقابة العلويون أيام الدولة العباسية ببغداد وسرت في الأماكن والأزمنة إلى اليوم.

ولكننا نسأل عن هذا العالم الفقيه المحدث أحمد بن قضيمتي فمن الذي نصبه وعمن كان نقيباً؟ والأغرب أن يكون مسجد الجامع أحد المناصب فمن الذي نصبه نقيباً؟ وهل يجوز أن نقول أن المساجد اجتمعت لتجعله نقيباً لهم؟ أم إن الجهل بئس القرين؟

والقضمة تقريباً ملء الكف.

١٧ـ مسجد بن سعيد :

ذكر المؤرخ عبدالله محمد باحسن هذا المسجد مرتين أي أن المسجد من بنايتين جاء ذلك في كتابه الشهير باسم النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية الذي حققه أخيراً الدكتور التريمي محمد عبد النور تحت عنوان (الباب الثاني) الذي خصصه لذكر مساجد الشحر العامرة والمندرسة منها والداثرة.

ففي المرة الأولى ذكر المسجد وأعطاه الرقم (١١) وقال: (مسجد الشيخ عبد الرحيم بن سعيد باوزير السابق ذكره وهو مسجد مبارك وفيه تقام حضرة الشيخ في ذلك الزمان) ص٤١٣.

وذكره للمرة الثانية تحت رقم (٢٧) وقال: (مسجد الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير وهذا المسجد المذكور قريب من حصن بن عياش بجانبه القبلي (الغربي) وقد كان زمان الدولة المكرم علي بن ناجي بن عمر بن بريك رحمه الله كامل العمارة وقد تخرب الآن بقيت به بعض العمارة) ص٤٢٥ والأمير علي بن ناجي بن عمر بن بريك الأمير الثاني في دولة آل بريك وقد تولى حكم الشحر بعد وفاة أبيه ١١٩٣هـ (١٦٨٢م) وهناك الأمير الخامس

والأخير لهذه الدولة علي بن ناجي بن علي وقد تولى بعد وفاة والده عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) وهو الأمير الذي فر من أمام جيوش آل كثير في هجومهم على الشحر واستيلائهم عليها يوم السبت جمادى الآخرة ١٢٨٣هـ (الموافق ١٥ أكتوبر ١٨٦٦م) ثم هاجم المدينة الجمعدار عوض بن عمر القعيطي في صباح يوم ١٩ ذي الحجة ١٢٨٣هـ الموافق ٢٤ إبريل ١٩٦٧م وأقام القعيطي حصنه المشهور والمعروف أيضاً بحصن بن عياش والقائم إلى يومنا هذا بالحجارة ومعجون الكالسيوم وأعطاه اسم (الرياض) وهو من ضمن بناء السور المضروب حول المدينة ابتدأ مستهل عام ١٢٨٤ (إبريل ١٨٦٧م) بعد هدم حصن علي بن ناجي البريكي المبني على الربوة العالية وقد تآكلت تلك الربوة التي كان الحصن عليها وأيضاً مسجد عبد الرحيم بن سعيد (رقم ٢٧ المذكور عند باحسن في كتابه النفحات) ولم يبق من تلك الربوة إلا الجزء الذي عليه سارية علم الدولة القعيطية ثم علم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والمؤرخ عبد الله باحسن قد عاش ما بين (١٨٦١ إلى أكتوبر ١٩٢٨م) وهذا يعني أنه بدأ حياته زمن الأمير البريكي الخامس وحضر معه الخمس السنوات الأخيرة من حياة إمارة هذا الأمير الذي فر هارباً من أمام جيوش آل كثير الذين احتلوا المدينة حتى أخرجهم منها الجمعدار عوض بن عمر القعيطي كما ذكرنا عام ١٨٦٧م وهو يقول: (وهذا المسجد المذكور قريبا من حصن بن عياش بجانبه القبلي وكان في زمن الدولة المكرم علي بن ناجي بن عمر رحمه الله تعالى كامل العمارة وقد تخرب الآن بقيت به بعض العمارة) ص٤٢٥ فعلى ذلك كان كامل العمارة أيام الأمير الثاني للدولة الكثيرية بالشحر ثم تهدم الآن يعني في زمن المؤلف باحسن أو زمن تأليف الكتاب (النفحات المسكية..).

والملاحظ أن عمارة حصن الرياض الذي أقامه القعيطي والقائم البناء إلى اليوم وكل عمارة السور بما فيه السدتين قد استغرق بناؤه مدة ستة عشر سنة يعني أن اكتماله كان في عام ١٨٨٤م أي وعمر المؤرخ باحسن حوالي ثمانية وعشرين سنة رغم قوله: (تخرب الآن وبقيت به بعض العمارة).

وقد علمنا أن الربوة المعروفة تآكلت قبل أن يتم القعيطي السور وحصن الرياض الذي عرف وإلى اليوم بحصن بن عياش وهذا يعني أن مسجد (بن سعيد) قد تهدم كذلك فمتى أقام هذا الشيخ مسجده الآخر في حي الحور/ الحوطة لاحقاً خاصة إذا علمنا من خلال قائمة المساجد العامرة بالمدينة عام ٩٢٩ ـ ١٥٢٣م كما جاء في صفحة (٤٨) من كتاب الأستاذ بامطرف (الشهداء السبعة) وعلى رأي ما بين أيدينا من كتابات نرى أن الشيخ عبد الرحيم بحي الحوطة التي كانت تسمى الحور هو المسجد الأقدم.

رغم أننا لم نستطع تحديد موعد بنائه خاصة إذا علمنا أن الشيخ عبد الرحيم توفي سنة ٨٢٧هـ (١٤٢٣م) يعني أنه عاش الزمن الذي كانت فيه المنطقة تحت حكم الدولة الرسولية التي امتدت تحكم الشحر ما بين (٦٧٧ـ٨٣٦هـ) (١٢٧٨ـ١٤٢٣م).

ويحتمل أنه أشاد مسجداً آخر بالقرب من حصون الدولة ربما رغبة في التقرب من الدولة وحاشيتها وجنودها فيه يتناول المصلين بالدعوة إلى الله ويقوم بتدريس من يرغب في ذلك.

وفي العقد الأول من القرن الماضي توافد عدد كبير من سكان محافظة شبوة وعلى الخصوص من بلدات الحوطة ولهجة وما بينها إلى مدينة الشحر وذلك بحثاً عن الرزق

والعمل، وامتهن أغلبهم نسيج الملابس بالطريقة القديمة أي اليدوية وعلى جهاز محلي المنوال،وكثر تعدادهم فيما بين الحربين العالميتين، هؤلاء لهم لهجة غير اللهجة الشحرية الحضرمية، ولما كان مسجد بن سعيد باوزير يقع بين مساكنهم وقربهم أطلق عليه أي اسم المسجد هكذا (بن سعَيْد) وغلب الاسم ونطقه هكذا وقد نبهني ولفت نظري صديقي الأستاذ عدنان أحمد الصبان أنهم ينطقون الاسم كما جاء في القرآن العظيم في سورة هود (مجريها ومرساها) الآية (٤١).

وعلى أي حال فالمسجد ترك فترات طويلة دون عناية ولا ترميم وربما حدث تجديد أو عمارة لم يصل إلينا خبرها، ومؤخراً قام الأستاذ محمد طاهر الأرضي بتجديد عمارته وشيد له مئذنة، فتكون التجديد الأخير من بيت الصلاة واسع بعض الشيء يقفوه صحن المسجد وله مدخل يفتح على الجهة الغربية يقتطع ممره من بيت الصلاة إلى صحن المسجد وبيت الصلاة وفي الناحية الشرقية الشمالية تقع الميضاءة من الحنفيات والحمامات وفي وسط الجدار الشرقي يفتح باب المسجد وفي الناحية الجنوبية الشرقية ترتفع المئذنة وهو عامر بالمصلين إلى يوم الناس هذا.

١٨ـ مسجد سيف الدين الكهالي :

ليس هذا المسجد الوحيد من مساجد مدينة الشحر التي لا نعرف شيئاً عن أصحابها، فهناك مساجد عامرة إلى اليوم ولا نعرف كلنا عن أصحابها أي شيء، مثل مسجد عمرو ومسجد غبطة ومسجد الغالبي ومسجد بن قضيمتي وغيرها. وهناك مساجد درست تماماً ولم نعد نعرف حتى موقعها تحديداً مع إننا نعرف شيئاً ولو يسيراً عن أصحابها، كمسجد

باسرومي ومسجد بن مزروع، ولكننا في حالة المسجد الذي نرد الحديث عنه الآن نعرف بحمد الله مكانه وشيئاً عنه.

فقد كنت ماراً في أول شهور عام ١٩٧٩م بأحد أحياء القرية، وهو أقدم أحياء مدينة الشحر السبعة، والتي زادت بفضل التوسع العمراني الحالي الذي تشهده المدينة، فإذا بجمع من العمال الجادين في إشادة مسجداً بعد أن أزالوا كومة كبيرة من الطين والحجارة، وهي في الأصل موقع مسجد قديم عرف بمسجد (الكهالي) فسارعت بالاتصال بالوجيه وجار المسجد الشيخ سعيد محمد سعيد بابقي الكندي وعرفت منه أنه يتولى عمارة المسجد أو على الأصح بعثه من جديد، لرجل خير نمسك عن اسمه رغبة منه، ونمسك نحن أيضاً عن بعض المعارضات والمماحكات من بعض الفضوليين التي لا تزيد ولا تنقص من فضل بناء المسجد والأجر الذي منحه رب العباد لبنائها.

وعند البحث عن المسجد واسم صاحبه لا نجد من أخباره إلا القليل، إذ لم يذكره من تصدى لحصر مساجد الشحر مثل الشيخ سالم هلال والشيخ مبارك لرضي ولا عبد الخالق اليزيدي ولا الشيخ أحمد الملاحي، ربما لأنه كان مندرساً، وجاء ذكره عند الراوي المحامي الشيخ طاهر علي الأرضي باسم مسجد (سيف الدين) ونعتقد أنه اعتمد على ما جاء عند المؤرخ عبد الله محمد باحسن في كتابه (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) وهو مخطوط انتهى من تبييضه في فاتحة محرم ١٣٢٢هـ الموافق ١٧ مارس ١٩٠٤م وقد حققه الدكتور محمد يسلم عبد النور وصدر في طبعته الأولى عام ٢٠١٠م. حيث أفرد فصلاً من كتابه المذكور وهو الباب الثاني جاء في أوله: (نذكر فيه مساجدها العامرة والتنبيه على

المندرسة منها والداثرة) وعند ذكره للمسجد قال: (مسجد سيف الدين بالقرية قريباً من حصن البياني وهو مندرس، وكان سابقاً به كمال العمارة وهو من أعظم مساجد البلد، وبيره الآن موجودة يستقون منها الماء أهل تلك الحارة). لكن المؤرخ الأديب محمد عبد القادر بامطرف عده ضمن المساجد العامرة في المدينة سنة ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) من خمسة وعشرين مسجداً ذاكراً إياه باسم (مسجد سيف الدين الكهالي) وهو يستند في ذلك إلى سجلات الأوقاف بالمدينة التي تشير بأن موقعه في حي القرية. ولا يختلف الأهالي خاصة المحيطين بالمسجد بتحديد موقعه الذي يقيم رجل الخير بإعادة بنائه اليوم، لكن البعض منهم يشير قائلاً بأنه مسجد (سيف الإسلام).

وإذا تساءلنا عن آل الكهالي هؤلاء الذي ينتسب إليهم صاحب المسجد، فلا نجد شيئاً عنهم بين أيدينا! وهناك ثلاث جماعات يمنية تدعى (آل الكهالي):

١ـ بيتاً من العلويين الحضارم.

٢ـ فخيدة من اليافعيين.

٣ـ قبيلة حميرية.

وهو لن يكون إلا من إحدى هذه الجماعات.

آل الكهالي العلويين :

وهم من حضرموت من عقب زين الأصغر بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف...الخ.

وأبو بكر السكران هو أخ لعمر المحضار السقاف وهو والد عبد الله أبو بكر الذي عرف بالعيدروس صاحب كتاب (الكبريت الأحمر) وله مسجد بمدينة تريم وآخر بمدينة الشحر يعرف بمسجد العيدروس ويقع بحي باغريب (انظره هنا) وتوفي بتريم (٨٦٥هـ=١٤٨٤م) وهو أيضاً والد أحمد بن أبي بكر المتوفى بتريم (٨٩٦هـ=١٤٩١م).

ولعقيل هذا عدد من الأبناء منهم زين المعروف بزين الأصغر بن عقيل... وجاء عند محقق (شمس الظهيرة) الأستاذ ضياء شهاب: (عقبه ببادية حضرموت قرب الغيل ومنهم بيت حمودة وبيت مشايخ وبيت سهل وبيت قرموص وبيت الكهالي) ص١٩١. ولا يعرف ان أحداً منهم تفقه أو درس أو اشتهر بالعلم، ولم يزيد الأستاذ ضياء في نفس الصفحة من تحقيقه: (كل هؤلاء ينتسبون إلى زين الأصغر بن عقيل بالبادية، مشهورين بالشجاعة تهابهم القبائل). ولا يمكن أن يكون سيف الدين صاحب المسجد منهم، إذ أن عقب زين الأصغر سينتشرون في القرن العاشر الهجري وما بعده، بينما نجد أن المسجد قائم البناء معموراً بالذكر والصلاة قبل أحداث الغزو البرتغالي على الشحر عام ٩٢٩هـ(١٩٢٢م) ثم إننا إذا نظرنا إلى قوائم أسماء العلويين بحضرموت لا نجد أحداً باسم سيف الدين إضافة إلى أن المؤرخين والنسابة العلويين وغيرهم لن يمر عليهم علمٌ كهذا له منشأة دينية دون ذكر ولن يغفلوا عن ذكر اسمه ونشأته.

بيت الكهالي اليافعيين :

وهناك بيت من الكهالي من يافع السفلى وهم بيت ينتسب إلى مكتب الناخبي (ذي ناخب) ويسكنون قرية (السائلة) وهم مشايخ، لكنها مشيخة قبائل وليست مشيخة علم،

ولهذا لم أسمع بأن أحداً منهم كان شيخاً جاء إلى حضرموت ليتعلم أو يعلم في حدود علمي. ولكننا لا نستطيع أن نقطع بأن الشيخ سيف ليس منهم، إذ أن هناك من الرجال الصالحين وإن لم يتلقوا أي تعليماً يقدمون خدمات جليلة لدينهم ولأمتهم الإسلامية.

بنو الكهالي :

يذكر القاضي محمد علي الحجري في كتابه (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) بضم حرف الكاف في (كُهال) قائلاً: (حي من مصانع حمير في مخلاف (عمّار) وأعلى (النادرة)). ثم ينقل من (معجم البلدان) ما قاله ياقوت الحموي: (وكهلان بن عدي بن مالك بن زيد بن نبت بن حمير، وإليه تنسب مصنعة كهال) ثم يضيف القاضي: (وإلى كهال ينسب الفقهاء بنو الكهال من ناحية النادرة وعزلة كهال من مخلاف المنار في بلاد آنس).

والمنار في اليمن جملة جبال مسماة بالمنار لكن الذي يهمنا هنا هو منار آنس.

(وأما النادرة فهي قرية في وادي بناء من مخلاف (عمار) في الجنوب من صنعاء وعلى مسيرة خمس مراحل... وفي هذه الناحية حصون ومصانع عجيبة... وفي عمار من الفقهاء بيت الطيب وبيت السوري وبيت الكهال) انظر مجموع الحجري ج٢/ ٧٢٧ ومابعدها.

ولنا بعض الحق أن نعتبر الشيخ سيف الدين الكهالي منهم على الأقل حسبما دلت عليه القرائن حتى يثبت لنا غير ذلك، مع أني سمعت من الرواة من أن سيف هذا هندي أو جاء من الهند، وليس في الأمر غرابة فقد يكون عائداً من مهجره بالهند واستطاب له المقام في مدينة الشحر. ولا ندري ما الحقيقة في إقامته هنا، فهل جاء ليتلقى التعليم أم ليلقي العلم

على ساكنيها، وكله وارد، وكانت حركات الطلاب والعلماء منها وإليها في حركة ذائبة ومستمرة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض من الوافدين إلى الشحر:

* الشيخ إسماعيل الكريمي الدي قام بتوسيع بناية الجامع من الناحيتين الشرقية والشمالية، وزاد عدد جوابيه وأضاف إليه جناح النساء بمشاركة الشيخ عبد الله عبد الرحمن مولى عيديد عام٩٣٤هـ (١٥٢٧م).

* الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي الذي أسس مسجداً بالمدينة وعرف فيما بعد بقبة مزروع، وتوفي بمكة عام ٧٦٨هـ (١٣٦٧م) وهناك رواية أخرى تقول إن الذي أشاد المسجد ابنه عبد الرحمن.

* الشيخ محمد بن علي الهمداني الذي أنشأ أكبر وأشهر بستان بمدينة الشحر على طرفها الشمالي الشرقي وكان يزوره الشيخ عبد الله عبد الرحمن بافضل عند أوبته من دفيقة صباحاً.

نكتفي بهذا القدر ونحيل من يريد الاستزادة إلى كتاب (طبقات فقهاء اليمن) لابن سمرة أو كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) للجندي وكتاب (العقود اللؤلؤية) وغير هذا كثير.

ومما يؤسف له أن المؤرخين في حضرموت أهملوا تاريخ بلادهم فكيف بالتفصيل والدقائق، فمثلاً يكتفون بالقول: (أن الحاكم الزيادي أو اليعفري أو الصليحي وغيرهم بسط حكمه على حضرموت ولا أكثر من ذلك)، ولكننا نجد تفصيلاً أوفى عند الحديث عن

استيلاء الدولة الرسولية ثم الدولة الأيوبية على الشحر وكذلك الدولة الطاهرية،وحتى دولة الأئمة،ولابدإلا وأن يتوافد مع تلك السلطات أناس كثيرين وفيهم من يطلب العلم ومن يقوم بتقديمه ولله في خلقه شئون.

لقد أشار لي أحد أصدقائي من حي القرية الذي يقع فيه مسجد سيف الدين الكهالي أقدم أحياء المدينة وهو محلة قبيلة كهلان الكندية وهو باقي إلى اليوم ويقال له أيضاً (قرية الملوك) وكانا قبيلة كندة تلقب بهذا، وهو يرى أن الاسم ربما تحرف إلى (كهالي) ولربما يكون الأمر كذلك، لكن مع ملاحظة هامة وهي أن النسبة ستكون حينئذ كهلاني.

ثم إني مررت في عام ١٩٨٠م بمعية الراوي الشيخ عوض بن سالم عبدن بجانب مسجد (عمرو بن أحمد) ولم يكن يبعد عن مسجد الكهالي إلا بما لا يزيد عن مائتي متر أو نحوها، وكان العمال منهمكين في تكسير بيت الصلاة فيه بغية إعادة بنائه من جديد، فأشار رحمه الله إلى أربع أسطوانات خشبية تم الاستغناء عنها، وكانت اثنتان منها أسطوانية الشكل فقال: (سمعت من السابقين إن هاتين الأسطوانتين كانتا لمسجد الكهالي وقد استعملتا لمسجد عمرو بعد تهدم مسجد الكهالي بزمن).

والأسطوانتان مرميتان اليوم خارج مسجد عمرو بجانب جداره الجنوبي، وهما تدلان على كبر سعة بيت الصلاة في مسجد الكهالي ويدل طولهما على ارتفاع سقف بيت الصلاة فيه ثم إن الأسطوانتين من خشب الأبنوس وعليها نقوش بديعة نباتية وهندسية وهي من المؤكد من خشب الهند، وعلينا أن ندع خيالنا ينساق وراء قول باحسن: (وبه كمال العمارة وهو من أعظم مساجد البلد). فالعمارة كانت شيئاً مؤكداً قبل هدمه، وأما كونه من أعظم المساجد

فلعل هذا لكثرة المصلين فيه والزهاد والعلماء والواعظين، وقد كان المسجد في عهده السابق مدرسة كما يشير بنفسه في ذلك على أننا إذا ألقينا نظرة إلى أغلب مساجد البلد القديمة في زمن ما قبلنا وقبل أن ينتشر البناء بالأسمنت المسلح، لرأينا صغر سعة بيت الصلاة ثم إن الأسطوانات لم تكن إلا لقصر خشب أسطوانات المساجد والمنازل على عموم البلد.

وبالمناسبة فقد أُخذت تلك الأسطوانتان على غرة من البلد وحُملت إلى جهة غير معلومة، وهذا كل ما استطعنا أن نعرفه عن مسجد الكهالي الذي يعاد اليوم بناءه بالحجارة الصلدة والأسمنت المسلح ورحم الله كل ساع للخير.

والمسجد مكون من باب شرقي وعن يسار الداخل إليه الميضاءة وعن يمينه المئذنة ودرجات توصلك إلى بيت الصلاة وكل المسجد بيت الصلاة مهيأ بالفرش والنوافذ والنظافة والشبابيك الزجاجية إضافة إلى المكيفات الكبيرة، والحمد لله رب العالمين.

١٩ـ مسجد الغالبي :

كان هذا المسجد ولا زال قائم البناء معمورا بالمصلين عندما دخل الإفرنج البرتغاليون مدينة الشحر في حملتهم التأديبية عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) حتى أن المؤرخ عبد الله باحسن قال في كتابه النفحات المسكية: (لعله من المساجد القديمة) ويقع في وسط البلد بحارة/ حي عقل باعوين وقرب السوق الرئيس في البلد، ويسمي باحسن صاحب المسجد الشيخ أحمد بن سعيد الغالبي مع ملاحظة أن لفظة (ابن سعيد) مضافة بهامش نفس الصفحة ويؤيد هذه التسمية وثائق الشيخ طاهر الأرضي ولكني أرجح الرأي القائل بأنها منقولة نصاً عن تاريخ باحسن.

وفي القائمة المنشورة بالصفحتين (٤٧ و ٤٨) من كتاب الشهداء السبعة بعنوان المساجد العامرة في مدينة الشحر عام ٩٢٩ هـ، عده مؤلف الكتاب الأستاذ محمد بامطرف منها وسمى صاحبه أحمد بن عبد البارئ الغالبي ولم يذكر أحد أكثر من ذلك لا ولادته ولا وفاته ولا مكان ذلك.

والمسجد يقرب من مسكني ويتردد أفراد أسرتي عليه للصلاة فيه، وقد وجدت في أحد المصاحف التي عادة ما تجزئ القرآن إلى أجزاء متفرقة ومستقلة، وجدت أنه سجل على الغلاف الداخلي لأحد هذه المصاحف ما يلي:(بتاريخ شهر رمضان ١٣٥٣هـ وقف المعلم الشيخ محفوظ سالم عوض باخميس هذا الجزء وما قبله وما بعده لما تمام ثلاثين جزء على مسجد الشيخ أحمد بن عبد الله الغالبي وغيره والنظر له ثم للأصلح من أولاده).

وتاريخ الوقف هذا يوافق شهر ديسمبر عام ١٩٣٤م ولكنه لا يوافق اسم صاحب المسجد الذي أرى أن الصحيح هو أحمد بن عبد الباري. وكان الواقف معلم المسجد أو نائب المسجد كما تسميه وثائق المحاكم الشرعية وإدارات الأوقاف هو من نسجل هذا بقلمه وهو معلم للمسجد لفترات طويلة وكان من أهل الصلاح، يقرأ مولد الرسول ببعض المساجد وبمسجد الروضة (روضة علي بن محمد الحبشي) أسبوعيا ويضرب بنفسه على الطيران وله علقة طيبة بتعاليم وأشعار وأدب وأخبار صاحب الروضة علي بن محمد الحبشي صاحب رباط سيئون ومسجدها المعروف بمسجد الرياض بسيئون، وتوفي المعلم باخميس معمرا، والشيخ معلم المسجد محفوظ سالم باخميس في الأصل من حي الباغريب ولكن هناك من أغراه بالسكن بحي عقل باعوين حباً في خدماته الجليلة وخاصة في تسجيل الوثائق وإصلاح

ذات البين وما يتعلق بالتجارة والقسمة والإرث وغير ذلك. وقد مررت ذات مرة على أحفاده وهم يكسرون منزلهم القديم لبنائه من جديد، فإذا بالجرارات تنثر أوراقا منها وثيقة عهد واتفاق بين أهل البلد على تخفيف المهور وتكاليف الاحتفالات بالزواج وكانت بخطه ومن أمر النائب سالم أحمد القعيطي نائب لواء الشحر، وقد نشرت ما حوته تلك الوثيقة بالعدد السابع من مجلة (الفكر) الغيلية الصادر في يوليو – سبتمبر ١٩٩٨م.

وفي شهر رجب من عام ١٣٦٧ الموافق ١٩٤٨م منح السلطان صالح بن غالب القعيطي مسجد الغالبي الشهير بالشحر قطعة الأرض التي بجوار المسجد وملاصقته من الجانب النجدي، طولها خمسة وثلاثون في عرض ثلاثين قدماً ليعمرها الشيخ سالم جمعان دريقان ويتوسع بها المسجد المذكور منحة صحيحة مجانية بدون مقابل وأذن للشيخ أن يعمرها، وقد تأخر أمر المنحة وصدرت بعد وفاة الشيخ سالم جمعان الذي توفاه الله بيوم السبت ١٢ ربيع ثاني ١٣٦٥ه (١٥ مارس ١٩٤٦م) فتولى أمر بناء هذا الجزء من المسجد أخوه الشيخ مبروك جمعان دريقان – جدي لأمي– المتوفي ١٩ محرم ١٣٨٧ (٢٨ مايو ١٩٦٧م) رحم الله الجميع.

وكان المسجد القديم يتكون من بيت الصلاة يتوسط صحن المسجد من ثلاثة اتجاهات والقسم النجدي مسقوف وفي الشق الأخير الميضاءة من الحنفيات والحمامات وله مدخلين جنوبي وشمالي ومئذنة صغيرة ترتفع بمعدل طبقة واحدة وهي مفتوحة الجزء العلوي.وقد جدد المسجد تماما فتكون الجزء الأمامي كله إلى بيت الصلاة وبقيت الأجزاء الأخرى كما كانت بعد التجديد وقد وسع المسجد من الجهة الغربية لكن التجديد أخذ جزء من الشارع

الذي كانت تمر به السيارات الكبيرة فقد حرم التوسع هذا الشارع وضيقه وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بأن حاجة الأحياء أفضل من حاجة المسجد ومنه القصد.

وقد بحثت طويلا عن ترجمة لحياة صاحب المسجد فلم أجد ما ينفعني من ذلك البحث، لكني أستطيع أن أقول أنه من رجال القرن السابع الهجري ربما لأن الناس حول المسجد لديهم مثل يردد وهو (الغالبي وباقرين يا خير والله اثنين) وفقنا الله جميعاً.

٢٠ـ مسجد باسبوعة :

يعرف هذا المسجد باسم عبد الله محمد باسبوعة، وكان في حي عقل باعوين عندما هاجم البرتغاليون مدينة الشحر في حملتهم التأديبية عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م). جاء اسم المسجد ضمن القائمة بمساجد المدينة العامرة آنذاك، وهناك ملاحظة وردت عند الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف على القائمة عند ذكر المسجد وهي: (بحي عقل باعوين ومكانه لا يعرف الآن) ص٤٨ من كتابه الشهداء السبعة. لكن علمنا أن السلطان حسين بن عبد الله القعيطي حاكم الشحر المتوفى بالهند في عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م أعاد ترتيب حدود أحياء الشحر في وقته، ومنه أن جعل الشارع الضيق من شرق مسجد الغالبي وامتداده جنوباً وشمالاً حدوداً بين الحيين، وهو بهذا أدخل بعض أجزاء إلى حي الباغريب ومنه أصبح مسجد باسبوعة في حي الباغريب / حي الكامل اليوم.

ولم يذكر المسجد هذا كل ما تحت يدي من كتابات عن تاريخ حضرموت وعاصمتها الشحر غير ما جاء في كتاب محمد عمر بافقيه المشهور بالطيب الشحري، وكان قد وضع كتاباً في تاريخ حضرموت أطلعني على نسخته المخطوطة أستاذي العزيز الدكتور سعيد الخير

النوبان عن طريق الدكتور أحمد محمد بن بريك، وكان تحت عنوان (تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة العاملين) ثم حققه الأستاذ عبد الله محمد الحبشي وأعطاه عنوان: (تاريخ حضرموت وأخبار القرن العاشر) الذي صدر عن مكتبة الإرشاد بصنعاء في طبعته الأولى عام ١٩٩٩م.

وفي صفحة ٢١٨ منه في حوادث سنة ٩٤٠هـ جاء ما نصه: (في يوم الخميس ثامن محرم الموافق ٨ أغسطس ١٥٣٣م وصل خبر من المشقاص مفاده بأن السلطان محمد ـ محمد عبد الله الكثيري ـ حشد من المهرة يريد الشحر فاحتذر أهل الشحر، وفي يوم السبت رابع وعشرين وقت طلوع الشمس وصل إلى الشحر في نحو من ثلاثمائة من بيت زياد وسواهم وقصد مسجد (بن عتيق) عند قبر الفقيه عبد الله بلحاج بافضل رحمه الله، فرموه من الحصن بالمدافع، وكاد يهلك به أصحابه فمالوا إلى مسجد باسبوعة لتكون الديار حائلة عليهم، فلما كان وقت الهاجرة قتل عبد من عبيد بيت زياد ببندق، ثم كان بعد صلاة العصر من يومهم كروا راجعين إلى المشقاص، وهو الذي حملهم ذلك السلطان محمد عبد الله الكثيري خشية هلاك أحد منهم بالمدفع، ولم يكن في وهمه وقوع شيء من ذلك وكفى الله المؤمنين القتال) ص٢١٨، لهذا جاء عند الأستاذ بامطرف موقع المسجد أنه يقع في حي عقل باعوين.

إن هناك بئراً وساحة أمامها جنوباً تركت دون بناء وهي تقع إلى الشرق من بيت مقدم حي عقل باغريب فرج أحمد جنبين وتقع غرب منزل الشيخ ربيع سعيد الهرموزي وخلف منازل الشيخ القاضي سعيد سالم بن سرور والشيخ علي جمعان باحميد وأخيه وجنوباً عمائر الشيخ علي باغوث.

هذه البئر صارت مزبلة لأموات البهائم من أغنام وكلاب وقطط، أعرف ذلك من زمن صغري وأسمع من ناس الحي أنه لا يمر أحد ليلاً بهذه البئر حيث ينتشر خبر محلة جنية عرفت (بأم الصبيان) ولا يسلم من ضرها من مر هناك في الساعات المتأخرة من الليل.

وعلى أي حال فإن الأهالي يصدقون مثل هذه التراهات ويعتقدونها، ولم يتجرأ أحد على إقامة منزله بهذه الساحة فإنها ربما مكان مسجد باسبوعة، وقد ضاع اسمه ومكانه من أيام ما كان عامراً في زمنه. وقد تواصلت مع الشيخ ربيع سعيد الهرموزي الملقب (لكسح) مع أنه لم يكن كسيحاً وكان معمراً وقد توفي عام ١٩٧٩م وهو لم يؤكد ما وصلت إليه ولكنه لم يرفض ما قلت له رحمه الله ومع هذا فإنك لن تجد مكاناً لهذا المسجد غيره.

ومع تسابق الزمن ونسيان المسجد وأمره أقر الأستاذ أحمد فرج جنبين عضو لجنة محافظة حضرموت للحزب وسكرتير منظمة الحزب بالمديرية، صرف هذه القطعة أو المكان لصهره وزوج أخته الذي أقام به منزله العامر اليوم.

ولا نجد لآل باسبوعة وجود بمدينة الشحر ولا أعمالها اليوم، فهل تحرف الاسم إلى أسماء قريبة منه مثل: باسباع، باسبيع، سبيعان، السباعي، باسبيعة، أبو سبعة، فالملاحظ أن كثيراً من الأسر والعوائل تنسب نفسها لعوائل أخرى أو قبائل في المنطقة، ويظهر في أوراق دعوات الزواجات.. وعلى أي حال فإن آل باسبوعة من أهل الشحر وكانوا من تجار البلد، تذكرهم الناس هنا بذلك ونسوا مسجدهم الذي أسسه أحدهم، وقد ذكرهم الشاعر حسين أبو بكر المحضار في إحدى أغنياته وهي المشهورة بعنوان (مول شوعة) قال:

مـا تربـى عـا الحـبض واللثـب

يقطف إلا الغصـن مـول الشـعب

مـــــن عـــــدم لا لســـــاود

مـــــا يشـــــط المقالـــــد

(أو حفـــــر بـــــو ســـــبوعة)

مـــــــــول شـــــــــوعة

وحفر بو سبوعة حائط نخيل بقي من أيامهم وتجارتهم تجارة آل باسبوعة من ذلك الزمن القديم الذي أقدره زمن السلطان بدر بن عبد الله الكثيري في القرن العاشر الهجري وما قبله.

٢١ـ مسجد العتيق :

ذكر هذا المسجد ضمن المساجد العامرة في المدينة عند الحملة التأديبية البرتغالية على الشحر في سنة ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) وقد ذكر اسم المسجد هكذا مسجد الشيخ أحمد (العتيق) بن عبد الله بلحاج بافضل، ويقع في الحافة التي تنسب إلى والده المعروفة بحافة بلحاج (وحدة ٣٠ نوفمبر سابقاً) التابعة لحي عقل باعوين (باشراحيل) وكان أبوه الفقيه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل مؤلف كتاب المقدمة الحضرمية في الفقه، وهو الذي سعى قاضي الشحر عبدالله بن عبسين إلى استقدامه ليوليه إدارة مدرسة جامع الشحر، وكان أول من دفن في هذه البقعة من شمال مدينة الشحر آنذاك، حيث أقيم على ضريحه قبة معمورة ويقع مسجد العتيق على بعد خطوات شمال غربي تلك القبة، وتشكل القبة والمسجد اليوم وسط المدينة تقريباً.

ونحن نعتقد أن الذي اختط هذا المسجد هو الفقيه العلامة الشيخ أحمد نفسه الذي ولد بتريم سنة ٨٧٧هـ (١٤٧٢م) وقدم إلى الشحر بمعية والده وكان أن تفقه بأبيه وبالفقيه أحمد محمد بافضل، كما أخذ عن القاضي يوسف بن يونس المقري والقاضي أحمد بن عمر المزجد، وقد طاف كثيراً من البلدان كمكة المكرمة والمدينة المنورة واليمن السعيد، حيث حج بيت الله مراراً، وقد تصدر للإفتاء والتدريس في زمان والده حيث كان متولياً الإعادة في درس الجامع وخلفه بعد مماته عام ٩١٨هـ (١٥١٢م) في عين المكان.

وتولى إدارة مدرسة والده التي ربما تكون المسجد ذاته أو أنها جزء ملحق بهذا المسجد لكن عند ذكر المساجد الملحق بها المدارس لم يذكر منها هذا المسجد ولم تذكر المدرسة نفسها ولا موقعها، مما يجعلنا نعتقد أن المدرسة هذه في بناء مستقل، وسنذكرها لاحقاً عند المعركة الأولى من هجوم البرتغاليين على الشحر.

ففي شهر إبريل سنة ١٥١٦م مدت مدينة الشحر مدينة عدن بأسباب المقاومة المكونة من ألف مقاتل على واحد وثلاثين سفينة وكانت عدن قد سلمت أمرها للقائد البرتغالي لوبو سورز في الغزوة الثانية المباغتة التي شنها أسطولهم في صباح اليوم الرابع من شهر فبراير ١٥١٦م ولم تكن تحصينات عدن قد اكتمل بناؤها ولم تكن النجدة العسكرية الحضرمية قد وصلت إليه. (الشهداء السبعة ص٧١) ولكن الضابط الأخرق أجل استلام عدن حتى يتمكن من مساعدة النصارى الأحباش من مكايدة الدناكل، ولكي يطارد المصريين من البحر الأحمر الذين هزمهم العدنيون في شهر أغسطس ١٥١٥م بمساعدة عسكرية من الطاهريين ومالية ضخمة من سلطان الشحر محمد عبد الله الكثيري.

وقد وصلت التجريدة الحضرمية إلى عدن في ١٨ إبريل ١٥١٦م، وكانت أحد الأسباب التي مكنت الأمير مرجان الظاهري من الامتناع عن تسليم قلعة عدن للقائد البرتغالي لوبوسورز عند عودته في شهر يناير ١٥١٧م ومنها عاد وهو يندب حظه العاثر ويفكر في الانتقام.

كان البرتغاليون يتابعون أمر عدن منذ التفكير في الاستيلاء عليها، وكانت معونات سلطان الشحر قد نقلت أخبارها إلى البرتغاليين بواسطة بحارة السفن الملاباريون واتضح لهم في تقييم الموقف وتحليله أن الشحر كانت في مقدمة تلك الروافد ولذلك قرر عزل عدن عن روافدها ومنها الشحر التي قرر القيام أولا بغارة انتقامية تحت أي سبب من الأسباب.

وفعلاً وصل أسطول بحري برتغالي إلى ميناء الشحر وحاول قائده خلق الأعذار لمهاجمتها، وأمام هذا الموقف والسلطان بعسكره خارج البلد، وقد وصلت أخبار وأحداث البرتغاليين في ميناء الحامي براً وبحراً، أخذ أمير الشحر مطران بن منصور يلاطف رسل القائد البرتغالي وأرسل معهم هدية له، ثم دعا عدداً من الأعيان للتشاور في الأمر وكان الشيخ أحمد بن عبد الله بلحاج بافضل أحد هؤلاء.

وتم عقد اجتماع بهؤلاء لدراسة الموقف وكان أهم قرار تم اتخاذه هو مقاومة الغزو البرتغالي وقد كلف هؤلاء السبعة أنفسهم بترتيب المقاومة في الأقسام الرئيسة في المدينة، إضافة إلى مهام خاصة منها تكليف الشيخ أحمد بأن يتحدث في اليوم الثاني (الجمعة) إلى المصلين في الجامع ويحثهم على المقاومة والدفاع عن وطنهم وأموالهم وأعراضهم.

ولكن البرتغاليون هاجموا المدينة في فجر ذلك اليوم الجمعة ١٠ ربيع الثاني ٩٢٩هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٥٢٣م حيث تفرقوا في جماعات صغيرة ولكن الأهالي واجهوهم مجابهة ضارية رغم أن المعركة غير متكافئة إلا أن روح الاستماتة والفداء قد دبت في صفوف كل الجماعات المدافعة عن المدينة، وكان القادة السبعة قد تولوا قيادة المقاومة ومنهم الشيخ أحمد الذي استشهد في نفس اليوم حيث تمركز في الحي الشمالي المعروف اليوم بحافة بلحاج إذ التف حوله أهالي تريم المقيمين في الشحر وكان أن استنفر بنو بلدته التريميين فالتفوا حول هذا القسم من مساء الخميس وقد سقط ـ رحمه الله ـ بالقرب من مدرسة والده.

وبعد ثلاثة أيام من المعارك انسحب البرتغاليون إلى سفنهم تاركين قتلاهم في ساحة السوق وأمام الديوان ثم أقلعت سفنهم بعد أن شاهدوا جيشاً قادماً من المشقاص إلى الشحر ولم ينفرد السبعة بشرف الاستشهاد في ميدان الفداء والتضحية بل كان إلى جانبهم بطبيعة الحال العدد الكبير من أبناء الشحر والمستوطنين بها أما جثث القادة السبعة فإن ست منها جمعت في قبر واحد وهو القبر الذي يطلق عليه قبر السبعة، والمؤرخ عبد الله باحسن يضم هذا القبر إلى قائمة المشايخ الذين لم يتحقق من شرح أحوالهم وتواريخ وفياتهم غير ما اشتهروا به من أسمائهم ومحلاتهم، والواقع أن الشهيد أحمد بن عبد الله بلحاج بافضل لم يكن مع السبعة في ذلك القبر المعلوم، فقد أصر أهالي تريم على دفنه داخل قبة والده المعروفة والقائمة البناء إلى الآن وقد دفن في الزاوية الشرقية الجنوبية من تلك القبة، وقبره معمور إلى اليوم وعلى أحد شاهدتيه اسمه ويوم استشهاده رحمه الله.

ويعرف المسجد باسم (ابن عتيق) وهو اسم شائع بين الأوساط العامة هنا في الشحر، وقد تشكك المؤرخ باحسن في ذلك رغم أنه يعده من مساجد الشحر، قال: (مسجد الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بلحاج وهو مسجد كثير البركة ومن المساجد المأثورة) النفحات المسكية، ولكنه يعود في خاتمة الكتاب وهو الباب الذي خصصه لذكر حوادث وأخبار ووفيات مرتبة على السنين نقلها من تواريخ بعض المشايخ الأجلاء، ومنها (أنه في عام ٩٣٤هـ (١٥٢٧م) توفي بدر الدين علي بن عبد الله بن عتيق السعدي بالشحر وذلك يوم الاثنين رابع شوال (٩٣٤هـ) ودفن بتربة الفقيه عبد الله بلحاج بافضل ولا يعرف قبره، غير أن المسجد الذي يقع قريباً من قبة الشيخ بلحاج يقال له مسجد بن عتيق وأنهم ينسبونه للشيخ أحمد الشهيد ولم أعلم بتسميته بابن عتيق ولعل الشيخ المذكور هنا له مشاركة في عمارة المسجد المذكور، والله أعلم) غير أننا نجد العبارة التي أوردها صاحب النور السافر عند ترجمته للشهيد: (وكان سخياً كثير الصدقة) الشهداء السبعة ص٤٧، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) فهل لمثل هذا الرجل ما يوجب هذه التسمية، الله يعلم.

ونحن هنا لا نتفق مع شك المؤرخ عبد الله باحسن البتة لأنه قال (ولعل للشيخ مشاركة في عمارة المسجد) ولم يقل أحد غيره وكانت عبارته لا تؤكد دور الرجل وتقول أن اسم المسجد في قائمة مساجد الشحر العامرة قبل أحداث الغزو البرتغالي عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م جاء تحت رقم (٢١) باسم مسجد العتيق أحمد بن عبد الله بلحاج بافضل وتؤيد هذا الاسم

سجلات الأوقاف بمديرية الشحر حيث ورد فيها باسم مسجد الشيخ أحمد بن عبد الله دون تشكك أو أي إفادات وتزيد تأكيد هذا الاسم وصحته أوقاف أملاك المسجد.

وعلى أي حال فالمسجد جميل جدا، يتكون من بيت للصلاة صغير الحجم تعلو سقفه ست قباب صغيرة مستندة على اسطوانتين وبجانبه الشمالي بيت آخر للصلاة أيضاً خاص بالنساء وصحن المسجد شرق بيت الصلاة ومنه رواق ضيق يلي بيت الصلاة الرئيس من ناحيته الشرقية الجنوبية وينتهي الرواق الجنوبي عند الشرق على مئذنة جميلة قصيرة لا ترتفع أكثر من ثلاثين قدماً وهي على طريقة مآذن مساجد الشحر والميضاءة إنما تشكل الناحية الشمالية من الصحن.

وفي شهر مارس من عام ١٩٨٩م تشققت كل عمارة المسجد وخيف سقوطها على المصلين، فأزيلت القباب والمنارة ثم شكلت لجنة من أهالي الحي لإعادة بناء المسجد من جديد وقد تمت وقد تمت المباشرة في ذلك في نهاية عام ١٩٩٠م وقد انتهى إلى ما نراه عليه اليوم من عمارة.

فائدة:

إن بعض الإشكالات في أسماء أفراد من رجالات هذه الأسرة الكريمة التي تنسب إلى سعد العشيرة من مذحج والتي اشتهر العديد منهم بالعلم والصلاح فإننا نظن أن الاطلاع على مناقبهم جدير بحلها، وعلى ذلك فإن محاولتنا وإن لم تكن موسوعة فإن لها الطابع الموسوعي ونهيب بمن قرأ عن هذه التسميات المطلقة على هذه الشخصيات أو اطلع على ما

يفيد في بابه أن يوجهنا إلى الصواب وله الأجر والثواب مع الشكر الجزيل، ونلفت النظر إلى ما لم نستطع العثور عليه لقراءته فربما وجد ما نعده نحن ضالتنا المنشودة، ومن ذلك:

** المناقب التي ألفها الشيخ محمد أحمد الشهيد، وقد ذكرها باحسن.

** النبذة التي كتبها الفقيه عبد الله بن محمد بافضل العدني في أحوال والده وقد ذكرها باحسن أيضاً.

** صلة الأهل في مناقب فضلاء آل بافضل في مناقب أعيان هذه الأسرة وقد طبع أخيراً.

وللمسجد من الجهة الشمالية مزرعة يختص ريعها للساني الذي يقوم برفع الماء من بئر للمسجد يغذي به الميضاءة، لكن هذه المزرعة تركت لصناع الطوب فترات طويلة ثم أدخلت كلها في التوسعة الجديدة الحالية.

وقد عرفت المسجد صغيراً ودرست عند الشيخ سالم عمر باصالح الذي تقع مدرسته إلى الغرب من المسجد ثم انتقلت لأدرس بمدرسة عبيد مبارك هلال وتقع مدرسته إلى الشرق من المسجد وكان كل منهما له علاقة بالمسجد وخلفهم الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي الذي يعد المسجد جاره ويفضل أن يؤدي كل صلواته فيه ويقعد للدرس بعد صلاة العصر. (انظر ترجمته في كتابنا تاريخ المكتبة السلطانية)

بقي علينا أن نضيف إلى ترجمة الشهيد الشيخ أحمد العتيق بافضل بأن له تصانيف في التصوف والفقه ومنها الآتي:

** النكت على الأرشاد لابن المقري.

** النكت على الروض وهو لابن المقري أيضاً.

** مشكاة الأنوار في أوراد الليل والنهار.

** وصية مختصرة.

** وله خطب وعظية تقرأ في مناسبات رمضانية.

وقد ترجمه كل من:

ـ النور السافر ص١٣٥ .

ـ شذرات الذهب ٨/ ١٦٢ .

ـ هدية العارفين ١٣٩ .

ـ الفكر والثقافة ١٤٦ .

ـ صلة الأهل ١٣٧ .

٢٢ـ مسجد بن جوبان :

جاء ذكر المسجد ضمن المساجد التي كانت عامرة في مدينة الشحر عند الغزو البرتغالي التأديبي على مدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) باسم مسجد الشيخ أحمد بن جوبان. وورد أيضاً باسم الشيخ أحمد باجوبان عند الشيخ باحسن في كتابه النفحات المسكية، ويقع المسجد بظاهر البلد من الجانب الشرقي في الحي المعروف سابقاً (بحي الرباط) الذي كان في السابق عبارة عن أكواخ صغيرة جل سكانها من البادية وعمال إسطبلات الخيول حتى إن اسمه أتى من كثرة الأربطة للخيل التي تستورد من ظفار.

وقد أورد المؤرخ باحسن في الباب الأول من نفحاته المسكية والخاص بذكر أولياء البلد، والذي علق عليه (وهو جل الغرض من الكتاب) قائلاً: (ومن المشاهير الشيخ الفاضل الجهبذ الإمام أحمد باجوبان وكان من أجل المشايخ أرباب العرفان المترقين في مقام الإحسان ولم أقف على شرح حاله مع تعلقي بمطالعة كتب السلف) ولم يتحقق بما فيه الغرض من الخلف وربما كان للشيخ في ذلك المحل زاوية وطلبة علم وتلامذة غير أنه لطول الزمان وعدم الاحتفال بحفظ التواريخ أدى الأمر إلى الضياع، ومما تداوله المنشدون عندنا أبيات يعزونها للشيخ العارف بالله سعيد بالحاف (انظر مسجده هنا) وهي غير مستقيمة الألفاظ ذكر فيها الشيخ باجوبان وفيها تبصرة ببعض مناقب هذا العارف وإن كانت شهرته من أعرف المعارف ونعلم منها أنه من أرباب الرتب العالية، وتوفي وقبره داخل قبة الشيخ سعد الدين الظفاري وهو تحت الجدار النجدي وقع عليه جدار القبة فصار قبره خارج القبة. النفحات المسكية.

ثم أورد باحسن بعض أبيات تلك القصيدة ومنها:

وتنظـــر قبلـــة المســـجد ... فـــلا نخطـــي ولا نبعـــد
ولا نـــــتهم ولا ننجـــــد ... معـــــدل كأنـــــه ميـــــزان
بنيـــل الـــدين والتقـــوى ... ومـــن للآخـــرة يهـــوى
حمـــاه الله مـــن الأســـوى ... فـــلا يقربـــه شـــيطان
لقـد ركـب عـلى النسـرين ... بنـــاء في قـــبره العينـــين
وبعـــده أيـــن قـــالوا أيـــن ... ربـــاط الشـــيخ باجوبـــان
فيـــا طـــوبى لمـــن زاره ... إذا مـــا حنـــت أطيـــاره
وباتـــت فيـــه ســـماره ... يجـــاوز عنـــد بـــاب الحـــان

وقد سأل المؤرخ باحسن بعض المعمرين من آل بريك لكونهم أول من تدير بالرباط عن حال الشيخ والمنازل والمآثر الدارسة فلم يفز بطائل وتؤكد وثائق الشيخ عبد الخالق يسر اليزيدي بوجوده عند الشيخ سعد الدين الظفاري وتسميته أحمد باجوبان.

غير أن المسجد مشهور بالجانب الشرقي للبلد ويقال له رباط باجوبان، ومسجده قائم العمارة إلى اليوم أي وقت تأليف كتابه النفحات المسكية الذي انتهى من تأليفه، ثم كرر باحسن ذكر صاحب المسجد عند ذكره للمساجد العامرة في زمنه ولم يزد على القول الذي أورده سابقاً وحدد مكانه بظاهر البلد من الجانب الشرقي إلا أنه من المفيد الإشارة إلى ما قيل أنه من تلاميذ الشيخ سعد الدين وقد زامل الشيخ سعيد عمر بالحاف (انظره ومسجد هنا).

وفي كتاب الشهداء السبعة ذكر ضمن قائمة المساجد العامرة تحت رقم (٢٢) باسم مسجد الشيخ أحمد بن جوبان وموقعه الرباط وكان به مدرسة قرآنية ملحقة به.

وإذا كان الشيخ أحمد بن جوبان من تلاميذ الشيخ سعد الدين المتوفي سنة ٦٠٧هـ (١٠/ ١٢١١م) فإنه بذلك يكون من رجال القرن السابع الهجري.

وبمناسبة القول أن المسجد يقع بظاهر البلد فقد وقع المسجد خارج سور البلد الذي بناه السلطان (الجمعدار) عوض بن عمر القعيطي (١٨٠١-١٩١٠م) الذي بدأه في مستهل عام ١٢٨٤هـ (إبريل ١٨٦٧م) وأن الوصول إليه عبر المنافذ الصغيرة التي تسمى مسالف / مسلف وأن مسلف بن جوبان واقع أمام كوت (قلعة) سالمين منصور وهو أحد حاشية السلطان القعيطي الأفارقة وصاحب الكوت نفسه، وقد زرت المسجد في تلك الفترة وعرفت

الشيخ سالمين منصور الرجل الطيب والمعتني بالمسجد المعروف بابن جوبان ذلك كان عن طريق الراوي عوض سالم عبدن رحم الله الجميع.

على أن مسجد بن جوبان لم يكن المسجد الوحيد الذي أصبح بعد أن اكتمل سور القعيطي حول مدينة الشحر خارج السور وكان هناك مساجد أخرى وقعت خارج السور أيضاً وهي:

١ـ مسجد أحمد بن جوبان
٢ـ مسجد عبد الله باهارون
٣ـ مسجد شيخ بن إسماعيل
٤ـ مسجد شيخ بافقيه
٥ـ مسجد فضل بافضل
٦ـ مسجد باخليفة
٧ـ مسجد أبو بكر بن شيخ
٨ـ مسجد عمر المحضار بالخور
٩ـ مسجد فارس باقيس

وهناك مساجد أخريات خارج نطاق السور الذي كان مبنياً حول مدينة الشحر لكنها بنيت بعد ذلك وسوف تمر معنا في محاولتنا هذه.

أما حول اسم صاحب المسجد فهل أسرته بن جوبان أو باجوبان؟ فنحن نجد عند المؤخ باحسن (باجوبان) وتؤيده سجلات الأوقاف بالشحر، ونرى وثائق أهل الشحر التي اطلعنا عليها تذكره باسم (باجوبان) إلا وثيقة الشيخ سالم هلال الحبشي (يناير ١٩٧٩م) تذكره باسم

(بن جوبان) ولكن كل جماهير الشحر تدعوه (بن جوبان) وأشار إلى ذلك الشاعر الشعبي حسين أبو بكر المحضار (انظر ترجمته في كتابنا شعراء العامية الحضارمة) الذي كتب إحدى أغنياته الشهيرة قائلاً :

واسأل السدة ودور الشحر مني والنوب
والســوح لـي عنـــــد (بـن جـوبـان)

ورغم أننا في شبه تأكيد من أن (البا) هذه تعني في اللهجة الحضرمية (ابن) فإننا نتمسك بما جاء في قائمة المساجد العامرة عند الغزوة البرتغالية في كتاب الشهداء السبعة في الصفحات ٤٧،٤٨ ويحتل الرقم (٢٢) باسم مسجد الشيخ أحمد بن جوبان ونعدها أقدم الوثائق.

وأخيراً وجدت على محراب المسجد: انتهت عمارة مسجد بن جوبان عام ١٩٨٥ وعلى لوحة واسعة معلقة على الجدار الشرقي لبيت الصلاة في المسجد، وبخط عريض كتب عليها (العالم العلامة العارف بالله الشيخ أحمد بن عمر بن سعيد بن جوبان) وكان ذلك بخط الفنان التشكيلي حاج مبارك باصويطين رحمه الله. وقد سألت إمام المسجد الشيخ سالم عمر بحول الذي أجابني بقوله لقد سألت العلماء، وقد توفي الشيخ سالم بحول ـ رحمه الله ـ بعد مرض عضال بداء السكري يوم ٨/ ٥/ ١٩٨٨م كما أشار لي بذلك ابنه سعيد سالم بحول.

٢٣ـ مسجد عمرو :

لا يعرف الجميع عنه أكثر من القول مسجد عمرو بن أحمد وهو مسجد يقع بالربع الجنوبي من حي عقل باعوين، ويبدو لي أنه من أقدم المساجد بهذه البقعة من المدينة وكأني به قد بني عند التوسع العمراني للمدينة وقد نسي الجميع دور هذا الرجل ويحكون لذلك قصة

طريفة مفادها أنه بدوي صاحب ذاكرة عجيبة وحافظة قوية فقد طلبه أحد العلماء أن ينقله على جمله من منطقة غير معينة إلى مدينة الشحر فوافق البدوي على ذلك وابتدأت الرحلة والعالم يتلو بعض الأوراد وربما منها بعض سور القرآن الكريم ولما وصل الركب إلى الشحر قال عمرو البدوي للراكب العالم لقد حفظت كل ما سمعتك تتلوه منذ أول الرحلة ثم سمعه كل ذلك. وفي القصة فائدة بأن الشيخ عمرو البدوي ليس رجلاً عادياً بل هو رجل راغب في العلم ولديه شراهة كبيرة لذلك وهو يتمتع بما حباه الله من ذكاء حاد ورغبة كبيرة للعلم، ولكن علي ألا أسترسل في تمجيد شخص لم أسمع عنه إلا ما يرويه العامة والبعض منهم يزيد وينقص، ويحلو لي أن أربط قصته هذه بقصة (بازنبيل) الذي تتكرر روايته في وديان دوعن والقريب منها وكنت معلماً بمدرسة القويرة عام ١٩٧١م (فسمعت القصة ترويها الألسنة هناك) ومفادها أن بدوياً أمياً يحمل زنبيله (وعاء خوصي) له مثل ذاكرة الشيخ الحافظ عمرو بن أحمد فهو يحفظ كل ما يسمعه من أخبار العلماء وما يكررونه على مسامعه من خير مع أنه أمي لا يحسن التطلع إلى الكتب ولا يقرؤها وكل اعتماده على الذاكرة والحفظ الجيد، وله قصة تحكى كالشيخ عمرو ولم يبق من أخبارهما إلا هذه، ومع اهتمامي في تتبع أخبار مساجد الشحر ومؤسسيها عدت من أخبار الشيخ عمرو خالي الوفاض ويظهر اسم الرجل (عمرو) وهو اسم يتكرر لدى بادية الحموم أحد فروع قبيلة حضرموت القضاعية والفرع الآخر قبائل الزي (التجمع) الظني، ويقول الحموم إن جدهم عمرو ويقولون عند انتصاراتهم فيما يعرف بالهوكة والتنصورة وكذلك عند الأفراح بقولهم: (عمرو غلابة، كم من قبيلي كسرنا نابه، والله كم، والله كم) كل ذلك استنتاجاً لا اعتماداً على مصدر أو مرجع معين.

ويتفرد المؤرخ الشيخ خميس كرامة حمدان في كتابه (الشحر في أدوار من تاريخها) بذكر نسب الشيخ عمرو بن أحمد إلى القبيلة المشقاصية (المهرة) وهي أيضاً قبيلة قضاعية وليس لي حق الاعتراض عليه إلا لأن اسم (عمرو) لا يتردد كثيراً لدى أفراد قبائل المهرة، ثم إنه لم يذكر لنا اسم مرجعه الذي استند عليه في إثبات هذا العالم المجهول بين الأوساط الثقافية والعلمية من أهل الشحر إلى اليوم وربما أهل حضرموت جميعاً، والأنساب تعتمد على الوثائق فقط.

والمسجد أشهر من أن نقوم بتعريفه أو تعريف مكانه وزيادة على ذلك نقول إنه أقرب إلى حي القرية من حي الصيادين ويعد ربع حي عقل باعوين الأكبر وقد جدد عدة مرات لم نقف إلا على التجديد الأخير الذي قام بتكاليفه إدارة الأوقاف بالمحافظة والمديرية، وقد تم الاستغناء عن اسطوانتين خشبيتين جميلتين من خشب الأبنوس عليها نقوش نباتية وهندسية بديعة وبقيتا مرميتين بجانب الجدار الجنوبي للمسجد فترات بعيدة، ومررت ذات يوم بمعية الشاعر عوض سالم عبدن (انظر ترجمته في معجم الشعراء الحضارمة) وأشار إلي أن الساريتين من سواري مسجد سيف الدين الكهالي (انظره ومسجده هنا).

والمسجد اليوم بعد التوسعة يتكون من بيت الصلاة الذي يتكون من ثلاثة أروقة تفتح على خمسة أبواب إلى صحن المسجد المسقوف رواقه الأول، وفي جنوب المسجد تقع مئذنته الحديثة القصيرة في الجنوب الغربي وفي الشمال الغربي تقع الميضاءة وما بينهما يفتح الباب الرئيسي للمسجد وهناك بوابة أخرى تقع في الجدار الشمالي تفتح على الميضاءة وصحن المسجد.

٢٤ـ مسجد باذييب :

ذكر اسم هذا المسجد في قائمة المساجد العامرة بمدينة الشحر عند الغزو البرتغالي التأديبي لها عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) وجاء تحت رقم (٢٤) باسم مسجد أحمد عمر الذييبي (باذييب) ويقع في الجزء الشرقي من حي عقل باعوين وقد حف بالمسجد الساكنون من هذا الحي فعرف هذا الجزء بربع باذييب، وبنفس الاسم ورد في وثائق الشيخ عبد الخالق اليزيدي والشيخ طاهر الأرضي ومثل ذلك جاء في كتاب المؤرخ عبد الله باحسن في الجزء الثاني من النفحات المسكية باسم (أحمد عمر باذييب) ثم وصف المسجد قائلاً: (وهو من المساجد المأثورة العامرة) وفي الباب الأول من الجزء الثاني من كتابه والمخصص لذكر الأولياء في مدينة الشحر جاء (ومن الجانب القبلي من جهة قبة الشيخ سعد قبة الشيخ أحمد بن عمر باذييب ـ نفع الله به ـ وهو من الصالحين من أرباب السرائر ولم أتحقق نسبه غير أني سمعت من بعض المعمرين يذكر أنه يعرف امرأة بحارة المجرف من أهل باذييب ـ والله أعلم ـ ولعلها تنسب إلى هذا الشيخ وأنهم كانوا من سكان الشحر) وإذا عرف المؤرخ باحسن عن اسم هذه المرأة بواسطة الراوي المعمر فأنا أعرف أسرتين بمدينة الحامي المجاورة لمدينة الشحر هاتان الأسرتان وربما في الأصل هما أسرة واحدة يعرفون بأسرة (الذييبي) وقد حضرت بمعية بعض الأصدقاء زواج الأخ بدر بن أحمد الذييبي حيث كنا نعمل معاً بمستشفى الشحر، وفي الحقيقة أن قبائل وأسر كاملة تهاجر من مكان لآخر فكيف بالأفراد!

ولهذا فإن صاحب المسجد المعروف بالذييبي والذي أضاف له الحضارمة (الياء) فهو لا شك عندي من أفراد تلك القبيلة الحضرمية الكبيرة التي تسكن وديان ومناطق محافظة شبوة،

وقد أشار إلى ذلك إبراهيم المقحفي في الجزء الأول من كتابه (معجم البلدان والقبائل اليمنية) ص ٦٥٧، كما أشارت إلى ذلك كل كتب القبائل الحضرمية عند الشاطري في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) وعند عبد الله أحمد الناخبي في كتابه (شذرات من مناجم الأحقاف) وغيرهما.

إن ضياع تلك الآثار وعدم الحصول على نسب هذا العالم جعل عبد الله السقاف يقول في ترجمة الأديب عمر أحمد باذيب (١٢١١ ـ ١٢٨٠هـ) (١٧٩٦ ـ ١٨٦٣م) ما نصه: (على أن الغرابة في الذكريات الشحرية أن يحدثنا العلامة عبد الله محمد باحسن في تاريخ الشحر عن مسجد له بمدينة الشحر، إن لم يكن لتشابه الأسماء اسماً وأباً وجداً وقبيلةً أثرها في الالتباس) تاريخ الشعراء الحضرميين ج٤/ ٢٢، ولا يخفى على القراء أن هذا لا يقبله عقل ولا يقربه فالمسجد قديم وكان عامراً قبل ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) ولأجل هذا احتاط السقاف فجعل الأمر غريباً، إذ أن الفرق بين أول ذكر للمسجد وما جاء عند السقاف ما يقرب من ثلاثة قرون من الزمان، ولقد سألت بعض المهتمين بمثل هذه الأمور وبعض الرواة فلم أفز منهم بطائل، ثم سألت أستاذي محمد عبد القادر بامطرف فأكد لي أنه غير باذيب الذي وردت ترجمته عند السقاف لكنه قال إنه لا يعرف شيئاً عن هذه الشخصية، وقبة الشيخ أحمد باذييب هذا داثرة في هذا الزمان ـ زمان وضع باحسن كتابه النفحات ـ لكن مسجده الآن عامر بالبناء والمصلين وكان في القرن العاشر الهجري ملحق به مدرسة قرآنية.

وعندما عاد الشيخ سليمان عبد الله عفيف اليافعي الشحري إلى الشحر من مهجره بالصومال البريطاني نقل معه الطريقة الأحمدية التي كانت تمارس هناك وكان هو من

أنصارها، فجمع البعض ممن آمنوا بهذه الطريقة وهي تنسب للشيخ (أحمد الدندراوي) وقعد وجماعته بمسجد باذييب ووقت لها مساء إحدى ليالي الأسبوع واستمرت على ذلك حتى تمكن من شراء قطعة أرض لامرأة بقيت من أسرة شيبانية تسكن بالشحر وجعل تلك القطعة جزء من مدرسة مكارم الأخلاق وجعل جزءاً منها للطريقة والمنقطعين، ثم جاءت فتوى من تريم بأنه من الممكن أن تجعلها كلها للمدرسة وتبني مكاناً آخر للزاوية، وفعلاً تم ذلك كما سيأتي عند ذكر مسجد الزاوية.

وبالمناسبة كنا طلاباً بمدرسة مكارم الأخلاق والمعلم يطلب من أحد طلابه أن يجلب عوداً من نخيل هذا المسجد ثم انتهى أمر هذه المزرعة بعد التجديد فأدخل كله إلى المبنى الجديد للمسجد.

قال لي أحد المعارف أن البناية الجديدة كانت للشيخ عبد الله أبو بكر حميد الشحري، وتكون من بيت للصلاة واسع بعض الشيء يتلوه صحن المسجد ثم الجزء الشرقي من المسجد ما بين الميضاءة والركن الجنوبي الشرقي ترتفع مئذنة المسجد، وله باب رئيس يفتح جنوباً على صحن المسجد مباشرة.

** والملاحظ أن ما قدمته هو ما يدور حول مسألة الزاوية شعبياً وعلى الألسنة لكن الأستاذ علي حسين المقدي يروي رواية أخرى نذكرها عند ذكرنا لمسجد الزاوية.

٢٥ـ مسجد العيدروس الكبير :

كان هذا المسجد عامراً بالبناء والمصلين عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) ضمن القائمة التي وردت أيام الغزو البرتغالي التأديبي لمدينة الشحر وكان يحتل الرقم (٢٥) من تلك القائمة التي جاءت في الصفحة ٤٧ و ٤٨ من كتاب الشهداء السبعة للمؤرخ الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف.

وهو مسجد صغير في ذلك الزمان زمان تأليف عبد الله باحسن كتابه (النفحات المسكية) حيث قال: (وكان الناس تقصده للزيارة والتبرك.. ثم تجددت عمارته أخيراً وزاد في رواقه من الجانب البحري (الجنوبي) وهدمت ما عليه من القبب قديماً وأبدل سقفه بجريد النخيل وأقيم على اسطوانتين فقط وهو مسجد مبارك مأثور) ويقع المسجد بحي عقل باغريب.

وقد اختط هذا المسجد الشيخ عبد الله (العيدروس) ابن أبي بكر (السكران) ابن عبد الرحمن (السقاف) وليس بأيدينا ذلك ولكننا نرجح أن ذلك تم في حياته.

وصاحب المسجد ولد بمدينة تريم في ١١ ذي الحجة ٨١١هـ (الموافق ٢٦ إبريل ١٤٠٩م) ولقبه أبوه بالعيتروس الذي تحرف إلى العيدروس، وقد نشأ بها وفيها تلقى تعليمه الأولي ومات أبوه وهو ابن عشر سنوات، فقام بتربيته وأخويه عمهم الشيخ عمر المحضار السقاف وزوجه ابنته عائشة، وتفقه عليه وعلى جماعة من العلماء في كل من حضرموت واليمن والحجاز وقد تصوف صغيراً (وكان ملازماً لقراءة مصنف حجة الإسلام الغزالي (إحياء علوم الدين) وكان ينهى عن مطالعة الفتوحات المكية والفصوص لابن عربي مع أمره بحسن الظن فيه وما ذاك إلا لعلوها فهم العامة) المشرع الروي ص ٣٤٦.

وقد خلف عمه المحضار لرئاسة نقابة العلويين وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ثم جلس للإفتاء والتدريس في التفسير والحديث والفقه وعلم التصوف.

وله في باب التأليف (الكبريت الأحمر) وله شرح على قصيدة الشيخ سعيد عمر بالحاف وله مناقب في شيخه سعد بن علي مدحج ورسائل ووصايا تحث على فعل الخير وله نظم حسن. ولعمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن كتاب سماه (فتح الرحيم الرحمن في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن).

ولقد عاش العيدروس طيلة حياته وهو حامل لواء العارفين ومقيم علوم المحققين، لقبه أبوه بالعيتروس/ العيدروس وقال هو لقب الأولياء وهو أيضاً اسم كبير الصوفية.

وألبسه عمه المحضار خرقة التصوف وألبسها ابنه أبو بكر قبيل وفاته وكان محباً للسماع وسماعه بعشرة دفوف وأشار المؤرخ عبد الله باحسن إلى أن حضرته قد أسست في مسجده بالشحر.

وكان العيدروس هذا كثير التردد على مدينة الشحر حتى أنه توفي بعد ثمانية أيام منها وهو في طريقه إلى مسقط رأسه تريم، وكان ذلك في الثاني عشر من شهر رمضان عام ٨٦٥هـ الموافق أول يوليو ١٤٦١م بعد أن مكث بالشحر شهراً وقبر في مقبره زنبل بتريم وعلى قبره قبة عظيمة.

وكنت أتردد على هذا المسجد في ليالي رمضان أستمع إلى الشيخ كرامة عوض بن نويصر الذي يقوم بتقديم المدائح النبوية كل ليالي رمضان، كنت أتعلم منه وأستفيد من أجوبته في

مسائل هذه المدائح (انظر ما كتبناه عنها في كتابنا الابتهالات والمدائح في حضرموت الابتداء والانتشار، مدينة الشحر نموذجاً).

وبالمناسبة نحن نجد من بين قادة الشهداء السبعة لمقاومة الغزو البرتغالي لمدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) نجد منهم الشيخ حسين بن عبد الله العيدروس وكان تاجراً حسبما ورد في كتاب الأستاذ بامطرف (الشهداء السبعة) وفي هامش الكتاب رقم (١٣٩) ورد عنه ما يلي: (يقول الربان باسباع ما فحواه إن العيدروس هذا هو الشيخ حسين بن عبد الله الجمحي وإنما لقب بالعيدروس لأنه كان من مريدي الشيخ عبد الله العيدروس الأكبر، وكان بالشحر شخص آخر يدعى حسين بن عبد الله الجمحي وقد أطلق أهالي الشحر اللقب على حسين الأول تمييزاً له عن حسين الثاني، وقد اشتهر بهذا اللقب في الشحر (ص١٣٧).

الفصل الثالث

١ـ مسجد علي عيديد :

أحد مساجد مدينة الشحر الشهيرة الواسعة والعامرة بالمصلين والبناء منذ تأسيسه، ويقع بالربع الشرقي من حي عقل باعوين أكبر أحياء المدينة، ولم يكن النشاط العمراني قد امتد إلى أقرب مساحة من مكان تأسيسه في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، ويعتبر موقعه خارج المدينة عند تأسيسه، فلما حفت به المساكن أطلق على تلك الحافة (حافة عيديد).

وصاحب المسجد هو الشيخ علي بن أحمد بن محمد عيديد العلوي، وكان عالماً عاملاً وورعاً وزاهداً، توفي سنة ١٠١٧هـ الموافق ١٦٠٨م وقد عاش كما يقال عمراً قدر بثمانين سنة، وعليه فإنه يكون من مواليد سنة ٩٣٧هـ الموافق ١٥٣٠م، وقد قبر بحري مسجده المشهور، في المقبرة التابعة للمسجد وهي تعرف إلى يومنا هذا بمقبرة عيديد، وبجانبه قبر أخيه عبد الرحمن ودفن أيضاً ابنه أبا بكر، أما والده أحمد بن محمد فقد توفي أيضاً بالشحر ولم يقبر بهذه المقبرة، مما يدل على أنها استحدثت في سنة وفاة صاحب المسجد أو قبله بقليل، ذلك ما جاء في الشجرة المجردة لنسب آل عيديد وهي لمحمد سالم عيديد.

ويذكر أصحاب التاريخ والرواة أنه ـ أي صاحب المسجد ـ قد أسس مسجده قبل أربعين سنة من وفاته، وهذا يعني أن تأسيس البناء وعمرانه كان في عام ٩٧٧هـ (١٥٦٩م)، وكان المسجد في الأساس صغيراً وهو لا يزال قائم البناء وهو الجزء الذي يقع بالوسط من المسجد اليوم، وتزينه أربع قباب صغيرة جميلة، وقد وسعه أهل الخير فيما بعد، فتمت توسعة

بيت الصلاة من الناحيتين القبلية (الغربية) والشمالية وأضيف إليه المئذنة الجميلة جداً ذات القاعدة المضلعة التي تعلو المسجد علواً معقولاً يقدر بارتفاع ثلاث طوابق وتنتهي بجزء مخروطي تخرج منه قاعدة مشربية خشبية يخرج إليها المؤذن والمذكر بأوقات الصلاة وبالمناسبات الدينية وإعلان الوفيات.

ومنها سمع الناس المذكر ومغني رقصة الشواني الشيخ المرحوم بإذنه تعالى سعد عوض حيمد سلومة الذي لا ينسى صوته الشجي من سمعه وقد كتب المحضار فيه قصيدة في ذكراه نبه إلى صوته الجميل عند تذكيره من هذه المنارة الشهيرة من المسجد الشهير وكان جدي والد جدتي لأمي الشيخ عبد الله سالم باسكران قد سبقه لمثل ذلك وكان ذا صوت جميل ورثه الشيخ محمد باضريس الشهير بلقب (باطعام) الذي كان يتقن التغني بالمدائح النبوية الرمضانية وكان ذا صوت جميل شجي تفضل أن تسمعه بل وتشاركه في طريقته، وقد حدث لي مثل ذلك فقد تعلمت منه هذه الطرق البديعة في التغني بالمدائح النبوية، رحم الله الجميع.

أما التوسعة الحديثة فإن الإضافة كانت على حساب المزرعة الصغيرة التي تقع خلف المسجد من الناحية الشرقية، وهي تابعة للمسجد وكانت هذه المزرعة تشكل أمراً هاماً، فهي تتشرب الماء الفائض جراء الوضوء والكمية الكبيرة منه عند التجديد، والذي يوزع على الأشجار والنباتات المزروعة بدلاً من أن يترك مجمعاً في برك آسنة تسبب نمو الحشرات الضارة كالبعوض والذباب والجردان وغيرها وتطلق الروائح الكريهة.

إن المئذنة هذه قد أنشأها الشيخ حسين محمد بن سهل كما أنشأ منارات أخرى شبيهة مثل منارة مسجد الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس التي خرب جزؤها العلوي فأقامه الرجل

الطيب الشيخ أحمد عوض حمود، أما المئذنة الثالثة فكانت لمسجد الجامع وكانت أعلى من الأخريات لكنها تعرضت لعوامل التعرية وكان أهمها الرطوبة فهي أقرب إلى البحر فهدمت خوفاً من أن تسقط على المارة والمؤذنين.

٢ـ مسجد الشيخ أحمد :

هكذا يعرف هذا المسجد عند أهل الشحر وبنفس الاسم ورد في سجلات الأوقاف بمدينة الشحر وأنشأه الشيخ أحمد بنفسه. فقد ولد الشيخ أحمد في بلدة عينات بعد أن تديرها أبوه الصوفي الشهير الشيخ أبو بكر بن سالم (٩١٩ـ٩٩٢هـ) (١٥١٣ـ١٥٨٤م)، وبها نشأ وترعرع، أمره والده بالسفر إلى تريم لزيارة من فيها وللأخذ عن العارف بالله الشيخ أحمد بن علوي.

هذا ما جاء عند محمد بن أبي بكر الشلي في كتابه المشرع الروي الذي قال في ترجمته: (ذو المناقب المشهورة والكرامات المأثورة) وقال مثل ذلك المؤرخ عبد الله باحسن في كتابه النفحات المسكية ج٢/ ١٠٦ نقلاً عن المشرع الروي.

حج مرتين وفي الأخيرة مر بعدن بعد قفوله من الحج وزار جميع آل العيدروس فيها وزار ضريح الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس المشهور بالعدني، ثم رحل منها مروراً بمدينة الشحر فرآها طيبة النشر فطنب فيها خيامه وأقام فيها مسجده ومسكنه وحف الناس بالقرب من مسجده ومسكنه فأطلق عليها مجورة آل الشيخ أبو بكر قبل أن تلتحم وتختلط بمجورة آل الشيخ سعد لتصبح باسم المجورة التابعة لحي عقل باعوين، وهي اليوم الحي الشرقي من حي الصيادين بعد أن تم تحقيق انفصال هذا الحي عن الحي الأم عقل باعوين.

توفي الشيخ أحمد بالشحر ١٠٢٠هـ (١٦١١م)، ثم أقيم على قبره قبة عظيمة جميلة ظلت عامرة إلى اليوم وعرفت المقبرة المقامة حول قبته باسم تربة الشيخ أحمد وقد قبر بها الشاعر حسين أبو بكر المحضار باعتباره من آل الشيخ أبو بكر المتوفى في ٥ فبراير ٢٠٠٠م.

وفي هذا المسجد تقام حضرة الشيخ أبو بكر عصر كل جمعة وتضرب بها الدفوف وتنشد بها الأناشيد وعدد من القصائد التي تنسب لوالده الشيخ أبو بكر بن سالم، وقد حضرت عدة مرات وكنت معجباً بحاديها ورئيس المنشدين الشيخ علي عمر العماري المشهور بلقب (المقام) رحمه الله، فهو علاوة على صوته الجميل ضارب جيد على آلة الطار.

ولم نقف على تاريخ آخر عمارة لهذا المسجد ولم نجد وصفاً لها أيام إنشائه الأولى أو حتى بعد ذلك، والعمارة الحالية خالية من القباب والفنيات التي تلاحظ على مساجد محافظة حضرموت بالساحل والداخل، فبيت الصلاة له سقف مسطح وله صحن من الجهتين الجنوبية والشرقية ثم سقف هذه الصحن على فترات متباعدة ابتداء من الناحية الجنوبية الموازية لبيت الصلاة وليكون بيت الصلاة كله أروقة اتسع بها هذا المسجد، وكان في الجزء الشرقي منه مئذنة في الجهة الأولى ثم بقي من الجزء الشرقي ميضاءة واسعة، وقد اكتمل البناء في شعبان/ رمضان ١٤١٠هـ الموافق مارس/ إبريل ١٩٩٠م.

وقد أشار لنا الشيخ عوض سالم عبدن (ت ٨ رمضان ١٤١٠هـ الموافق ٣ إبريل ١٩٩٠م) وكان أهم الرواة الذين أفادوني كثيراً عند كتابة هذا المؤلف، أشار بأنه قد تجددت عمارة هذا المسجد وتزيينه وأضاف إليه المنارة التي هدمت في زمن مضى الشيخ حسين بن محمد بن سهل وقت أن جدد مآذن مسجد الجامع ومسجد العيدروس بحافة عقل باعوين

ومسجد عيديد وهي الوحيدة التي ظلت قائمة وبالشكل الذي أراده مؤسسها الشيخ بن سهل، حسين محمد بن سهل.

وكان هذا المسجد وإلى ما قبل عام ١٣٨٠هـ (٦٠/ ١٩٦١م) يعج بعشرات الطلاب الذين يتلقون الفقه والحديث والنحو كل صباح، يشرف على ذلك مربي أهل الشحر وعالمها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر صاحب رباط الشريف وهو اليوم رباط المصطفى والمتوفى في ٢٣ شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٤/ ٢/ ١٩٦٥م وهو من أحفاد صاحب المسجد وكذلك ابنه سالم وبعض من مدرسي هذه المواد الإسلامية والعربية ومنهم:

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى في ٢٤ فبراير ١٩٦٥م،
الشيخ سالم بن عبد الله ابنه المتوفى في أبو ظبي في ٣١ مارس ٢٠١٨م،
الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي المتوفى بالشحر في ٣١/ ٨/ ١٩٩٦م،
الشيخ سالم خميس حبليل المتوفى بالشحر في ١٤/ ٨/ ١٩٩٦م،
الشيخ حامد يسر اليزيدي المتوفى بالشحر في ٢/ ٣/ ١٩٩٧م.

وقد أقيمت بهذا المسجد جمعة وأولها للخطيب الشيخ عبيد رمضان باحنبص أطال الله عمره، وكانت في يوم الجمعة ٥ من شهر شوال ١٤١١هـ الموافق ١٩ إبريل ١٩٩١م.

رجعت في ذلك إلى :

أبو بكر الشلي ، المشرع الروي.
باحسن عبد الله ، النفحات المسكية.
الراوي عوض سالم عبدن.
سجلات الأوقاف بمدينة الشحر.

٣ـ مسجد الحداد :

كل أهل الشحر يقولون أنه مسجد الحداد ويقصدون به مسجد الشيخ عبد الله بن علوي بن محمد الحداد التريمي صاحب الحاوي. ميلاده ووفاته بمدينة تريم (١٠٤٤هـ - ١١٣٢هـ) (١٦٣٤م – ١٤١٩م) بحي الحاوي من تريم، كف بصره وهو في الرابعة من عمره لكنه أظهر نبوغاً مبكراً وأصبح من كبار صوفية حضرموت، وقد وضع عدداً من التأليفات وديوان شعر حكمي حميني هو (الدر المنظوم....).

وترجماته كثيرة منها في تاريخ الشعراء الحضرميين للسقاف و(عقد اليواقيت الجوهرية) لعيدروس الحبشي و(أدوار التاريخ الحضرمي) لمحمد أحمد الشاطري، و(سلك الدرر) للمرادي، و(مصادر الفكر الإسلامي في اليمن) للحبيشي. وأفرد بعض من تلاميذه دراسات في مناقبه منها (تثبيت الفؤاد) لأحمد الإحسائي، و(بهجة الفؤاد) و(غاية القصد والمراد) لمحمد بن سميط، و(الإمام الحداد) للدكتور مصطفى البدوي وغيرها. انظر ترجمته في كتابنا (معجم شعراء العامية الحضارمة).

لكن المؤرخ عبد الله محمد باحسن في كتابه (النفحات المسكية) المحقق من الدكتور محمد عبد النور قال عن هذا المسجد: (يقال أنه على اسم أحد أولاد سيدنا عبد الله بن علوي الحداد) وقد عرضت الفكرة للراوي الشاعر عوض سالم عبدن فأشار لي رحمه الله مشكوراً، أن الشيخ عبد الله بن علوي نفسه زار الشحر قاصداً الشيخ أحمد بن ناصر بن أحمد بن الشيخ أبو بكر وعده أحد شيوخه وقد أثنى عليه بل وأطنب في مدحه واعترف له بالفضل وعدّه كما أشرنا من الذين أخذ عنهم في العينية بقوله:

وكصاحب الشحر ابن ناصر أحمد من بالعناية والرعاية قد رعي

وقد وصف كل منهما الآخر، فكان الشيخ أحمد يقول: (أن الحداد عطية من الله في هذا الزمان الذي خفي في الخير، وكان يقول للحداد همة علوية وحال فائق كأبي يزيد البسطاطي فاغتنموه) وكان الحداد يقول: (لما اجتمعنا بالسيد أحمد بن ناصر ببندر الشحر وجدناه فوق ما توهمناه من الكمال) ص٢.

والشيخ الحداد كما كان يُروى، يذهب عصر كل ليلة إلى المكان الذي يلي ـ اليوم ـ مسجد الحداد وبيت العطاس وجنوب مقبرة الشيخ سعد وشمال داره، وكان يصلي بمن معه صلاة المغرب ويكرر قوله: يحتاج هذا المكان أن يكون مسجداً فهو مكان جميل، هكذا روى لنا الشيخ عبدن، وبعد مدة بُني هذا المسجد وفي عين المكان الذي ذكره الحداد، ونسب لأحد أولاده دون تحديد.

بعد مضي زمن رأينا مسجد الحداد قائم البناء بعد أن جدد عمارته المرحوم الشيخ سعيد عبد الله عبادي عن طريق المرحوم الشيخ عبد الله بن علي العولقي سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م)، وهو من سرو حمير أمير من العوالق التحق بجيش نظام حيدر أباد بالدكن في الهند، كان ذا شخصية قوية وطموحة إلى الملك، وقد اشترى سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) قرية الحزم (الصداع) من آل بريك سلاطين الشحر ليجعل منها نواة لسلطنة عولقية بساحل حضرموت. وقد تحالف مع آل كساد حكام المكلا وآل كثير حكام سيئون، وفي تاريخ لاحق استولى القعيطي على قرية الصداع وهد الحصن الكبير الذي أنشاه بها وبذلك انتهى طموح العولقي في حضرموت. انظر (معجم شعراء العامية الحضارمة).

إن محاولة الأمير عبد الله علي العولقي تجديد عمارة مسجد الحداد بالشحر بواسطة وكيله بن عبادي هي محاولة لإعلان نواياه الحسنة والطيبة لكل جماهير الشحر وما حولها وفي بداية النصف الثاني من القرن الماضي كان والدي رحمه الله يصحبني إلى مشاهدة الاحتفالات التي تقام في ما يعرفونه بالزيارة الحولية للشيخ سالم عمر العطاس التي أقامها أمراء الدولة البريكية لغرض اقتصادي ثم سياسي وكنت ألاحظ هذا المسجد وهو مهدم وقعدت مرة داخل صحنه المهدم وسألت نفسي عندما كبرت لم َ لم ْ يتجاسرأحد إعادة بناء هذا المسجد؟ ووصلت إلى أن من يحاول إعادة بناء هذا المسجد يكون في موضع شك أنه ربما يكون مدعوماً من قبل الأمير العولقي فابتعد هؤلاء خوف هذا كما أظن.

ثم إن زميلي الأستاذ عوض سعيد بن رمدان المقيم حالياً في صلالة بالسلطنة العمانية الشقيقة مع إخوته وصهوره من آل عبدون الهزاولة هم من تشاركوا جميعاً في إعادة بعث المسجد الذي أصبح منشأة إسلامية معروفة ولله الحمد وعند نهاية الحديث عن هذا المسجد نود القول أن اسم المسجد سجل ضمن سجلات الأوقاف بالشحر وتنسبه لكبير الصوفية الحضرمية الشيخ عبد الله بن علوي الحداد، لكن في سجل تابع لإدارة الأوقاف بالشحر والخاص بالمستأجرين لأوقاف المساجد يذكر أوقاف هذا المسجد باسم علوي بن محمد الحداد وهذا يجعلنا نتذكر قول المؤرخ باحسن في كتابه النفحات المسكية: (وينسب المسجد لأحد أولاد الشيخ عبد الله بن علوي الحداد).

اعتمدت في هذا على :

النفحات المسكية لعبد الله محمد باحسن.

سجلات أوقاف مدينة الشحر

الشحر حضارة وتاريخ لخالد الهندي.

الراوي عوض سالم عبدن.

شرح العينية.

٤ـ مسجد غبطة :

يقع هذا المسجد في ربع عمرو (حافة عمرو) من حي عقل باعوين، ولم يكن مذكوراً عام ٩٢٩هـ (١٥٢٢م) ورغم هذا فلا أحد يعرف شيئاً عن صاحب هذا المسجد مما جعل باحسن في كتابه النفحات المسكية يقول: (ولم أر أحداً حقق نسبه وشرح حاله سوى الشيخ الأديب العلامة وجيه الدين عبد الرحمن باكثير الذي ذكره في قصيدته التوسلية ومنها:

وبغبطة المغبوط بالدين الذي قد حطه والظهر منه مثقل

فبقبره وبفضله في عصره كل إلى حاجاته يتوسل

من حط حرف الواو وسبعا فوقه نال الذي يرجو وهو معجل

وهنا يشير الناظم إلى كرامة منتشرة بين الناس هنا في الشحر، فالكل يطلق عليه لقب (قاضي الحاجات) ويعده باحسن من مشاهير الرجال بالشحر، ويضبط اسمه فيقول: غبطة بكسر حرف الغين ويقال بن أحمد، وتؤكد وثائق الشيوخ هذا، فوثيقة الشيخ طاهر الأرضي ووثيقة الشيخ عبد الخالق اليزيدي تؤكد الاسم بأنه غبطة بن أحمد وتزيد هذه الوثيقة بالقول: بأنه مقبور بتربة الشيخ سعد الدين وبجوار الشيخ أحمد باجوبان، ويفصل باحسن بالقول: بأن قبره يقع من الجانب النجدي على طريق السالك وقبره يزار، وعلى أي حال فإن مسجد غبطة من المساجد المأثورة والمشهورة وهو عامر البناء إلى اليوم.

ويبدو لي بأن اختلاف أبناء وأحفاد السلطان أبو طويرق على كرسي الحكم هو الذي أخل بما كانت عليه مدينة الشحر فانتصرت الصوفية بعد أن غادر بعض علماء السنة هذه الفانية وذهب آخرون إلى خارج البلد (ص٤٨ الابتهالات). ولم يمض زمن طويل إلا وأغلب الناس يوافقون الصوفية في اعتقاداتهم وما يبتدعونه بين من يتبعهم من الناس، وينطبق ما نقوله على صاحب المسجد المعروف بغبطة ابن أحمد فلم يسأل عنه أحد، عن أسرته ونسبه وأضاعوا حتى اسمه وانتشر بين الناس لقبه (قاضي الحاجات) دون أن يتم إعلان سبب التسمية وإطلاق هذا اللقب، وأشيع بين الناس مسألة ذكرها المؤرخ باحسن ومن الأفضل لنا وللجميع أن نعرف هذه المسألة: (من خط حرف الواو الخ..) إلى ما وقع عليه النص من قديم الزمان، أن من كتب سبع واوات ونوى حال الكتابة أيّ حاجة قضيت له بإذن الله تعالى، ورأيت كثيراً من الفضلاء الأعيان يفعل ذلك، ويستحب أيضاً أن يقرأ عنده شيئاً من القرآن العظيم ويوهب ذلك له، ثم يفعل الكتابة المذكورة، وقال بعضهم أن يزور الشخص أولاً ضريح سيدنا عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج نفع الله به ويدخل قبته من الباب النجدي ويخرج من بابها البحري، ثم يقصد مسجد الشيخ أحمد بن عمران ويركع فيه ركعتين ثم يقصد قبر الشيخ غبطة ويزوره ويكتب عليه الواوات المذكورة فإن حاجته تقضى كيف ما كانت، ولا أدري من الذي يصنف مثل هذه الحكايات ومن يذيعها بين الناس الذين يصدقونها بل ويعتقدونها فيه وليس علي أن أتهم أحداً لكن علي أن أذكر الفضلاء والأعيان ومنهم باحسن نفسه الذي لا ينتقد مثل هذه الحكايات غير الصحيحة والله من وراء القصد.

وقد اختلف من نوى أن يعيد بناء المسجد من جديد حول تركه كما هو على الأقل للحفاظ على البناء المعماري القديم، والحقيقة لا شيء يثير مثل هذه الخلافات خاصة حول

بيت الصلاة لهذا الذي لا ميزة فيه تفضل الإبقاء عليه، وقد تم الاتفاق على ترك المبنى القديم والتفكير في بناء بيت للصلاة جديداً وهو الموجود حالياً ويتكون من هذا الجزء وهو الملاصق لقبلة المسجد ويتبعه فضاء هو الصحن ويتكون الجزء الشرقي من باب المسجد والميضاءة وهناك باب رئيس نجدي يفتح عن صحن المسجد.

وقبل أن أختم ما قدر لي كتابته عن هذا المسجد أقول إن الأستاذ خالد يوسف الهندي وضع كتاباً تحت عنوان (الشحر حضارة وتاريخ ومعلم) وأشار في ذلك الكتاب إلى المسجد وقال: أن المسجد ينسب إلى غبطة بن أحمد بافضل، ولم يشر غيره إلى نسبته لآل بافضل ولم يذكر مرجعه في ذلك.

يعود ما كتبته على :

النفحات المسكية لعبد الله باحسن.

وثيقة الشيخ عبد الخالق يسر اليزيدي.

وثيقة طاهر على الأرضي.

الابتهالات والمدائح النبوية في حضرموت.

٥ـ مسجد الشيخ عبد الله بن شيخ :

اختط هذا المسجد الشيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس في الجزء من حياته، حيث استقر به المقام في مدينة الشحر بعد ترحال طويل في الحجاز والهند.

ولد هذا الشيخ في سنة ١٠٢٧هـ (١٦١٧م) بمدينة تريم وفيها نشأ وترعرع وفيها تلقى تعليمه على يد عمه زين العابدين وأخذ عن ابن عمه عبد الرحمن بن محمد ولازمه، وعن أبي

بكر بن شهاب العلوم الشرعية والنحو والصرف والتصوف والحقائق. ثم رحل إلى بندر الشحر وأخذ عن علمائها ثم حج بيت الله الحرام وأخذ عن جماعة هناك، ثم عاد إلى تريم ودخلها في موكب عظيم، إذ خرج لاستقباله شيخه عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس بأهل السماع والدفوف واليراع. ولم يزل يقتني من العلوم نفائسها ومن رياض العلوم بواطنها، وبرع في تلك العلوم، ولما مات شيخه قام بمنصب آبائه.

وفي عام ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) رحل إلى الحرمين وأخذ عن العلماء هناك وجمع كتباً كثيرة في فنون شهيرة، ثم أخذ عن جماعة التصوف ولبس الخرقة الشريفة بمكة ثم سافر إلى الهند لزيارة فرع أسرته هناك، حيث وصل إلى بندر سورة وزار الوزير حبسخان وكان تلميذاً لوالده ثم رحل إلى مدينة بيجافور واجتمع بسلطانها المشهور المحمود عند كل فضل وجاه السلطان محمود شاه، ثم رحل على عجل منها بعد حادثة لم يذكر صاحب المشرع تفاصيلها إذ قال: (ثم حصل من بعض الحسدة ما حصل ففارقها على عجل ورجع إلى بلده ومسقط رأسه وأحيا به معالم منصبهم بعد اندراسه) (المشرع الروي ج٢/ ٣٨٦ ط م). مفضلاً الانزواء والعزلة والانفراد مع إلقائه دروساً على من يقصده من الناس.

ثم رحل إلى بندر الشحر وألقى بها عصا المسير، قال صاحب المشرع: (وصار به مقصد القاصدين وموردا عذباً للواردين وعمدة للطالبين ومرشداً للضالين ومربياً للسالكين) ولم يزل كذلك حتى أدركته الوفاة ليلة السبت الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٠٧٣هـ (١٦٦٢م) لكن الناشر أحمد عبد الله السقاف صاحب خدمة العشيرة يذكر وفاته عام ١٠٨٦هـ (١٦٦٥م) ولعله استند إلى التاريخ المسجل على التابوت الخشبي الجميل الذي يقام

على ضريحه الذي يعلوه بناء تزينه قبتان صغيرتان مخروطية الشكل، وتقع على الشرق من قبة الشيخ سعد الدين الظفاري.

ونعتقد أنه بنى مسجده المعروف والمشهور قريباً من سور المدينة القديم وبيته يقع إلى الجنوب من مسجده في فترة اختباره وتديره مدينة الشحر، ولما حفت به مساكن أهل الشحر وسميت تلك الحافة بربع العيدروس في حي عقل باعوين ثم أُطلق على بوابة السور الشمالية للسور الجديد (سدة العيدروس)، ويشير باحسن إلى هذا المسجد قائلاً: (وهو من أكبر مساجد الشحر وأشهرها ويشتمل على قبة كبيرة مركبة على أربع اسطوانات بصنعة محكمة قوية، وله رواق من جانبه الشرقي إلى جانبه النجدي (الشمالي) ومن خارجه شاذروان كبير معد لاستراحة الناس وهو بحارة أبي عوين). وهو على الصفة التي أوردها باحسن إلى اليوم، والمسجد يشكل آية في الفن المعماري المحلي، إذ لا تدخل في بنائه إلا المواد المحلية من طين ولبن وخشب، اما جدرانه الداخلية والخارجية فقد جلدت بالمادة المحلية المعروفة (بالساروج) ثم طليت بالنورة البيضاء (الكلس المطفأ) وبناء المسجد ملفت للأنظار ومدعاة للإعجاب لكبر قبته الطينية التي تحيط بها القباب الصغيرة من كل الجوانب، وعلى العموم فشكل المسجد يدعو إلى الوقوف أمام هذه الآية الفنية العظيمة.

ولم أقف على تجديد عمارة هذا المسجد وتوسعته، ولكن أظن أن المسجد الأساسي هو الجزء الداخلي الذي ترك على حاله عملاً بالرأي القائل أنه صدقة جارية، وهو الذي اختطه الشيخ عبد الله بن شيخ صاحب المسجد عند عودته من الهند واستقراره بالشحر، أما الجزء الأكبر والأوسع من المسجد فقد بني لاحقاً كما تحدثنا به الذاكرة الشعبية بأن أحد آل

العيدروس القاطنين بالهند هو الذي قام بالبناء الحالي الذي تحدثنا عنه بلسان المؤرخ عبد الله باحسن وكان ذلك بعد وفاة صاحب المسجد. وهناك إفادة بأن الشيخ حسين بن محمد بن سهل المتوفى بالشحر (١٢٧٤هـ=١٨٥٧م) أقام له مئذنة جميلة وهي التي لازالت تعلو بناء المسجد، وذلك بعد إعادة عمارة مسجد جامع الشحر عام (١٢٢٠هـ=١٨٠٥م) وهي المقامة حالياً دون رأسها العلوي الذي تهدم وأعاد بناءه بهذا الشكل المرحوم أحمد عوض حمود عام ١٩٦٠م. وقد أشار الراوي عوض سالم عبدن أن ابن سهل المذكور أشاد ثلاث مآذن غير منارة الجامع لهن نفس الشكل، لكل من مسجد عيديد وهي ما تزال محتفظة بشكلها الأساسي ولمسجد الشيخ أحمد ولمسجد العيدروس.

والملاحظ على ترجمة صاحب المسجد الواردة عند الشلي في كتابه الشهير (المشرع الروي) بعض الألفاظ والعبارات التي تثير قلقاً وجدلاً وشكاً، فقد جاء عنده ما يلي: (ثم سار إلى تلميذ والده الوزير العظيم حبسخان فعرف له حقه عليه، وملأ من المواهب الجليلة يديه ... ثم رحل إلى مدينة بيجافور واجتمع بسلطانها المحمود عن كل ذي فضل وجاه... فبدت على صفحات البلاد أنواره وشدت له من القبول أطياره. ثم حصل من بعض الحسدة ما حصل ففارقها على عجل...).

وقد تحاورت مع بعض الأصدقاء حول قضية الهرب السريع من المدينة بيجافور والألفاظ والعبارات التي لا توضح المسألة ولا تشبع الفصل خاصة مع مدح السلطان محمود بكل الخصال المحمودة، فنفى الكل أي شيء يشين شخصية العيدروس الهارب منها حول أخلاقه العالية والطيبة، ولكنهم أجمعوا على اتهامه بمحاولة السيطرة على البلاد معنوياً أو

القيام بمحاولة انقلابية أو اللف حول السلطة والأخذ بزمامها، ويبدو أن الأمر انكشف ووضح المستور من قبل بعض الحسدة كما يسميهم الشلي، وكانت سلامة الشيخ العيدروس في الهروب السريع إلى بلاده ومسقط رأسه ولا نظن في الرجل إلا كل خير.

ويتكون المسجد وهي صفته الحالية من بيت للصلاة واسع تعلوه قبة ضخمة على أربع أساطين ضخمة وقوية وعلى الأروقة الأربعة قباب صغيرة وبجانب هذا البيت المسجد الصغير الذي يظن أن الشيخ العيدروس قد أسس أولاً به المسجد، والجانب الشرقي صحن المسجد الذي سقف جزء منه لكثرة المصلين والركن الشرقي الجنوبي تعلوه المئذنة التي أشادها الثري الشيخ ابن سهل التريمي، وبجانب المئذنة باب شرقي أما الميضاءة فتكون في الجزء الشمالي الشرقي وهي واسعة وبحجم تعداد المصلين لهذا المسجد الشهير وبقية الوصف قد سبقنا إليه المؤرخ عبد الله محمد باحسن رحم الله الجميع.

بقي علي أن أضيف أن بمؤخرة المسجد ومن الناحية الشرقية والجنوب الشرقية مزرعة كبيرة وهي اليوم موزعة على بعض المساكن والمصالح الخاصة وسوق الأغنام ولا أدري كيف تم توزيع هذه البقعة والسماح لهؤلاء وبالله الاعتماد.

وفي الفترة التي كان فيها العمل جارياً في إعادة بناء جامع الشحر ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وزع الناس على خمسة مساجد لإقامة صلاة الجمعة فيها ومنها هذا المسجد مسجد العيدروس، وقد كلف الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي الذي لم يستمر طويلاً، فكلف الشيخ سعيد سالم داؤود بأن يخطب الناس حتى إتمام عمارة الجامع.

اعتمدت في ذلك على :

ـ المشرع الروي للشلي.

ـ خدمة العشيرة لأحمد السقاف.

٦ـ مسجد علي :

هذا المسجد الصغير يعرف لدى الجميع بمسجد علي بن عبد الله بلحاج بافضل، ويقع في حي عقل باعوين وبالذات يتقدم مساكن آل بافضل وآل العيدروس، عبد الله بن شيخ. ولم أجده ضمن قائمة المساجد العامرة أيام الغزو البرتغالي التأديبي على مدينة الشحر عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) مما يدل على أن صاحبه قد اختطه في تاريخ لاحق من أيام الغزو تلك، وذكر المؤرخ الشيخ عبد الله محمد باحسن في كتابه النفحات المسكية من أخبار الشحر المحمية وفي الباب الثاني من كتابه الخاص بذكر مساجد المدينة العامرة في تلك الفترة وقال: (مسجد الشيخ علي ابن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل، فهو أحد أولاده الاثنا عشر) ولا نعرف عنه أكثر مما أورده باحسن عند ذكر أولياء المدينة وفي الباب الأول من كتابه النفحات قال عنه: (الفقيه العلامة والحبر الفهامة الشيخ علي بن عبد الله، درس الحديث وتوفي في ٣ رمضان فجأة بعد صلاة الظهر عام ٩٣٨هـ (١٥٣١م) وعمره خمسة وأربعون سنة وقبر عند والده).

والغريب أنه لا يذكر هذا المسجد الشيخ محمد عوض بافضل صاحب كتاب (صلة الأهل في مناقب آل بافضل) المحقق من قبل ابن المؤلف والصادر عام ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٠م.

وقد سقط اسم المسجد وصاحبه في كتاب الدكتور محمد حسين بن الشيخ أبو بكر (مساجد مدينة الشحر) الذي صدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية في طبعته الأولى ٢٠١٧م مع أنه قد جاء في صفحة ٢٢٣ من الكتاب: المبحث الثاني المساجد التي أعيد بناؤها، وذكر مسجد الشيخ علي بن عبد الله بن عبد الرحمن.

وفي التوسع للسوق إلى الجهة الشمالية والشرقية فقد كثر المصلين لهذا المسجد، وقد توافق هذا مع نية الوجيه الطيب المرحوم الشيخ عبد الله محمد مهدمي المتوفى في ٢٢ مارس ٢٠١٥م على إعادة بناء المسجد وبعثه من جديد وترتيب أجزاءه.

وأصبح المسجد من مساجد السوق التي يكثر بها ازدحام المصلين، وقد كانت الساحة التي يراد توسع المسجد بها لا تسمح إلا بالتفكير في استغلال كل فسحة في المكان، فكان بيت الصلاة في الجهة الجنوبية الغربية ويليها شرقاً صحن المسجد مع مدخل رئيس للمسجد من الناحية الجنوبية أما الميضاءة فهي الجزء الشمالي من المسجد كما شيدت له مئذنة حديدية إشارة لكونه مسجداً وحملت على أعلاها مكبرات الصوت، رحم الله كل من بنى لله مسجداً.

والملاحظ أن سجلات الأوقاف تذكره باسم علي بن أحمد بافضل ويذكره الأستاذ خالد الهندي في كتابه الشحر حضارة وتاريخ باسم علي بن عبد الرحمن بافضل.

٧ـ مسجد بن قبولة :

هو أحد المساجد التي لم أستطع الوصول إلى السبب الذي من أجله أطلق عليه اسم (ابن قبولة) وكنت قد بحثت طويلاً عن ذلك، ولما سألت المؤرخ المرحوم محمد عبد القادر

بامطرف أشار بأنه قد حاول معرفة ذلك ولم يصل إلى نتيجة وأن المسألة قد بحثت من قِبله قبل ذلك.

وعندما تقرأ أحداث الغزو البرتغالي على مدينة الشحر لا تجد ذكراً لهذا المسجد ضمن المساجد العامرة بالمدينة سنة ٩٢٩هـ الموافق ١٥٢٣م، أي عند وصف المدينة قبيل الغارة البرتغالية الانتقامية التأديبية على المدينة. ثم إن معارك اليوم الأول امتدت إلى حي عقل باعوين (حي باشراحيل حالياً) حيث توغلت جماعات من المعتدين إلى ما يعرف بحافة (باذييب) وحافة (بالحاج) وحافة (المحضار).. وأحرقت جماعة من البرتغاليين الأكواخ على من فيها من أطفال وعجزة في القسم المعروف بحافة (عيديد). ودارت معارك دامية في ساحة (القبان) المشهورة، قتل فيها سبعة وثلاثين برتغالياً وهندياً وما يقرب من ثمانين رجلاً من أهالي الشحر بينهم سبعة من أبناء الجالية الهندوكية الذين اشتركوا في المعركة إلى جانب أهل الشحر.

وفي حافة المحضار حاول البرتغاليون إحراق مسجد المحضار الواقع بحافة باعوين بأن كدسوا في المسجد كميات من قصب الذرة الجاف وصبوا القار عليها وأشعلوا فيها النار، بيد أن النار انحصرت في قصب الذرة ولم تتعداه إلى سقف المسجد وإن كان باب المسجد الرئيس قد أتلفته النار.

ويقع مسجد ابن قبولة في حافة باذييب وأمام ساحة القبان أي الميزان الخاص لوزن أحمال الإبل الناقلة للمؤن والبضائع إلى داخل حضرموت.

ولما كانت المعركة قد حدثت في ساحة القبان والبرتغاليين يحرقون المساجد، مثلما حدث لمسجد المحضار والجامع، ويصبون النفط في السقايات العامة، وكان لمسجد ابن قبولة سقاية أمام مدخله الرئيس فإننا نستنتج أن المسجد لم يكن موجوداً أيام تلك الحادثة خاصة وأننا نجد أسماء المساجد الأخريات التي وقعت لها أو فيها أو قريباً منها حوادث تلك الأيام المشئومة.

ثم نلتفت إلى الوثائق الأخرى التي بين أيدينا فلا نجد لهذا المسجد ولا صاحبه أصلاً في وثائق اليزيدي باعتبارها خصصت لمشاهير بندر الشحر، ولا تذكره وثائق الأرضي بتاتاً، ونرجح السبب في سقوط بعض الأوراق منها مع علمنا بأنها حديثة، وتذكره وثيقة الشيخ أحمد الملاحي باسم (بن قبولة) ونأتي لباحسن فنجده يذكره في الباب الثاني من كتابه (النفحات المسكية) الخاص بذكر المساجد باسم (مسجد الشيخ بن قبولة من المساجد القديمة بحارة أبي عوين) ثم لا يذكر هذا الشيخ حتى عند ذكره للمشايخ الذين لم يتحقق من شرح أحوالهم وتواريخ وفياتهم. والرأي عندنا أنه ربما أطلق الاسم على هذا المسجد، وبه يعد ثاني مسجد بعد الجامع يطلق عليه اسم غير اسم صاحب المسجد وربما يكون المسجد قد أقيم على مكان أو بيت يطلق عليه قبلاً هذا الاسم، أو ربما يكون اسم المؤسس أو معلم البناء الذي باشر عمارته من آل قبولة وهم أسرة قديمة في مدينة الشحر ولا زال منهم بقية إلى يومنا هذا.

وظللت أتابع وأسأل عن أخبار هذا المسجد أولاً بأول، ففي عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) وأثناء تجديد عمارة المسجد وجدت بمعونة معلم المسجد الشيخ محمد أبو بكر الجرو المتوفى في ٢٣/ ٦/ ٢٠١٨م والقائم بالإشراف على عمارة المسجد وجدت الآتي:

قطعة خشب مربعة الشكل وجدت بأعلى المحراب، كتب عليها بالأحرف الغائرة: (أبو بكر بن محمد بن الطيب باعلوي في ٢٢ رمضان سنة ٩٥٩هـ = ١١ سبتمبر ١٥٥٢م).

وهنا رسخ اعتقادنا على أن صاحب المسجد أو الذي اختطه هو الشيخ أبو بكر بن محمد الطيب بن عبد الرحمن بافقيه بن محمد مولى عيديد، (الزاهد القانع الورع المتواضع صاحب المجاهدات والأحوال والمقامات، اشتغل بالفقه والتصوف وصحب أهل المعارف والتعرف ولازم العبادة والطاعة ولازم الجمعة والجماعة، وكان يحب العلماء ويعظمهم ويصحب الفقراء ويكرمهم، وكان مواظباً على صلة الأرحام كثير الشفقة على الأرامل والأيتام، وكان مقيماً ببندر الشحر المشهور، ملجأ لمن التجأ من الإناث والذكور ومأوى للوافدين وبحراً عذباً للواردين، ولم يزل على هذه الصفة إلى أن انقضت مدته فتوفي سنة إحدى عشرة وألف ببندر الشحر) كما يذكر مؤلف المشرع الروي.

ولكننا نجد تسجيلاً بالقلم الأسود على جدار مخزن بيت الصلاة جاء فيه (قام بعمارة هذا المسجد المبارك الشريف أحمد بن عمر بن محمد الطيب بافقيه بتاريخ شهر محرم ١٠٢١هـ) وهو ما يوافق (مارس ١٦١٢م) وبجانبه أيضاً سجل الآتي: (قام بعمارة هذا المسجد المبارك الشريف علي بن عمر بن محمد الطيب بافقيه العلوي بتاريخ شهر محرم ١٠٢١هـ) وبأسفله: محمد أبو بكر بن محمد الطيب، وكأنه يقول أنه هو الذي سجله ونرى أنه ابن محمد بن عمر بن محمد بن الطيب بافقيه الملقب بالطيب الشحري الذي ولد سنة ٩٧٠هـ (١٥٦٢م) وتوفي بالشحر في ١٠١١هـ (١٦٠٢م) وهو مؤلف التاريخ المعروف باسم (تاريخ الطيب الشحري عن وفيات القرن العاشر الهجري) وهو مخطوط وكانت نسخة منه موجودة بالمكتبة السلطانية

بالمكلا، ثم انتقلت مع مخطوطات أخريات إلى مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم. وقد مكنني أستاذي الدكتور سعيد عبد الخير النوبان من الاطلاع على نسخة مصورة منه.

وفي نفس العام نشرت صحيفة (١٤ أكتوبر) خبراً جاء فيه: (تبدأ في شهر نوفمبر ١٩٨٣م لجنة المخطوطات التابعة للمركز اليمني للأبحاث الثقافية في تحقيق ثلاث مخطوطات تاريخية منها: تاريخ بافقيه الشحري والعدة المفيدة لابن حميد)

ثم علمت أن تاريخ بافقيه الشحري أسند إلى الباحث الصديق أحمد صالح رابضة لتحقيقه وهو من مواليد مدينة الشحر تخرج من كلية التربية بعدن عام ١٩٨١م. وانتظرت طويلاً لعلي أجد بغيتي في هذا التاريخ خاصة وهو لتراجم من أعيان القرن العاشر، وقد تم تحقيق الكتاب ونشر وأهدى لي محقِّقَه نسخة منه، ولكني لم أجد شيئاً به.

والآن وأنا أرتب هذه المعلومات عن مسجد ابن قبولة في الأيام الأخيرة من شهر رمضان صدر العدد (١١٤٢) من صحيفة (الثوري) بتاريخ ٢١ إبريل ١٩٩٠م (٢٦ رمضان ١٤١٠هـ) ونشرت تحت باب (آراء وأفكار) رأياً للدكتور السوداني عبد الشافي صديق جاء فيه: (كان أحد قرارات ندوة الدراسات اليمنية التي انعقدت في عدن للفترة ما بين ١-٤ فبراير ١٩٨٩م هو أن يكون عام ١٩٩٠م عاماً للمخطوطات اليمنية وأوصت الندوة أن تكثف حملة إعلامية في هذا العام للجمع والرصد والتوثيق للمخطوطات اليمنية، ولكن ها هو عام ١٩٩٠م يهل وينصرم دون أن تبدأ الحملة أو حتى تحظى بالذكر في الإعلام والإعلان.

ولم يعد لدي الوقت الكافي لأنتظر أكثر فإن ما استطعت أن أجمعه من أخبار حول مسجد ابن قبولة قد سجلته هنا، إلا إني أؤكد بأني سوف أضيف إليها كلما وقع عندي أية معلومة تفيد في أخبار هذا المسجد وتصحح ما ورد عنه سابقاً، وإذا لم يقدر لي ذلك فالخير في الخلف وسوف تنقح هذه المعلومات وتصحح وتزداد في الطبعات الأخرى منه.

في عام ١٩٩١م سمح لي الأستاذ عوض سليم جروان وهو زميل دراسة بالمدارس المتوسطة بالشحر (٥١-١٩٦٤م) أن أطلع على سجلات الأوقاف التابعة لمحكمة الشحر الابتدائية، وكان الأستاذ عوض سليم مسئولاً عن قسم الأوقاف بتلك المحكمة الابتدائية بالشحر، فوجدت اسم المسجد مسجلاً بالسجل الثاني للأوقاف وقد تصدر قائمة مساجد الشحر، قائمة فهرست السجل الثاني منسوباً للشيخ (علي أحمد بن قبولة) فجزاه الله خيراً عنا جميعاً. وليس لدي أي خبر أضيفه عن هذا الرجل الذي تثبت سجلات الأوقاف أحقيته في نسبة هذا المسجد إليه وبالله الاعتماد.

ويتكون مبنى المسجد من باب رئيس جنوبي بجانبه الغربي سقاية للشرب ويفتح الباب على صحن المسجد الذي يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات، أما الجزء الشمالي كله فهو مهيأ للميضاءة وباب صغير لمدخل شمالي للمسجد، وللمسجد مئذنة لا تعلو على ارتفاع طابق ثاني من مساكن المدينة في الغالب.

أما عن تجديد العمارة فقد تمت الإشارة إليه أولاً وكنت ألاحظ أن للمسجد بئراً يرفع الماء منها بواسطة شخص يقوم بذلك من مقود بالجانب الشرقي للمسجد وقد ضم هذا المبنى الجديد للمسجد.

إن العبارات التي وردت داخل المسجد منقوشة على لوح أو مكتوبة على جدار مخزن بيت الصلاة كالقول: (قام بعمارة هذا المسجد) لا تعني كما أظن بناء المسجد من أساسه ولكنها تعني عمارة المسجد بالصلاة فيه وقراءة القرآن والذكر والوعظ وغير ذلك مما يجب على المسلم تجاه المسجد كأن يكون قلبه معلق بالمساجد.

إن هذا الذي كتبته بعد أن وجدت وثيقة هامة جداً تثبت اسم المسجد وصاحبه، وقد ذكر الشيخ عبد الخالق البطاطي في كتابه (إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت) قائلاً: (أما بخصوص التجارة والملاحة وقادة الأساطيل التجارية الحضرمية، نقتصر الكلام على الأسر التي كانت تزاول هاتين المهنتين وتداولها جيلاً بعد جيل، وهم كالآتي: من الشحر العاصمة مثل آل بارضوان وآل معوضة وآل بن عبادي وآل مقهد وآل بقرف وآل بدية وآل باغميان وآل قبولة...) واتضح لنا أنه ربما هؤلاء التجار هم من بنوا المسجد المنسوب لأحدهم.

رجعت في ذلك إلى:

ـ بامطرف، محمد عبد القادر، الشهداء السبعة.
ـ الشلي، المشرع الروي.
ـ سجلات الأوقاف بمحكمة الشحر الابتدائية.
ـ الملاحي، أحمد عبد القادر، المذكر التاريخية (مخطوطة).
ـ البطاطي،عبد الخالق عبد الله، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع حضرموت.
ـ باحسن، عبد الله محمد، النفحات المسكية.
ـ لقاء إمام المسجد الشيخ محمد أبو بكر الجرو.

٨ـ مسجد بن أحمد :

عند ذكر بناء المساجد نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلينا عمارتها ورغبنا في ذلك بالجزاء الأوفى والنعيم المقيم في الجنة ففي الصحيحين أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين بنى مسجد النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة» قال القرطبي: وقوله لله يريد به الإخلاص في الفعل ومن بنى مسجداً فكتب اسمه عليه فهو بعيد من الإخلاص لأن المخلص يكتفي برؤية المعمول منه، انظر (إعلام الساجد بأحكام المساجد، لمحمد الزركشي، ص٣٧).

لقد تذكرت هذا عندما تعرضت للكتابة عن هذا المسجد وصاحبه لأن هناك الكثير من المساجد في مدينتي الشحر والمدن الأخرى في اليمن كله وفي غيره يطلق عليها أسماء أصحابها ولكننا في أكثر الأحوال لا نعلم إن كانوا هم الذين بنوها ثم أطلقوا أسماءهم عليها أم أن غيرهم الذي فعل ذلك؟

لكن في زمننا هذا خاصة بعد عام ١٩٩٠م أي في العقد الأخير من القرن الماضي وما بعده تبارى رجال الخير في بنائها بجانب المؤسسات الإسلامية والأحزاب والجماعات وأطلقوا عليها مسميات مختلفة كمسجد الأوابين ومسجد التقوى ومسجد الفلاح ومسجد الرحمة ومسجد الرحمن ومسجد أبي بكر الصديق ومسجد عمر بن الخطاب ومسجد معاذ بن جبل ومسجد الشافعي ومسجد الشوكاني وهكذا، وقصدوا بها أن تكون عناوين لها غير أننا نعلم

إن هناك من كتب اسمه عليها متعمداً وهو بانيها بنفسه، ويكفيه من الأجر ما شرحه لنا القرطبي في الحديث السابق.

ونتخلص من هذا إلى ذكر المسجد المعروف عند أهل الشحر باسم (مسجد بن أحمد) حيث إن تاريخ المساجد هو أيضاً تاريخ البلد ونشاطها الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي أيضاً وسيرة العلماء ومؤلفاتهم.

هذا المسجد الصغير الجميل يقع في وسط عقل باعوين وعلى مؤخرة السوق وتعلو بيت الصلاة فيه ست قبب بيضاء متوسطة التكوير ومتساوية الارتفاع جيدة التنسيق، أما صحنه فيقع بالجانب الجنوبي منه وبشرقه تقع الميضاءة التي كانت برك صغيرة لها أبواب إلا واحدة مكشوفة يقال لها (مغمس) ويجلب ماؤها من بئر تابعة للمسجد تقع بالركن الجنوبي الشرقي أما اليوم فقد تغير الحال إلى الأحسن بعد ترميم بناء المسجد وتبليط أرضيته دون المساس ببيت الصلاة وشكله الجميل القديم ثم ربطه بالنور والمراوح الكهربائية وربطه بمشروع ماء البلد وعلى حنفيات، مما ساعد على النظافة والطهارة للمسجد وفرشه والمصلين.

ولقد عرفنا المسجد عندما كنا طلبة بالصف الرابع الابتدائي، حيث يتوجه طلبته عصر كل يوم لقراءة القرآن على معلمه أستاذ اللغة العربية والتربية الإسلامية يسلم علي سند اليزيدي المتوفى عام ١٩٧٧م حيث يكملون قراءته عليه ثم تحتفل المدرسة بذلك.

والمسجد ينسب للشيخ عبد الرحمن بن أحمد البيض العلوي وجيه الدين ولهذا يقال له (مسجد بن أحمد) وهو من أهل الشحر حيث ولد بها يوم الخميس ١٤ ربيع ثاني عام ٩٤٤هـ

الموافق ٢٠ سبتمبر عام ١٥٣٧م، وبها كانت النشأة وفيها تلقى تعليمه إذ كانت مدينة الشحر تعيش أزهى عصورها «فأخذ يغذي مواهبه في معاهدها التي كانت تعج بالعلم والحياة» ثم توجه إلى مدينة تريم ليتلقى المزيد من العلم على شيوخها، ثم يشد الرحال إلى مدينة عينات ليلازم صاحبها الشيخ أبو بكر بن سالم ويتتلمذ عليه على أن طول المدة في صحبته تركت أثراً عليه فكتب فيه القصائد الجمة ووسم ديوانه بعنوان (ذكر حبيب، في مناقب مول الكثيب) أي شيخه أبو بكر بن سالم، وقد عاد إلى الشحر ليعيش بقية حياته.

ونحن هنا لا نغفل نشاطه الثقافي والأدبي، خاصة في الشعر العامي الذي استمر يتناول مدائح ومطارحات مع أدباء عصره وشعراء من مدينته خاصة مع صديقه الأديب الشاعر عبد الصمد عبد الله باكثير، كما يشير إلى ذلك الشيخ محمد باكثير (البنان المشير).

ولقد ترجم الشيخ عبد الرحمن البيض وأشار إليه وذكره عدد من المؤلفين لكن كانوا ينقلون من بعضهم ولم يتصدَّ أحدهم لدراسة حياته وأدبه وأثره على مجتمعه، ونظن أن ذكرهم له لم يكن إلا لشعورهم بضرورة ذلك عندما يناسب المقام، ومنهم:

** عبد القادر العيدروس (ت ٩٧٨هـ) في كتابه (النور السافر) ص٤٦٨.

** الطيب بافقيه الشحري (ت ١٠١١هـ) في كتابه (تاريخ الشحر) ص١٠و٤١٤.

**فضل الله المحبي (ت ١٠٨٢هـ) في كتابه (خلاصة الأثر) ج٢/ ٣٤٦.

** أبو بكر الشلي (ت ١٠٩٣هـ) في كتابه (المشرع الروي) ج٢/ ٢٨٩، وفي كتابه (الجواهر والدرر) ص٧.

** سالم بن حميد (ت ١٣١٠هـ) في كتابه (العدة المفيدة) ج١/ ٢١٨.

** عبد الله السقاف (ت ١٣٨٧هـ) في كتابه (تاريخ الشعراء الحضرميين) ج١/ ١٨٨.

**عبد الله الحبشي (معاصر) في كتابه (مصادر الفكر الإسلامي) ص ٤٣٤.

ولقد كان اعتمادنا كبيراً على الطيب الشحري في أكثر ما ورد أو سيرد معنا عن حياة الرجل، ذلك لكون الطيب من معاصريه ومن بلدته، ولا بأس بالإشارة إلى ما رجعنا إليه من كتب الآخرين.

ومن المهم أن نشير إلى أن الرجل اهتم بالكتاب فأخذ يجمع ما استطاع جمعه وأسس مكتبة جيدة استفاد هو منها في المقام الأول وأفاد من يلازمه من الأدباء والعلماء ومن تتلمذ عليه ودار في فلكه، ولم يشر أحد إلى مخطوطته في التاريخ فلا نعلم من أمرها شيئاً لا عنوانها ولا حجمها ولا مضمونها، ولكننا نعلم أن الطيب الشحري ينقل عنها في كتابه (حوادث وحروب ووفيات) الذي صدر محققاً بعنوان (تاريخ الشحر).

على أنه من الواجب ذكر مشاركته لأهل مدينته فرحهم الكبير بتعيين سلطانهم عبد الله بن بدر أبي طويرق للعلامة الشيخ محمد بن عبد الرحيم مزاحم باجابر مديراً لمدرسة أبيه (المدرسة السلطانية البدرية) ونقله من بلدته بروم إلى مدينة الشحر فكتب البيض قصيدة يمدح السلطان والعلامة، قال فيها:

شمس الهدى طلعت وغاب رقيبها ... ونجوم نحس الجهل آن مغيبها

بظهور مولانا ومالك عصرنا ... نجل الخلافة فحلها ونجيبها

مولى ملوك الأرض غير مدافع ... ومدفع لبعيدها وقريبها

عبد الله السلطان منصور اللواء ... مردى العداة بكفه تعذيبها

لما أتى للشحر يصلح أمرها ... وجميع داعية الفساد يذيبها
ودعا إمام العصر فرد زمانه ... شيخ العلوم فقيهها وأديبها
أعني الفقيه محمد بن مزاحم ... من زاحم العلماء وحاز نصيبها
العالم الحبر المبرز في العلا ... سباق غايات الكرام خطيبها
جاد الزمان به علينا فاغتدت ... أيامه معلومة من طيبها
غفرت ذنوبك يا زمان جميعها ... إذ قد برزت إلى القلوب حبيبها
إن كنت ترغب في العلوم ونقلها ... بادر إليه وسله في تهذيبها
فعلى الخبير سقطت فسله عن ... ما شئت من عربيها وغريبها
فالله يعطيه ويصلح شأنه ... وجميع أعداه اللئام يصيبها

وقد جاءت القصيدة عند العيدروس والطيب وابن حميد والسقاف ولم يزد أحد منهم عليها مع أنهم والآخرين يضيفون قائلين وشعره رائع موفور تتناقله أيدي الأدباء والشعراء (خلاصة الأثر) لكن السقاف في تاريخ الشعراء علل عدم عثوره على غيرها بقوله: «ولكن للبعثرة شأن كبير في تلاشي كثيره».

وقد اطلع عليها عبد القادر العيدروس في كتابه (النور السافر) أما ابن عبيد الله فقد كتب معلقاً عليها في كتابه (إدام القوت معجم بلدان حضرموت) قائلاً: «لكنها ليست بجيدة».

وللشيخ عبد الرحمن ـ كما ذكرنا ـ ديوان شعر وسمه بعنوان (ذكرى حبيب، في مناقب مولى الكثيب) والعنوان ذكرنا بكتاب أبي العلاء المعري الذي اختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه (ذكرى حبيب) وهو الذي جعلنا نسعى كي نطلع على هذا الديوان، وقد ذهبت جهودنا في غير طائل لكن أطلعني الراوي الشيخ عوض سالم عبدن رحمه الله على أوراق

مخطوطة قال إنها لشاعر قديم، فوقع عندي أنه من ديوان الشاعر البيض، واقتطفت منه هذه الأبيات:

يا صاحب العلم والـدين عـــين أهـــل اليقـــين
صـاحب ولايـة وتمكـين راس المتقـــــــــين
الصـــــالحين المنيبـــين تحتـــــك واقفـــين
أهـل الصـفاء المجاذيـب يـــا مـــول الكثيـــب

*****

عطاك مـولاك تصـريف يـــا الشـــاه المنيـــف
لك فوق لشراف تشريف يـــا كهـــف الضـــعيف
وخصـــك الله بتقريـــب يـــا مـــول الكثيـــب

وما برح المترجم له دياره ومسقط رأسه حتى فارق الحياة به، وتجمع كل الكتب بأن الوفاة كانت في ٦ جمادى الأولى عام ١٠٠١هـ إلا الطيب الشحري فيقول: «وكانت وفاته يوم الثلاثاء بعد ظهر سابع عشر جمادى الأولى» وبالرجوع إلى مصورة مخطوطته وجدنا أن المحقق عبد الله الحبشي قد اعتمد على نفس المخطوطة، واستقر الرأي عندنا أنه خطأ الناسخ الذي أضاف لفظة (عشر) حيث لا يتوافق يوم الثلاثاء من الشهر نفسه مع أيام ١٦/ ١٧/ ١٨ من تاريخه، ويتفق تماماً مع ٦ أو ٧ جمادى الأولى إذا خرج الشهر الذي قبله بإكماله ثلاثين يوماً، ويتفق مع قول بعضهم (توفي لست خلون من جمادى الأولى) كما جاء في كتاب المشرع الروي وهو يوافق يوم ٩ فبراير ١٥٣٩م، ودفن بمقبرة الشحر دون تحديد (المشرع) وقبره معروف يزار (الجواهر)، ونحن لا نعرفه ولكن (رحم الله قبراً لا يعرف).

إن المسجد الذي ينسب لهذا الشيخ لا زال حتى الساعة معموراً بالبناء والصلوات والذكر والوعظ والإرشاد وتلاوة القرآن وتعليمه، غفر الله لمن ساهم ويساهم في عمارة بيوت الله.

اعتمدنا في ذلك على الآتي:

ـ الزركشي، محمد، إعلام الساجد بأحكام المساجد.
ـ باحسن، النفحات المسكية.
ـ باكثير، محمد، البنان المشير.
ـ بافقيه، الطيب الشحري، تاريخ الشحر.
ـ المحبي، فضل الله، خلاصة الأثر.
ـ ابن عبيد الله، عبد الرحمن، إدام القوت.
ـ الجواهر والدرر.
ـ لقاء الراوي عوض سالم عبدن.

٩ـ مسجد المدرسة :

أغلب ما اطلعت عليه من كتب اهتمت في جانب منها بمساجد الشحر أو خصصت لهذه المساجد تعد هذا المسجد من آثار مدرسة السلطان بدر بن عبد الله الكثيري الذي حكم حضرموت في الفترة ما بين (٩٢٧ ـ ٩٧٦هـ) (١٥٢٠ ـ ١٥٦٨م) وكان ميلاده ٩٠٢هـ (١٤٩٦م) ووفاته في شعبان ٩٧٧هـ (يناير ١٥٧٠م) وكان منهم المؤرخ الشيخ خميس كرامة حمدان في كتابه (الشحر عبر التاريخ) ص١٤٩ وكان آخرهم الدكتور محمد حسين بن الشيخ أبو بكر في رسالته لنيل الدكتوراة والتي صدرت بعنوان (مساجد مدينة الشحر) الذي قال:

(ويرجع تأسيس المسجد إلى سنة ٩٥٩هـ وينسب بناؤه للسلطان بدر بن عبد الله الكثيري ويكنى بـ(بو طويرق) سلطان حضرموت) ص١٨١ .

وقد انتقد المؤرخ الشيخ خميس كرامة حمدان التاريخ المسجل على محراب المسجد (تأسس المسجد عام ٩٥٩هـ وهو الذي تمت كتابته عند تجديد المسجد الأخير في (١٥ مايو ١٩٨٤م وقال في تعليقه معتمداً على رأي الأستاذ بامطرف الذي لم يذكر المسجد ضمن قوائم المساجد العامرة في أيام الغزو البرتغالي هكذا.

إننا نعذرهم وأنفسنا في محاولة إثبات تاريخ تأسس المسجد وهو تاريخ غير صحيح فقد اعتمدوا على تاريخ المؤرخ الأديب عبد الله محمد باحسن الذي سجل في كتابه النفحات المسكية ما يلي عند الجزء الثاني من كتابه الخاص بذكر مساجد الشحر فقال: (مسجد المدرسة وهي مدرسة الشحر المشهورة بناها السلطان العادل الملك الماجد بدر بن عبد الله الكثيري رحمه الله بإشارة سيدنا شيخ بن إسماعيل..).

نعم هذا ما ذكره باحسن ونحن نعلم أن المدرسة البدرية كانت مدرسة سنية وكان الشيخ بن إسماعيل صوفياً فكيف لنا أن نربط بين إشارة الصوفي لافتتاح مدرسة سنية؟ ثم إن الذين اعتمدوا على باحسن بأن المدرسة أو مسجد المدرسة هي المدرسة البدرية يجعلنا في شك وريب مما أورده هذا المؤرخ، خاصة وأنه يذكر في كتابه أنه من تلاميذ الشيخ ناصر بن عبد الله بن الشيخ علي فأين درس عليه؟

والشيخ ناصر عاش إلى أن أدركته الوفاة بالشحر في ١٣ جمادى الآخر سنة ١٣٠٠هـ (٩٢ إبريل ١٨٨٣م) والمؤرخ عبد الله محمد باحسن عاش ما بين (١٢٧٨ـ ١٣٤٧هـ)

(١٨٦٢ ـ ١٩٢٨م) وهذا يعني أنه أدرك من عمر شيخه ٢١ سنة فمتى بنى الشيخ ناصر مسجده ومدرسته وهل درس باحسن ومحمد عمر بن سلم صاحب المعهد بالغيل وغيرهما في هذا المسجد (المدرسة) أم في مكان آخر؟

ونحن نستفيد من مسرحية سور الشحر التاريخية التي كتبها الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف وهي عن وقوف أهل الشحر في وجه الجمعدار عوض بن عمر القعيطي لكي لا يعمل العمال في بناء سور الشحر سخرة وكان الشيخ ناصر بن الشيخ علي واقفاً مع العمال ضد الجمعدار، وفي اجتماع ضم الجمعدار ومقادمة يافع قال الجمعدار موجهاً كلامه لأحد المقادمة وهو المقدم سالم بن هرهرة وآخرين عندما قدموا عريضة له يطالبون فيها بإطلاق سراح مقادمة الحويف ومقادمة العمال المتزعمين إضراب العمال قال الجمعدار مغاضباً: (أنا عارف يا بن هرهرة أن هذا الكلام الذي في عريضتكم كتبه عمك ناصر، عمك ناصر جالس في مسجده مسجد مدرسة السوق ويحرض جنودي يافع والحاشية ضدي ويكرر الآية الكريمة «لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» هذا في الفترة التي بدأ فيها الجمعدار بإقامة سور حول مدينة الشحر (١٢٨٤ـ١٣٠٥هـ) (١٨٦٧ ـ ١٨٨٧م).

وعلى هذا نستطيع القول إن الشيخ ناصر كان يتحدث أو يحرض الجنود على رأي الجمعدار في العامين الأولين لاحتلال الشحر يعني ما بين ٦٧ ـ ١٨٦٨م وهذا يعني أن المسجد كان مبنياً وعمر باحسن في سنواته العمرية الأولى، فما الذي جعله يتجاهل مدرسة ومسجد أستاذه الشيخ ناصر بن عبد الله بن الشيخ علي؟ إن في النفس لأكثر من سؤال.

لقد ذكر المؤرخ باحسن أستاذه الشيخ ناصر بن صالح بن عبد الله خمس مرات في كتابه النفحات المسكية، وهي:

- في ص (٨٦) قال: «وأخذت عن الشيخ ناصر بن صالح بن عبد الله بن الشيخ علي قرأت عليه في الفقه بعد صلاة الفجر في مسجد الشيخ أحمد بن عمران».
- في ص (٢٦٠) قال في ترجمة الشيخ عبد الله بن سالم عيديد: «وكان بينه وبين الشيخ ناصر صحبة أكيدة فلما تولى القضاء تركه...».
- في ص (١٤٨) عند ذكر الشيخ عبد الله بن محسن السقاف قال: «وكان المتولي للقضاء في ذلك الحين الشيخ العلامة ناصر بن صالح فحصل بينه وبين الشيخ ناصر نزاع طويل وعارضه في بعض الأحكام...».
- ص (١٨٥) قال: «وتوفي الشيخ ناصر بن صالح بن عبد الله ابن الشيخ علي السابق ذكره في ١٣ جماد الآخر سنة ١٣٠٠هـ (٢١ إبريل١٨٨٣م) (وفي وثائق اليزيدي أنه توفي ١٣٠٢هـ) ودفن تحت جوار الركن القبلي خارج قبة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل ـ رحمه الله ـ كان شيخاً فاضلاً متأدباً بآداب العلم متواضعاً ذا هيبة وسمت ووقار حسن، تولى قضاء بندر الشحر في دولة القعيطي وكان حسن التعبير تفقه على كثير من المشايخ الفضلاء وخرج إلى حضرموت وأدرك به الشيخ عبد الله بن عمر بن يحيى وأخذ عنه وعن الشيخ عبد الله بن حسين بن طاهر وأخذ أيضاً عن الشيخ المعلم سالم بن سعيد بن سمير...».
- وفي الباب الثاني من الكتاب الذي يذكر فيه المساجد العامرة والمندرسة ذكر مسجد المدرسة تحت رقم (٣٣) فقال: «مسجد المدرسة وهي مدرسة الشحر المشهورة بناها

السلطان العادل الملك المجاهد بدر بن عبد الله الكثيري... وكان للمدرسة المذكورة صدقات كثيرة وبها طلبة علم ودرس بها كثير من العلماء الأعلام، أرجو الله أن يعمرها بأهل العلم والصلاح مدى الأيام، آمين» ص (٤٢٦).

والغريب أن المؤرخ باحسن لا يذكر مدرسة الشيخ ناصر في حين أن المدرسة البدرية قد انتهى أمرها في أول النصف الثاني من القرن الحادي عشر وكان موقعها على الساحل من حي القرية وقد عينه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في الخريطة المرفقة لكتابه الشهداء السبعة.

وقد افتتح الشيخ ناصر مسجده ومدرسته بالجزء الجنوبي من مسجده في عام ١٢٤٤هـ (١٨٢٨م) قبل ميلاد باحسن بأربع وثلاثين سنة فالمؤرخ باحسن عاش ما بين (١٢٧٨ ـ ١٣٤٧هـ) (١٨٦١ ـ ١٩٢٨م) وبهذا يكون باحسن قد عاش بعد وفاة أستاذه سبعة وأربعين سنة.

وعلى كل حال فإن كل الوثائق التي بين أيدينا تذكر المسجد باسم (مسجد المدرسة) دون بيان صاحبها أو لمن تنسب غير أن الشيخ أحمد عبد القادر الملاحي يذكر في كتابه المخطوط (المذكرة التاريخية) المعاهد والأربطة وعندها يذكر ما يلي: «كذلك الشيخ ناصر بن هرهرة فإنه كان شيخ المدرسة المنسوبة إليه وتخرج منها علماء فقهاء وبعد وفاته اختلت من الطلبة وصارت كلها مسجداً للصلاة».

ويذكر الشيخ عبد الخالق عبد الله البطاطي في كتابه (إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع بحضرموت) (ومن أشهر المدارس في العهد السابق مدرسة الشيخ ناصر بن الشيخ علي

بن هرهرة في الشحر التي كانت ملاصقة لمسجده المسمى باسمها، مسجد المدرسة في السوق العام...) وكذلك الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف يذكر هذا المسجد والمدرسة وينسبها للشيخ ناصر، ثم يأتي الشيخ خميس حمدان الذي يذكر المسجد والمدرسة وينسبهما للشيخ ناصر بن الشيخ علي.

لكن المؤرخ باحسن لا يذكر المسجد ولا المدرسة اللصيقة به والمنسوبة لأستاذه الشيخ ناصر وهو بهذا التجاهل أغفل تلاميذ هذه المدرسة ومنهم زميله الشيخ محمد عمر بن سلم، ولذلك لم نستطع معرفة العلماء الذين شاركوه بالتدريس في هذه المدرسة، فهل لاختلاف المذاهب أثر في ذلك؟

إن هذا المسجد الذي يقع على فوهة السوق هو في الأساس مدرسة أهلية أسسها الشيخ ناصر بن صالح بن الشيخ علي على مقربة من منزله وكان مدرسة ومسجداً، وعرف بمسجد المدرسة وهو القائم العمارة إلى يومنا هذا، وليس بدعاً أن يكون هذا البناء في أساسه مدرسة ومسجداً، فالمساجد منذ نشأتها الأولى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم مدارس، ثم إن كثيراً من مساجد الشحر كانت بها مدارس قرآنية ملحقة.

ونحن لا ندري ما الذي جعل بعضاً من الأعيان ومشايخ البلد يقفون مناهضين له ولمدرسته والذي استمر حتى مع تلاميذه الذين سكت عنهم التاريخ أو من يقولون أنهم من المؤرخين، وإذا قاوم أحدهم واستطاع أن ينجو بنفسه ويفك قيوده، وقف البعض منهم في طريقه والمثل واضح تماماً في العلامة الفقيه صاحب معهد الغيل الشيخ محمد عمر بن سلم ويكفي لنقول هل قول الشيخ الملاحي في مذكرته التاريخية عن رباط بن سلم: «إلا هذا

الرباط فالتصوف ليس له رائحة في أرجائه» وكثر الحديث عن العلم في هذا الرباط حتى قال الخصوم في تشبيههم لتعاليم ابن سلم (تعلوقة كلبة) والتعلوقة هي ما يبقيه الأهالي من اللبن الخاثر في الإناء ويضيفون الجديد ليكون كله خاثراً في اليوم التالي، ثم إن العبارة سيئة وكبيرة في حق العلامة ابن سلم وأستاذه العلامة الفقيه الشيخ ناصر وأظن أن هذا هو السبب في إشاعة بعض الأقوال حول مدرسة الشيخ ناصر ومقاطعة هذا المسجد والمدرسة فهل كان باحسن رحمه الله متأثراً بتلك الإشاعات. إن سكوت هذا المؤرخ عن منشأة دينية في مدينة الشحر والتي كتب مؤلفاً عنها وأعطاه عنواناً (النفحات المسكية) فهل ذكر مدرسة الشيخ ناصر ومسجده ليس من هذه النفحات ولم تكن مسكية؟

إن عدم ذكر أي منشأة أو حادثة من قبل أي مؤرخ باحسن أو غيره لا يعني عدم وجودها أو عدم حدوثها، فالمؤرخ كأي إنسان له أهداف وأغراض من ذكر حادثة أو تمجيد شخص أو السكوت عنه.

إننا نعد الشيخ ناصر بن عبد الله أحد رواد التعليم الأهلي بالشحر وهو بقية صالحة من ذلك الجيل الذي حاول أن يبقي الدين الإسلامي في محيطه نقياً خالياً من الإضافات والخزعبلات التي أضافها مغرضون لم تكن من الدين الإسلامي في شيء، لذلك وقف ضده من لديه القدرة على تسفيه الرجل والإساءة إليه بصور شتى ولكن من غير مباشرة. يدلنا هذا أن كل الكتاتيب تحتفل بالخريجين ممن أكمل قراءة القرآن بزف يذهب إلى مسجد الشيخ ناصر منذ زمن غير معروف وكان أول أمر لخرق هذه العادة كان عندما اكتمل بناء الرباط الشريف الذي أسسه شيخ الشحر عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر وكان في تاريخ ٢٩ شعبان

١٣٧٢هـ (١٠ مايو ١٩٥٣م) حيث احتفل بزف في ختم القرآن لولد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن وولد حسين بن عبد الله العيدروس وتم التوجه إلى الرباط الشريف، أشار إلى ذلك المؤرخ مبارك صالح لرضي في مذكرته التاريخية.

إن مسجد المدرسة بقيت به غرف الطلبة القادمين من غير الشحر وكان الرواق الشرقي في المسجد مكون من غرف صغيرة ربما سبع أو ثمان وكانت فتحاتها الخلفية تظهر من الجزء الشرقي للمسجد وقد تحولت إلى دكاكين هي السبعة الموجودة إلى اليوم رغم أن للمسجد أوقافاً كثيرة فلا يحتاج إلى دعم آخر، وأخيراً تعهد الشيخ حسين مسلم معوضة رحمه الله بإعادة بناء المسجد بالحجارة والأسمنت المسلح والبناء المحكم وأضاف له الفرش الوفيرة والإضاءة الكافية والمراوح وجعل الجزء الشمالي من المسجد للميضاءة من حمامات وحنفيات كثيرة فهو مسجد بالسوق العام وأضاف إليه الجزء الشمالي الغربي ليكون جناحاً للنساء وكان ذلك في ١٥ شعبان ١٤٠٤هـ الموافق ١٦ مايو ١٩٨٤م، رحم الله الشيخ حسين مسلم معوضة الذي توفاه الله في ٢٣ يوليو ٢٠٠١م.

إن كل ما يؤخذ على عمارة المسجد الحالية هو أن يكلف من لا أعلمه أن يسجل على جدار محراب المسجد (أسس المسجد عام ٩٥٩هـ) وهو خطأ فإن هذا التاريخ ليس إلا لتأسيس مدرسة السلطان بدر بن عبد الله الكثيري سلطان حضرموت التي تقع على الساحل للمدينة.

وهناك ملاحظة فإني منذ عرفت نفسي لم أشاهد أي مئذنة تعلو بناية هذا المسجد لكن في الفترة الأخيرة طلب أحدهم أن يبني لهذا المسجد مئذنة صغيرة وهي التي تقام اليوم على فتحة الباب الرئيس للمسجد وكان ذلك في ٨٤ أو ١٩٨٥م.

وفي أيام إصلاح مسجد جامع الشحر عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وزعت الناس لصلاة الجمعة على خمسة مساجد منها مسجد مدرسة الشيخ ناصر بالسوق وقد خطب الناس فيه خطيب جامع الشحر الشيخ أحمد عوض باحميش رحمه الله وهو الخطيب الخاص بجامع الشحر.

١٠ـ مسجد باحجر :

سألت كثيراً عن صاحب هذا المسجد فلم أظفر بطائل، وكان قد ذكره المؤرخ عبد الله محمد باحسن في الباب الثاني من كتابه (النفحات المسكية) والخاص بمساجد مدينة الشحر العامرة والمندرسة منها والداثرة، فلم يزد على أن قال: «مسجد باحجر بحارة أبي غريب» ويسكت عنه في كل ما كتبه عن تاريخ الشحر ويذكر صاحب المسجد في وثائق الشيخ طاهر علي الأرضي باسم (أحمد باحجر) ولا تذكره وثيقة الشيخ عبد الخالق يسر اليزيدي مع أنها خاصة بمشاهير بندر الشحر وعلى هذا فنحن لا ندري إن كان من أهل هذه المدينة أم أنه كان من غيرها، وتسكت كل الوثائق التي اطلعنا عليها عن هذا المسجد وصاحبه، وقد سألت معلم المسجد الشيخ جمعان عبيد طايع وهو من يقصد دائماً للوعظ والإرشاد بهذا المسجد فأشار إلي بأن علي الاتصال بالشيخ حامد وهو أخ شقيق لعبد الخالق اليزيدي المار ذكره هنا وهو صاحب الوثيقة المحررة والخاصة بمشاهير بندر الشحر وقد فارقنا الشيخ حامد في تاريخ ٢٣ شوال ١٤١٧هـ الموافق ٢ مارس ١٩٩٧م رحمه الله فما كان منا إلا الرجوع إلى وثيقة شقيقه الشيخ عبد الخالق وقد أتحفنا ابن أخيه عبد الله حامد بنسخة منها فلم نجد له ذكر.

والأسرة التي ينتمي إليها صاحب المسجد وهي آل باحجر من أهل حضرموت وهي منتشرة في أكثر مدنها، ونحن في الشحر نعلم أنهم من أهل مدينة شبام وما جاورها من بلدات كسحيل شبام.

وفي الشحر مجموعة كبيرة منهم في حي عقل باغريب ومنهم صاحب المسجد وآخرون يسكنون حي عقل باعوين ومنهم من باع لجدي الثاني منزلاً من أملاكه بحافة العيدروس والقليل منهم من تثقف دينياً، وعدد منهم مارس التجارة ولكن أغلبهم عمل بالأعمال الحرة بالشحر ومن تخصص في البناء ومنهم علماء يدخل كما نرى الشيخ أحمد في هذه الأقلية، إن ما أكتبه هذا نتيجة متابعتنا لأخبار صاحب المسجد.

إن هذا المسجد لم يكن بعيداً عن مسجد أبو بكر العيدروس ولا مسجد سعيد باغريب ونستغرب لم كان هذا التقارب مع أن مسجداً واحداً يكفي لكل المصلين في تلك البقعة من الحي.

ويتكون المسجد من بيت الصلاة يقفوه شرقاً صحن المسجد الذي يفتح له باب رئيس للمسجد وينقسم الجزء الشرقي من المسجد إلى قسم شمالي وهو خاص بالميضاءة ومن الجزء الجنوبي الذي تعلوه مئذنة مرتفعة، والمسجد قد أعيد بناؤه، رحم الله من فعل الخير وغفر له.

اعتمدنا فيما جاء على الآتي:

ـ باحسن، عبد الله محمد، النفحات المسكية.

ـ وثائق، طاهر علي الأرضي.

ـ وثائق عبد الخالق يسر من يد عبد الله حامد.

١١ـ مسجد باهارون :

ينسب هذا المسجد للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله الصالح بن هارون ويتصل نسبه بآل جمل الليل العلويين، قال المؤرخ عبد الله باحسن: «الذي أظهر أنوار فجره فأشرقت معارفه وعوارفه في عصره» وذكره الشيخ عبد الرحمن باوزير في قصيدته التوسلية:

وشيخ أبي هارون عبـد الله التقـي شريف عفيف من فحول الأكابر

بـه الشـحر تزهـو هينـة ومهابـة ودلـت لـه سـلطانها والعسـاكر

وكان هذا الشيخ من أجل الفضلاء والأعيان وله القدم الراسخة في تحصيل العلوم، وأخبرني البعض أن صاحب الترجمة به شيء من الجذب، وهي لفظة درج عليها العلويون لمن مسه الجنون منهم، والغالب عليه الذهول وأنه كان مشغوفاً بحب السماع والله أعلم، وأضاف باحسن: «ولم أقف على تاريخ وفاته، وهو مقبور بظاهر البلد وعليه قبة واسعة وعلى قبره تابوت خشبي لم يذكر تاريخ وفاته وقبته تلاصق قبة الثري المحسن الحسين بن سهل والكل يلاصق مسجده الذي يقع خارج سور الشحر الذي بناه القعيطي شمال غربي المدينة».

وقد كتب صديقنا الأستاذ محمد بن علوي باهارون ـ ساكن مدينة الحامي ـ ترجمة لصاحب المسجد جاء فيها: «أنه من مواليد مدينة تريم الغناء في النصف الأول من القرن العاشر الهجري وبها نشأ وترعرع تحت رعاية والده وجده عبد الله الصالح وعمه أحمد المتوفى بتريم عام ٩٦٥هـ (١٥٥٧م) متتلمذاً على يديهما وعلى شيوخ تلك الحقبة... وبعد وفاة جده العلامة عبد الله الصالح عام ٩٤٤هـ بتريم انتقل الشيخ عبد الله محمد إلى بندر الشحر مع والده، شأنهم في ذلك كغيرهم من العلويين الذين نزحوا من تريم في القرن العاشر للدعوة إلى الله» وأضيف من عندي ولنشر طريقتهم في نشر التصوف العلوي.

وتوطن آل باهارون هؤلاء في الشحر وعدن وأحور وغيرها، كما انتقل ابن عمته الشيخ عبد الله علي باهارون مؤلف كتاب (أنس السالكين في مناقب الصالحين) إلى عدن ومنها هاجر إلى الهند وتوفي بها سنة ١٠٠٢هـ (٩٢/ ١٥٩٣م).

وبالشحر أقام الشيخ عبد الله بطرفها الغربي (الشمالي الغربي) مؤسساً مسجداً وزاوية علمية وذلك في حدود عام ٩٥٠هـ (١٥٤٣م) متصدراً بها للإفادة والتدريس وأسس بها حضرة الذكر التي تقام عصر يوم الخميس من كل أسبوع والاحتفالات بالمناسبات الدينية الأخرى، وقد امتلك مزارعاً في ضواحي الشحر في مناطق من وادي عرف وقريتي الواسط والجرادف خلفها لأحفاده.ولا زال مسجده بقرية الواسط قائماً إلى اليوم حيث ينتقل إليها مع أهله ومريديه في أوقات الخريف (خريف التمر) للمصيف بها في تلك المناطق الريفية. وفي شهر ذي الحجة من شهور تلك السنة ٩٧٧هـ (١٥٦٩م) انتقل والده إلى رحمة الله بالشحر.

وبعد حياة حافلة في الدعوة إلى الله والصلاح والإصلاح انتقل الشيخ عبد الله صاحب المسجد إلى الله تعالى في مستهل العقد الأول من القرن الحادي عشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) وقبر شرقي مسجده وفي قبته الملاصقة للمسجد.

وخلفه أبناؤه وأبناء أبنائه وهم من تدير الشحر ثم انتقلوا في القرن الثاني عشر الهجري إلى الحامي وجادب وظفار....

وقد تم الاعتماد على ما كتبه الصديق الأستاذ محمد علوي باهارون وهو من أهل مدينة الحامي، ومن الملاحظ أننا هنا قد حذفنا بعض الألفاظ والعبارات التي لا تناسب هدفنا من تأليف هذا الكتاب.

ومما يلفت النظر أنه قد كتب على رأس محراب مسجد عبد الله باهارون تأسس المسجد سنة ٨١٦هـ وتم تجديده وتوسعته بتاريخ ٥ محرم ١٤٣٠هـ (٢ يناير ٢٠٠٩م).

ونحن لا نجد اسم هذا المسجد في قائمة المساجد الواردة في عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) أيام الغزو البرتغالي على الشحر مما يفيد أن التاريخ لا يقرب من الحقيقة وقد سألت المشرف على المسجد الشيخ سعيد أحمد بن نويصر فأجاب أنه جواب رئيس هيئة الأوقاف بالمحافظة، ونحن لنا الحق أن نبدي وجهة نظرنا في صحة هذا التاريخ فلو كان صحيحاً لكان اسم المسجد مدرجاً ضمن المساجد الواردة في كتاب الأستاذ بامطرف (الشهداء السبعة) ص٤٨،٤٧ وهي مستقاة من مخطوطتين تاريخيتين للمؤرخين باسباع وبامعيبد وجاء التأكيد فيما كتبه الأستاذ محمد علوي باهارون، وبالله الاعتماد.

إن المسجد في الأساس هو ذلك البناء الصغير الذي ترك أولاً عند التجديد الأول، ثم أزيل أخيراً كي يتم التوسع ويبقى المسجد بهذا التوسع في بيت الصلاة ثم الرواقين بعد بيت الصلاة شرقاً من صحن المسجد وترك جزء منه في الجزء الشرقي وبقي الجزء الشرقي كله للميضاءة وللمسجد مدخلين شرقي ونجدي كل ذلك استعداد لكي يكون هذا المسجد جامع مسجد باهارون الذي أقيمت به أول جمعة، وقد خطب الناس فيها الشيخ محمد أبو بكر محمد صياد وهو اليوم إمام مسجد عمر بن الخطاب.

وفي إشارة المؤرخ باحسن عن مسجده المقام بقرية الواسط من مديرية الشحر وأنه لا زال قائماً فقد ذهبت أخيراً في زيارة للقرية وسألت معلم مسجد عمر المحضار بها فدلني ـ

مشكوراً ـ عليه، ووجدت أنه ـ أي مسجد باهارون ـ ملاصق لمسجد عمر المحضار ما عليه فهو يقع ملاصق من الناحية القبلية أي الغربية ولم أكن أعلم بهذا.

رجعت في كتابة هذه النبذة إلى:

ـ النفحات المسكية لعبد الله محمد باحسن.

ـ باهارون، محمد، ترجمته لصاحب المسجد، مخطوطة.

ـ باهارون، عبد الله علي، أنس السالكين، مخطوط.

ـ بامطرف، محمد، الشهداء السبعة.

١٢ـ مسجد شيخ بن إسماعيل :

هذا المسجد أحد المساجد التي تقع خارج سور المدينة الذي أنشأه السلطان عوض بن عمر القعيطي ويقع إلى الجهة الغربية من مسيال وادي سمعون.

وينسب للشيخ شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف وهو من مواليد مدينة تريم وبها نشأ واتصل بعلماء عصره من أهل مدينته ومنهم الشيخ الشهيد أحمد عبد الله بلحاج بافضل وأخذ عنه وعن غيره وارتحل إلى مدينة الشحر وفضل سكناها وطار صيته في أهلها كصوفي ولقبوه بصاحب الشميلة، تصغيراً لشملة لطيفة كان يصلي عليها، كما عرف أيضاً بصاحب السكان حيث أشار إليه عبد الرحمن بن أحمد باكثير (١٠٨٠ ـ ١١٤٥هـ) (١٦٦٩ ـ ١٧٣٢م) صاحب تريس الأديب الشاعر، قال في قصيدته المشهورة التوسلية:

وبكل من في الشحر من ذي رتبة ... ومكانة ولـه دعاء يقبل

بهم توسلنا إليك بشيخنا ... شيخ بن إسماعيل نعم الكمل

سأل الطبيب بأن ينام ليرتقي ... منه الرعاف فقال دع ما تسأل

ما ينبغي لموكل بسفينة ... وبكل من فيها ينام ويغفل

هكذا، وهو من أشار للسلطان بدر أبو طويرق بأن يبني المدرسة البدرية المشهورة، ذكر ذلك المؤرخ عبد الله محمد باحسن في كتابه(النفحات المسكية) الجزء الثاني ولما كانت هذه المدرسة سنية جاء شكنا في هذه المسألة وسألنا أنفسنا: كيف يشير من كان صوفياً للسلطان بدر أن ينشئ مدرسة سنية؟ إن عبارته سببت لنا بعض الإرباك.

وقد أسس المترجم له مسجده في الجزء الأخير من حياته وأسس به حضرته التي رتبها صباح كل جمعة وهي مستمرة في الناس (انظر كتابنا الابتهالات والمدائح في حضرموت الابتداء والانتشار)، ومما رتبه فيها قراءة ياسين ثلاث مرات ثم ما تيسر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حزب البحر للإمام الشاذلي ثم تقرأ قصيدة الإمام البوصيري المسماة البردة ثم تختم بفواتح مرتبة لها، ثم تقرأ أنفاس الشيخ وهي أشعار من ديوانه الذي شرحه الشيخ عبد الله جعفر مدهر المجاور بمكة والمتوفى سنة (١١٦٠هـ ـ ١٧٤٧م) وفي هذا إشارة إلى أنه شاذلي وفي شرحه لهذا الديوان إشارة إلى أنه أدرك الشيخ الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج وأخذ عليه أخذاً تاماً، وكان بلحاج لا يحب السماع وتبعه الشيخ شيخ فكان لا يضرب بحضرته أصلاً. وهذا غير صحيح فإن في حضرة بلحاج تضرب الدفوف وتقام بضريحه مساء كل سبت من بعد صلاة العشاء.

وقد توفي الشيخ شيخ بن إسماعيل بالشحر عام ٩٥٠هـ (١٥٤٣م) ودفن بظاهر البلد من الجانب القبلي (الغربي) وعليه قبة تجاور مسجده العامر بناؤه إلى اليوم وقد نظم تاريخ وفاته الأديب عبد الله أحمد بافلاح، فقال:

شـــيخ بـــن إســـماعيل مـــن في بنـــدر الشـــحر ســـكن
تـــــاريخ عـــــام وفاتـــــه تجـــده في أحـــرف (ظـــن)

وقبره معروف يقصد للزيارة والمسجد عامر بالصلوات والذكر ولله الحمد.

رجعنا في هذا للآتي:

ـ باحسن، عبد الله محمد، النفحات المسكية.

ـ حداد ، عبد الله، الابتهالات والمدائح في حضرموت.

ـ قصيدة البردة، للإمام البوصيري.

ـ مدهر، عبد الله جعفر، أنفاس الشيخ.

١٣ـ مسجد مرشد :

يعرف عند كل أهل الشحر باسم مسجد (مرشد) وليس لدى البعض منا إلا ما ورد عنه عند مؤرخ الشحر عبد الله محمد باحسن في الجزء الثاني من كتابه النفحات المسكية الذي قال: «مسجد الشيخ مرشد، بضم الميم وسكون الراء وخفض الشين وبعده دال ساكنة هكذا اشتهر اسمه ويقال له مرشد بن عبد الرحمن وأنه من السادة آل مكنون والله أعلم ومسجده متسع كامل العمارة بحارة أبي غريب»ا هـ. وتسجله سجلات إدارة الأوقاف بمدينة الشحر باسم (مرشد عبد الرحمن مكنون).

الأستاذ محمد علوي باهارون وهو من بلدة الحامي كتب عن هذا المسجد فقال: «من المساجد التي بنيت بالشحر في القرن الحادي عشر الهجري وهو الواقع في حارة أبي غريب» ونضيف أنه في ربع حي الجزيرة، وقال الأستاذ محمد: «وينسب إلى الشيخ مرشد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد... انتقل إلى مدينة الشحر من قرية مشطة من ضواحي تريم في أوائل القرن الحادي عشر الهجري مع بني عمه... وقد توطن بنو عمه مدينة الحامي.. ولم يبق في الشحر منهم إلا أسرة واحدة منهم الناخوذة المشهور... »

وفي شهر يونيو عام ٢٠٠٩م قام رجال الخير بإعادة ترميم عمارة المسجد وتم إقامة مقدمة للمسجد تثبت وتعلم أن هذا البناء أصلاً أحد مساجد الشحر وهي أيضاً مكان يتفيأ المصلون ظلال الشمس أيام نجوم القيظ في السنة.

وعندما تم توزيع الناس أيام بناء مسجد جامع الشحر في عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) كان مسجد مرشد أحد المساجد التي أقيم بها جمعة من خمسة مساجد أخرى وقد كلف المعلم الشيخ سالم سعيد باقلاقل خطيباً به ومعلماً لأداء صلاة الجمعة رحمه الله، توفي مساء يوم السبت ٢٨ محرم ١٣٩٣هـ= ٣مارس ١٩٧٣م وقبر بمقبرة الزعبلي بالشحر.

استفدنا من الآتي لكتابة هذه النبذة:

١ـ باحسن، عبد الله محمد النفحات المسكية.

٢ـ باهارون، محمد علوي، ما كتبه عن صاحب المسجد.

٣ـ مذكرة الباحث.

١٤ـ مسجد الروضة :

أسس هذا المسجد في أوائل عام ١٣٦٨هـ (نوفمبر ١٩٤٨م) وأعيد بناؤه عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ولا ينفي عدم ذكر هذا المسجد في سجلات الأوقاف بمدينة الشحر وجوده، فهو مسجد عامر بالبناء والمصلين منذ نشأته إلى يوم الناس هذا، نعم ورد في سجلات الأوقاف إشارة بأوقاف المسجد باسم (أوقاف مسجد روضة الحبشي) هكذا، في السجل الثالث من سجلات الأوقاف بمدينة الشحر.

وكان تأسيس المسجد على يد ابن من ينسب هذا المسجد له الشيخ محمد بن علي بن محمد الحبشي في ١٨ ربيع الأول ١٣٦٨هـ (١٧ يناير ١٩٤٩م) وكان موقع ومكان المسجد منذ وقت مضى بيتاً للشيخ أحمد الشاطري الذي كان يقيم فيه مناسبة حولية الشيخ العلامة علي بن محمد الحبشي المتوفي بسيئون في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٣هـ (٦ مارس ١٩١٥م) ثم تزوج الشيخ محمد علي بن محمد الحبشي من أرملة الشيخ أحمد الشاطري ابنة الشيخ أحمد البيض وأخت حسين بن أحمد البيض صاحب زغفة، وهي التي أوقفت نصيبها من إرث زوجها لمقام الشيخ علي بن محمد الحبشي صاحب مسجد ورباط سيئون التعليمي الذي أدخل به تدريس النحو والصرف في معهده ولأول مرة في حضرموت.

وظل الشيخ محمد بن علي كثير التردد على الشحر بعد أن تزوج من ابنة الشيخ عبد الله بن علي البيض الساعاتي المشهور بإصلاحها ومنذ عودته من بلد بقور بإندونيسيا عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م).

وقد ولد الشيخ محمد علي بسيئون عام ١٢٦٩هـ (٥١/ ١٩٥٢م) ونشأ في بيئة علم وصلاح وتلقى علومه على علماء مدينته وعلى رأسهم والده، وقد انكب على دراسة العلوم الدينية واللغوية برزت نتائجها في نشاطه التربوي والتعليمي، خاصة ما قام به من عناية برباط والده العلمي الذي أسسه عام ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م) واهتمامه بطلبة ذلك المعهد المشهور في ذلك الزمن فكان واعظاً سلس التعبير قوي التأثير واشتهر بسعة علمه واطلاعه في العلوم العربية.

المؤرخ الشيخ مبارك صالح الأرضي الذي كان يدون أحداث مسقط رأسه مدينة الشحر يومياً استمر يسجل مواعيد ختم حول الشيخ علي الحبشي بالشحر مردداً أنه حدث في حافة الحوطة وفي بيت أحمد الشاطري جاء ذلك في ٢١ ربيع الثاني ١٣٦٨هـ (٢٠ فبراير ١٩٤٩م) واستمر حتى عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) رغم أن البيت أو جزءه الجنوبي صار مسجد الروضة أو روضة الشيخ علي بن محمد الحبشي.

ونحن نجد على جدار المئذنة الجميلة القصيرة جداً ذات النقوش والزخارف البديعة وعلى وجهها الجنوبي المدخل للمسجد عبارة (روضة بل جنة قد أزلفت للناظرين الغنى والعلم فيها والرضا ادخلوها بسلام آمنين).

لقد وجد ابن صاحب الروضة محمد بن علي أن في إشادة روضة والده في مدينة الشحر شيئاً من رد الجميل والاحترام والتبجيل لهذه المدينة التي كان بها أول لقاء لأبيه الشيخ علي بن محمد بأستاذه وشيخ فتحه الشيخ أبو بكر بن عبد الله العطاس.

ومثل هذا يقال عندما طلب في ربيع الأول عام ١٣٦٥هـ (فبراير ١٩٤٦م) من شيخ الشحر عبد الله بن عبد الرحمن مبتدع قراءة قصص مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في عموم مساجد الشحر، طلب آخر يوم خميس من كل شهر ربيع أول من كل عام قراءة مولد سمط الدرر وهو من وضع والده في مسجد جامع الشحر ثم يستأنف الترتيب المعتاد.

وقد وضع الشيخ محمد بن علي ترتيباً لبعض ليالي الأسبوع في مسجد الروضة حيث يقرأ المنثور وهو من كلام والده علي بن محمد الحبشي ليلة كل سبت من كل أسبوع وتدق طبول حضرته الصوفية ليلة كل اثنين حيث تنشد به عدد من قصائده، ويقرأ قصة المولد الموسوم

بـ(سمط الدرر) ليلة الجمعة من كل أسبوع ويتوافد إلى المسجد كثير من أهالي الشحر لسماع الكلام المنثور وإنشاد القصائد والعظات المكتوبة. وقد كنت من حضور الحضرة الأسبوعية مكلفاً من جدي لأمي الشيخ مبروك دريقان وهو محب لآل الحبشي ومن المشاركين في احتفال الحول الاحتفال السنوي وتكاليف الوجبة الغدائية في تلك المناسبة السنوية، وكنت أحمل بعد صلاة المغرب مباشرة براد القهوة الحلوة (قهوة السكر) ومصباح الكايروسين (الاتريك) من بيتنا الكائن بحافة المحضار من حي عقل باعوين ولقصر قامتي كنت أتعب من حمل ذلك على اليدين وكنت أحدد ثلاثة مواقع استريح فيها ولكني كنت أجد لذة في تقديم هذه الخدمة حتى كبرت وسافرت للدراسة بجدة عام ١٩٦٤م وفي تلك المدة توفي الجد مبروك دريقان رحمه الله في ١٩٦٥م الذي خلف نسخة مخطوطة من المنثور من كلام الشيخ علي وديوانين الحكمي والحميني المطبوعان بإندونيسيا.

إن تجديد عمارة المسجد غيرت معالمه الأولى فجعل جزءه الداخلي بيتاً للصلاة وجاوره شرقاً صحن المسجد وكان الجزء الجنوبي الغربي جعل للميضاءة ومئذنة مرتفعة تعلو الجزء الجنوبي الشرقي ولا يزال المسجد معموراً بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله، والله من وراء القصد.

مراجعنا في كتابة هذه النبذة:

ـ النفحات المسكية لعبد الله محمد باحسن.

ـ سجلات الأوقاف بمحكمة الشحر الابتدائية.

ـ مدونة مبارك الأرضي التاريخية.

ـ تاريخ الشعراء الحضرميين لعبد الله السقاف.

١٥ـ مسجد بقشة :

يقع هذا المسجد في الجزء الجنوبي الشرقي لحافة الرملة من حي الصيادين وينسب للشيخ العالم القاضي سالم محمد بامعيبد، وكان الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف قد ذكره باسمه الصحيح في الهامش رقم (٧٣) من صفحة ١٣٠ من كتابه الشهداء السبعة قائلاً: «الفقيه الشيخ سالم محمد بامعيبد الذي ولي القضاء في الشحر في شهر صفر من ذلك العام ٩٥٤هـ (١٥٤٧م) للمرة الثانية» وكأن الأستاذ محمد رحمه الله صحح ما جاء عنه وذكر اسم الفقيه بامعيبد في حاشية الكتاب رقم (٣٩) بصفحة (١٢٦) باسم الشيخ محمد بن سالم بامعيبد، وهو كما نظن اعتمد على الذاكرة وهي كما يقال (الذاكرة خوانة)، وقد ظن الباحث عادل باعكيم في كتيبه الذي وضعه تعريفاً بالفقيه القاضي الشيخ سالم محمد بامعيبد قال: «ومما يدلنا أيضاً على السهو وسبق القلم والخلط الذي وقع فيه الأستاذ بامطرف ـ بين صاحب الترجمة وأبيه ـ أنه في الحاشية رقم (٧٣)...» وقد أعجبني منه لفظتي السهو وسبق القلم لكن عبارة الخلط فلم تكن إلا من الكاتب عادل نفسه الذي ظن أن الاسم الآخر هو اسم والده، وسبحان الله الذي لا يسهو ولا ينام، والمسألة لا تستحق الموقف الطويل فيكفي الإشارة إليها في الهامش، أما أن يتهم الذين نقلوا عن الأستاذ بامطرف، بأنهم لا يمتلكون الحس التاريخي فهي جائرة لأنهم إذا تتبعوه في الهامش (٣٩) فلماذا لم تستمر المتابعة إلى الهامش رقم (٧٣) ومنهم الأستاذ نفسه الذي تابعه ووقع به الظن في الخطأ وهو أنه والد الفقيه، متابعاً للشيخ المؤرخ خميس حمدان.

ذكر الأستاذ بامطرف مراجعه الرئيسة في اختيار الحوادث التي ارتكبها البرتغاليون في حق العزل من السلاح في أعالي البحار وفي السواحل العربية فقال: «تلك حوادث قليلة

ولكنها دالة، اقتطفناها من عشرات الحوادث المماثلة من سجلات المؤرخين باسباع وبامخرمة وباسخلة وبافقيه وبن حميد... وقد حورنا بعض كلماتها العامية إلى كلمات فصيحة دون إخلال بمعناها» وكذا جاء في نفحات المؤرخ باحسن صفحة (٤٩٨).

ولا نختلف مع الأستاذ بامطرف فهو قد اطلع على تلك المراجع مخطوطة ونحن اطلعنا عليها محققة ومطبوعة واتضح لنا أنهم قد أجمعوا على أن الفقيه هو سالم محمد بامعيبد مما يدلنا على أن الأستاذ اعتمد على الذاكرة أو أنه سبق قلم.

وبالمناسبة فقد قدم مدير دار الهمداني للطباعة والنشر نسخ من طبعة ثانية لكتاب (الشهداء السبعة) ولكنه لم يستشر المؤلف بل اعتمد على نسخة لأحد كتاب عدن الذي أضاف ملاحظاته فاعتمدت في النشر وقد قام المدير بتوزيع عدد كبير من هذه النسخ في الشحر ولكن الأستاذ بامطرف وجد في هذه الطبعة أكثر من مائة خطأ وقد كلفني باستبدال النسخ المغلوطة بالصحيحة ثم إنه نشر بصحيفة (الشرارة) الأخطاء في كتابيه (الشهداء السبعة) و (المعلم عبد الحق) ولا أذكر إن كان التصحيح قد جاء على تصحيح اسم الفقيه أم لا؟

لقد كان على الضفة الغربية لمسيال سمعون داخل المدينة أكثر من حسي، وهو نبع ماء يشق تلقائياً أو هي من الأرض التي يكون ماؤها قريب من السطح، وهناك (حسي الرملة) وآخر يقع أسفل بناية بن عبده التي آلت إلى النائب حسين بن محسن مخارش ثم إلى عبولان وهي اليوم البنك الأهلي، وثالث (حسي مرير) على الطريق إلى قرية (زغفة) هذه المشاريع يستفاد منها من قبل الأهالي لغسل أوانيهم وفرشهم وأغطية الأطفال، ولا توجد في مدينة

الشحر وحدها بل هي موجودة في أكثر من مكان وموقع بالجزيرة العربية ومنها على سبيل الذكر: الحسوة وحساي والأحساء في المملكة العربية السعودية، وأكثر من ذلك يجده طالب المزيد في مظانه.

ويهمنا من هذا (حسي الرملة) فقد كان يقام بجانبه مصلى وكان هذا النبع من بعد مغرب كل يوم مسقى لإبل معاصر السمسم الكثيرة في المدينة، ورغم أننا لم نجد من حصر تعداد تلك المعاصر لكن الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف يذكر في كتابه الشهداء السبعة تحت عنوان (ما بعد العاصفة) ما نصه: «وأحرقت اثنتان وثلاثون معصرة زيت بعضها أحرقت مع الإبل العاملة فيها» ص ١٠٢، إن هذا الرقم دلنا على كثرة تعدادها وكم منها بقيت حتى تستمر الحياة في المدينة، إن هذا النبع اعتبرته الدولة مورداً اقتصادياً ففرضت مبلغاً على كل جمل يشرب من هذا النبع.

وفي عام ٩٤٣هـ (١٥٣٦م) صك السلطان بدر بن عبد الله الكثيري سلطان الشحر نقوداً فضية أسماها (بقشة)، وقد فرضت على مالكي إبل المعاصر مبلغ بقشة واحدة على شرب كل جمل.

وقد قام الفقيه القاضي الشيخ سالم بن محمد بامعيبد بتحويل ذلك المصلى إلى مسجد وذلك في زمن من حياته فدعا الناس هذا المسجد باسم مسجد بقشة.

والشيخ سالم من أهل الشحر درس في غيل باوزير على يد الشيخ عمر بن عبد الرحيم باوزير (مول الربع) لكن أهل الغيل بل أكثرهم ينطقونه هكذا (موربع)، وقد تولى قضاء

الشحر مرتين، وتوفي رحمه الله بالشحر في ليلة الأربعاء ١٧ جمادى الأولى ٩٧٠هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٥٦٢م.

ولعل شهرة المكان واسمه سبب في نسيان الناس اسم باني ومؤسس المسجد الفقيه القاضي الشيخ سالم محمد بامعيبد رحمه الله.

وقد رمم المسجد أكثر من مرة ولكن الأخيرة تمت عبر لجنة من أهل حافة المسجد ومجورته ومنهم الشيخ محمد عوض عبد الملك والشيخ خميس سالمين بايعشوت والشيخ محمد عبد الله لعوج وكان ذلك في يوم ٣ ربيع الأول عام ١٣٨٧هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٦٧م.

وقد ضم التجديد كل جزء القطعة الزراعية التابعة للمسجد التي تقع من الناحية الشمالية للمسجد مع جزء بسيط من الناحية الشرقية وعلى ذلك أصبح المسجد مكون من بيت الصلاة الواسع الذي يقع جزؤه الشمالي الغربي خاص بيت الصلاة للنساء وصحن المسجد الشرقي الذي يقع في جزءه الجنوبي نخلات باسقات من حائط المسجد الزراعي مع مئذنة مرتفعة بدلاً من منارته الصغيرة القصيرة، رحم الله من سعى في بناء المسجد وسعى في ترميمه وأظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وقد رجعنا في ذلك إلى:

ـ الشهداء السبعة لمحمد عبد القادر بامطرف.
ـ العلامة القاضي سالم بن محمد بامعيبد لعادل باعكيم.
ـ الشحر في أدوار من تاريخها لخميس حمدان.
ـ تاريخ الدولة الكثيرية للعلوي.

١٦ـ مسجد عيدروس الرملة :

يقع هذا المسجد في حافة الرملة من حي الصيادين وقريب من ساحل البحر وهو مسجد مأثور لدى الصيادين في هذا الحي كله علاوة على سكان المدينة.

وقد اختطه الشيخ أبو بكر (العدني) بن عبد الله (العيدروس) بن أبو بكر (السكران) بن عبد الرحمن (السقاف) قبل عام ٨٨٨هـ (١٥٨٣م) وقيل إن الذي اختطه غيره بعد هذا التاريخ.

وولد الشيخ أبو بكر الشهير بالعدني والذي ينسب إليه هذا المسجد في عام ٨٥١هـ (١٤٤٧م) في مدينة تريم وكان أن أظهر نبوغاً مبكراً من خلال بداية دراسته على يد أبيه وأعمامه وجده وعلماء تريم ونشأ متصوفاً على نهج أسرته، وكان يتعاهد السفر إلى مدينة الشحر كعادة والده ويزور قبر نبي الله هود الذي يعتقد العيدروس أنه مقبور في حافة الرملة، والعوام يعتقدون أنه في المكان المقام عليه الآن مسجد العيدروس العدني هذا، ولهذا يرى البعض أن المسجد أقيم بعد ذلك وفي الموقع الذي يزوره العيدروس العدني ويقصدون التبرك بالمكان وأعطوه اسمه وتناسى الناس قبر النبي هود بعد انتشار زيارة هود وشعب هود في داخل حضرموت، كما كان العيدروس يزور قبور الأولياء والمشاهد ومنهم قبر الشيخ سعد تاج العارفين المقبور بالشحر كما يشير إلى ذلك الشيخ محمد عمر بحرق في كتابه، وقد صحبه تلميذاً وألف فيه كتاب (مواهب القدوس في مناقب الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس) واعتمد على هذه المناقب فترجموا حياة العيدروس ومنهم أبو بكر الشلي مؤلف المشرع الروي الذي ننقل عنه ملخص هذه الترجمة.

لقد كان العيدروس واسع الاطلاع وخصوصاً في مصنفات الإمام حجة الإسلام الغزالي والشيخ محيي الدين ابن العربي كالفتوحات والفصوص وإلى ذلك يشير تلميذه بحرق.

أظهرت ما أخص الفصوص وغيره من كل علم حار فيه من دأب

حج للمرة الثانية عام ٨٨٨هـ (١٤٨٣م) ثم سافر عند أوبته إلى عدن فاستحسنها، خاصة أن بعض الأهالي رغبوا له الإقامة هناك، فأقام فيها بقية حياته، وفيها توفي في ليلة الأربعاء ١٤ شوال ٩١٤هـ الموافق ١٣ فبراير ١٥٠٩م، وله بها قبر مشهور تزوره العامة وأصحاب الطرق الصوفية وتقام له الزيارة السنوية بوصفه قبراً لولي من الأولياء الصالحين، حيث اشتهر بالعيدروس العدني تمييزاً له عن العيدروس المصري والعيدروس البغدادي، كما أنه كان مشهوراً جداً وهو الذي أعطى الحي الذي يقع قبره فيه بعدن اسمه فسمي حي العيدروس.

ومن مؤلفاته الباقية والمتداولة كتاب (الجزء اللطيف من التحكيم الشريف) وهو فصول من التصوف ونهج المتصوفة، ثم (حجة السالك وحجة الناسك) وهو ديوان شعره الفصيح والموشح الحميني، وقد تم طبع الكتاب والديوان في مجلد واحد عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) بالقاهرة، وشعره باستثناء مدائحه يعبر عن معاناته الروحية وعما يسمى بالأحوال والمواجيد.

وقد عاصر العيدروس الدولة الطاهرية اليمنية، ومدح سلطانها عامر بن عبد الوهاب بقصائد كثيرة، وقد لقي عنده وعند من خلفوه حظوة بالغة، وقد ساعد بشعره وخطبه وبمواقفه على إعداد المواطنين لمجابهة قوات الغزو البرتغالي التي حاولت أكثر من مرة

الاستيلاء على عدن، ولعل أهم ميزة يمكننا أن نحسبها لمصلحته من بين المتصوفة العلماء أنه لم يهرب من ميدان الحياة ويبحث عن النجاة في عوالم الغيبيات بل شارك في الحياة وفي أحداث عصره.

مكانة المسجد :

ويلاحظ أن لهذا المسجد مكانة خاصة عند الصيادين حيث يضيفون عليه طابعاً قدسياً! فهل جاءت هذه القداسة من اعتقاد الناس بأنه مقام على مسجد أو قبر أو بيت نبي الله هود؟ أم أنها جاءت من شيء آخر كأن يكون هناك معبد وثني له علاقة بالإله سوبان إله البحر عند اليمنيين القدامى، ففي يوم الاحتفال السنوي بيوم سوبان الذي يقيمه الصيادون هنا بالشحر يمارس هؤلاء طقوساً لا نعلم مصدرها ولا مدلولها ولكننا نعلم أنهم يتمنون أن يكون الحصاد السمكي وفيراً في العام القادم، إذ يحاكون عملهم في البحر بشكل راقص داخل بعض الأضرحة وبعض المساجد وفي عصر ذلك اليوم تقام أمام ساحة هذا المسجد الشرقية رقصة الشواني وفي آخر رقصة يقوم بعض الراقصين بمحاكاة حركات ممارسة صيد السمك ويقوم البعض الآخر بتمثيل السمك الذي يتم اصطياده كل ذلك في شكل راقص.

وتؤكد بعض الأخبار أن عاد لحقت بالشحر فسكنت به، حيث يزعم الرواة أن هوداً ارتحل هو ومن معه من المؤمنين من قومه ـ بعد العذاب الذي حلّ بقومه الكافرين ـ من أرض عاد إلى الشحر وأهالي الشحر يعتقدون أن بلادهم هي بلد عاد المسلمين، قال المحضار في غنائية:

يا مدينة آل عاد الأثر والرمم عاده جـلّ خـلاق العبـاد

لي جعل حبك عبادة

قال البيضاوي: إنهم ـ أي عاد ـ يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، ويزعم أهالي الشحر أن مدينتهم هي مدينة عاد وأن منطقة الشحر هي أرض الأحقاف، اعتماداً منهم على رواية قديمة تنسب إلى قتادة بن دعامة البصري (١١٨هـ) وكان مفسراً وملّماً بأيام العرب وأنسابهم، ولقد بقي هذا التأثير على أشعارهم حتى يومنا هذا، ومن ذلك ما ذكرناه من شعر حسين أبو بكر المحضار.

ثم إنه قد تكونت لجنة لإعادة إعمار المسجد من جديد برئاسة الرجل الصدر سعيد عوض باصالح ابن الشاعر المعروف عوض سالمين باصالح، وقد تم حفر الأساس في عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) فوجد سارية كبيرة (إسطوانة) حجرية تدل على أن المسجد يقام على بناء سابق، ربما يكون البناء القديم لمسجد أو ربما لقلعة وهو ما أرجحه، والله أعلم، على أن قداسة المسجد يجب ألا تنطلق من وضعه السابق الوثني، فقد نبذ أهالي الشحر وثنيتهم مع عموم سكان حضرموت وعموم اليمن في السنة العاشرة من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا لكونه قبراً لنبي الله هود فالله سبحانه وتعالى قد ذكر في كتابه العزيز عاداً وهوداً والأحقاف على سبيل الموعظة والعبرة، ولكنه جل شأنه لم يذكر أين تكون منطقة عاد ولا أين مات النبي هود عليه السلام ولا مكان قبره ولم يحدد الأحقاف فالطابع القدسي لهذا المسجد يجب أن ينطلق من وضعه الإسلامي، وكونه بيتاً من بيوت الله تعالى، قال سبحانه: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب البلاد إلى الله مساجدها»، وكانت آخر توسعة للمسجد في عام ١٤١٠هـ الموافق ١٩٩٠م.

اعتمدنا فيما كتبناه على:

ـ النفحات المسكية، عبد الله باحسن.

ـ المشرع الروي، أبو بكر الشلي.

ـ مواهب القدوس، محمد عمر بحرق.

ـ الشهداء السبعة، محمد بامطرف.

ـ الرفيق النافع، محمد بامطرف.

ـ ملاحظات على ما ذكره الهمداني، محمد بامطرف.

ـ رقصة الشواني، عبد الله حداد.

ـ الرقص الطقوسي، عبد الله حداد.

ـ المفصل في تاريخ العرب، د. جواد علي.

ـ تاريخ الأحقاف، محمد باحنان.

ـ شعر العامية في اليمن، عبد العزيز المقالح.

١٧ـ مسجد بافقيه :

ذكر الدكتور محمد عبد القادر أحمد بافقيه في الحلقة التاسعة من سلسلة (شيء من تلك الأيام) التي كان ينشرها تباعاً بصحيفة الأيام العدنية، ذكر في الحلقة التي نشرت بالعدد (٩٢) الصادر في يوم ١٩ أغسطس ١٩٩٢م ما حدث لسدة بيت العائلة (الباب الرئيسي لمسكنهم) وكانت عائلتهم قد سكنت حافة الحوطة إحدى حارات مدينة الشحر إذ تهدم البيت وسرقت أخشابه كلها التي لا تقدر بثمن ولكن السدة وحدها لها أهمية عاطفية إذ فيها تاريخ مجيء العائلة من الخريبة المدينة الدوعنية.

والدكتور محمد من أحفاد صاحب المسجد القائم بالشحر والذي يعرف (بمسجد بافقيه) وصاحبه هو الشيخ شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن علي بافقيه، كما جاء ذلك في كتاب (خدمة العشيرة بترتيب وتلخيص وتذييل شمس الظهيرة)، لأحمد بن عبد الله السقاف الشحري ص (٤) وهو من وصفه المؤرخ عبد الله باحسن في كتابه (النفحات المسكية) بقوله: «السيد الشريف والعلم المنيف وأنه من كمّل الرجال أرباب الأحوال ذو الأخلاق النبوية والسيرة العلوية والعزمات الهاشمية وهو من متأخري العصر... وتوفي سنة ١١٨٦هـ الموافق ١٧٧٢م» ودفن بظاهر مدينة الشحر من الجانب الغربي وعليه قبة شهيرة بمحاذاة مسجده الذي يقع أيضاً بظاهر البلد على امتداد السور وعلى بعد أمتار شمال سدة حي الخور البوابة الغربية لسور مدينة الشحر والأخرى السدة الشمالية وهي التي تعرف بسدة العيدروس.

وهو من المساجد التي وقعت خارج سور الشحر الذي بناه حول المدينة الجمعدار عوض بن عمر القعيطي المتوفي بحيدر أباد بالهند عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) والمسجد عامر بالمصلين والقراء والوعاظ ولم يكن لنا علم بأي تجديد سابق لهذا المسجد لكن أهل الخير تمكنوا من إعادة بناء المسجد إعادة متينة أساسها الحجر والإسمنت المسلح والتنظيم، وقد انتهت تلك العمارة في شهر ذي الحجة من عام ١٤٣٣هـ الموافق أكتوبر ٢٠١٢م فجاء بيت الصلاة فيه أكثر اتساعاً من قبل ويقفوه صحن المسجد وترك الجزء الجنوبي من الشرق للميضاءة ومن الغرب تعلوه مئذنة عالية ومدخل للمسجد إشارة ودلالة على المسجد، وفرصة يتفيأ ظلالها جمع من المصلين قبيل أذان الظهر أيام القيظ.

وقد جاء عند الأستاذ خالد يوسف الهندي فصل من كتابه التاريخي (الشحر حضارة وتاريخ ومعلم) عني بذكر مساجد المدينة وشيء عنها، وقد كفانا البحث خلف المساجد التي أسست حديثاً على وجه الخصوص وهو عمل يشكر عليه لكنه لا يتحرى الدقة عند بحث بعض أسماء المساجد وأصحابها أحياناً، وسوف نتابع بعض تلك الأسماء بغرض التصحيح ليس إلا.

ففي أحد مساجد الشحر الذي نحن بصدده الآن أطلق عليه اسم (مسجد بلفقيه) وبلفقيه غير بافقيه وهما أسرتان من علويي حضرموت، ثم إن هناك أسرتين حضرميتين تحملان نفس الاسم بلفقيه وبافقيه يكون نطق الأخيرة بفتح حرف الفاء وسكون حرف القاف وهما من كندة أو من قضاعة، هكذا نظن، ولو اعتمد الأستاذ على تحويل الأسماء درءاً للخطأ لكان أفضل، ثم إنه قال إن المسجد أسس بعد عام ١٥٢٣هـ وأسند ذلك إلى بيانات مكتب الأوقاف بالشحر وهذا كما نظن وهم منه، فكيف يتفق تاريخ تأسيس المسجد الصحيح وعبارته: (أنشأه عبد الرحمن محمد بلفقيه في حياته المتوفى سنة ١١٨٦هـ) وهي توافق عام ١٧٧٢م، فالفرق شاسع وكبير بين سنوات التأسيس ثم إن اسم المنشئ جاء عنه خطأ، فالذي أسس المسجد وأنشأه هو الشيخ شيخ بن عبد الله بافقيه المتوفي بالشحر في التاريخ المذكور عنده والمقبور بقبته المجاورة لمسجده، فأي بيانات هذه التي اطلع عليها الأستاذ خالد يوسف، ففي السجل الثالث من سجلات مكتب الأوقاف التي اطلعنا عليها يُذكر اسم صاحب المسجد (شيخ بن عبد الله بافقيه) وهو الرقم (٨) من سلسلة المساجد التي

ذكرت بذلك السجل، إن ذلك سهو من الأستاذ خالد واعتماد على الذاكرة ونعذره من أجل ذلك فالذاكرة خوانة.

مصادرنا فيما كتبناه:

ـ د. محمد بافقيه، شيء من تلك الأيام.

ـ أحمد السقاف خدمة العشيرة.

ـ محمد باحسن، النفحات المسكية.

ـ خالد الهندي، الشحر حضارة وتاريخ.

١٨ـ مسجد باخليفة :

يقع هذا المسجد بحي الصيادين حافة الخور، ويعرف عندهم بمسجد أحمد بن خليفة، ويقول أهل معوضة أنه مسجدهم ولهذا نرى اهتمامهم بالمسجد كثيراً من خلال عمرانه مرتين، كان على يد معلم البناء صالح بن عبد الله البطاطي وبتمويل من الثري المحسن حسين بن مسلم معوضة عام ١٣٨٦هـ (٢٣/ ١/ ٢٠٠١م) الذي أشاد البناء قبل الأخير كما أشاد بناء الجزء الجنوبي لمسجد مدرسة السوق وجعل مكاناً جديداً للميضاءة وأدخل مكانها السابق في المسجد كتوسعة له.

وقد ورد هذا المسجد بأسماء مختلفة وهو عند المؤرخ باحسن والمحامي طاهر علي الأرضي باسم (باخليفة) وهو الشائع عند أهل حيّه وورد باسم (بن خليفة) في وثيقة الشيخ سالم هلال الحبشي، ولا خلاف هنا فإن كلمتي (بيت) و(با) اللتان تسبقان أسماء بعض القبائل والأسر الحضرمية في منطقة الشحر وأجزاء أخرى من حضرموت الداخل هما من رواسب اللغة

الأرمية (إرم عاد) التي كانت متمركزة في مدينة (حريضة) وإن لفظة (با) تعني (ابن) ولكن أهل معوضة يقولون إنه باخليفة وهو شيخ آل معوضة القبيلة.

وآل معوضة إحدى الطوائف اليافعية السبعة التي تمركزت في الشحر عند نهاية الدولة الكثيرية الثانية وكان مركزها ما بين حافة الخور وحسي مرير، واستمر هذا حتى بعد أن أسس آل بريك ـ إحدى هذه الطوائف ـ دولتهم عام ١١٦٥هـ (١٧٥١م) وحتى انتصر عليهم الحاكم الثاني لدولة آل بريك.

إن الذي يلفت النظر أن يوجه نائب لواء الشحر في الدولة القعيطية وهي التي سقطت عند استقلال الجنوب العربي في ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م، أن وجّه نائب اللواء عبد الخالق عبد الله البطاطي رسالة إلى عميد أسرة آل معوضة الثري المحسن حسين مسلم معوضة تفيد بأن عليهم أن يهتموا بمسجدهم (باخليفة) الذي تعرض للتهديم، مما جعله يشمر عن ساعديه ويقوم بترميم المسجد بوسائل البناء المتواجدة والمتاحة آنذاك من حجر وكثيب وطين ونورة (كلس) وساروج (محروق اللبن) المدقوق والمخلوط بالكلس والمذاب، ثم حفر بئر المسجد المدفونة وجعل مقدم الحي بالخور الشيخ محمد عبد الله بن عقيل قائماً عليه، وبعد وفاة الشيخ جعل الشيخ فرج جمعان مسجدي خلفاً له.

وفي عام ١٣٨٦هـ الموفق ١٩١٦م جدد المحسن حسين مسلم معوضة عمارة المسجد في بناء حديث من الحجارة والإسمنت وزانه بالطلاء وزوده بالنور الكهربائي والماء العذب على يد معلم البناء المعروف الأستاذ صالح عبد القادر البطاطي، الذي أضاف لنا معلومة تقول بأن المسجد يعرف عند أهل الحي باسم مسجد الشيخ أحمد بن خليفة.

وفي الحقيقة إن أسرة آل خليفة أسرة معروفة بمدينة الشحر ومن رجالها الفقهاء والتجار ومعالم البناء ومنهم الفقيه محمد بن خليفة ساكن قرية الواسط والذي درس برباط تريم ومنهم التاجر مبروك عوض بن خليفة (عاش إلى ما بعد عام ١٣٣٤هـ) ويقع بيته أمام بيتنا القديم بحي عقل باعوين ولهم خلف إلى اليوم لا أعلم حتى الساعة إن كان لهم علاقة بهذا المسجد.

والملاحظ أن أجد في وثائق أسرتي أن دبراً (أرضاً زراعية) بقرية تبالة تحد أموال الجد عوض سعيد حداد بحرياً (جنوبا) ساقية ماء تعرف بساقية الأب ودبر لمسجد بن معوضة، ولكننا لا نعلم شيئاً عن هذا المسجد ولا موقعه ولدينا أمل أن يجد أحد الباحثين المتمكنين حلاً لهذا اللغز من هذه المعلومة غير المؤكدة، إن المؤرخ عبد الله باحسن المتوفي بالشحر في عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) قد أكمل كتابه التاريخي (النفحات المسكية) في فاتحة عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) أشار إلى المسجد قائلاً: (وهو مهدم ولم تبق منه إلا بعض الجدارات).

ويروي بعض المؤرخين عن آل معوضة ما يأتي :

كان علي بن طاهر تاج الدين بن معوضة الأموي القرشي وأخوه عامر واليين على عدن من قبل السلاطين آل رسول، وعند انتهاء الدولة الرسولية باليمن سنة ٨٥٨هـ (١٤٥٤م) احتل الطاهريون عدن احتلالاً رسمياً، ثم في سنة ٨٦٦هـ (١٤٦١م) تمكن الطاهريون من الاستيلاء على مدينة الشحر للمرة الثانية واستعادوها من أبي دجانة، فبادر آل كثير وذلك على عهد سلطانهم بدر بن محمد بن عبد الله الكثيري (ت٩١٥هـ / ١٥٠٩م) وأنشأوا مع

الطاهريين علاقة ودية، وبالنظر للفتن التي ثارت ضدهم في اليمن، أقام الطاهريون السلطان بدر عاملاً لهم على الشحر سنة ٨٦٧هـ (١٤٦٢م) وكان هذا أول اتصال لآل كثير بالشحر.

وفي عام ١٠٤٤هـ (١٦٣٢م) نجح السلطان الكثيري بدر بن عمر في الاستيلاء على الشحر، ولكي يضمن استمرار سيطرته عليها أنشأ سبع مراكز كحاميات.

وفي العشر السنين الأخيرة من نصف القرن الثاني عشر الهجري حوالي سنة ١٧٢٠م انتهت الدولة الكثيرية الثانية، فقامت على أنقاضها حكومات الطوائف حيث استولت كل حامية وكانت مؤلفة بصورة رئيسة من الجند اليافعيين على مدن وقرى معينة في داخل حضرموت وساحلها.

ففي ساحل حضرموت استولت كل حامية على السلطة في المكان الذي كانت متمركزة فيه، وكانت هذه الحاميات تعرف بالمكاتب السبعة، وهي:

١ـ مكتب آل كساد في قريتي الديس والحامي.

٢ـ مكتب آل النشادي في وادي عرف.

٣ـ مكتب آل الشيخ علي في قرية تبالة.

٤ـ مكتب آل بريك في حصن خرد والقسم الشرقي المعروف برباط بن جوبان.

٥ـ مكتب آل البطاطي في حارة الرملة.

٦ـ مكتب ابن عاطف جابر في حارة الجزيرة.

٧ـ مكتب آل معوضة في حارة الخور ومنطقة مرير الواقعة غربي مدينة الشحر.

وفي عام ١٠٨١هـ (١٦٧٠م) أصبح مكتب آل بريك قوة نامية طغت على بقية المكاتب الموجودة بالشحر وأخضعتها لسيطرتها، وفي سنة ١١٦٥هـ (١٧٥٠م) أعلن آل بريك إمارتهم بالشحر التي استمرت حتى هزمهم آل كثير في الخامس من جمادى الآخرة ١٢٨٣هـ (١٨١٦م)، ولكن مكتب آل معوضة ظل يدافع عن موقعه وسيطرته ردحاً من الزمن، يناوئ آل بريك ويرفض الإذعان لسيطرتهم، وكان له حصن بمرير يفرض منه الجباية على البضائع الواردة إلى الشحر من المناطق الغربية ومن المكلا والغيل، حتى تمكن الأمير البريكي الثاني علي بن ناجي بن عمر بن بريك الملقب القحوم والذي خلف أباه مؤسس الإمارة البريكية والمتوفي سنة ١١١٩٣هـ (١٧٧٩م) من دحر ابن معوضة الذي استسلم وأصبح من رعايا الدولة البريكية، ويقول آل معوضة إنهم من يافع ومن الخلاقي من يافع الموسطة، ولم أجدهم في قائمة قبائل يافع لدى الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف، ولكن الناس أمناء على أنسابهم.

إن ما جاء عند باحسن يثير الشك حيث يقول: (ولم يبق مخالف له من يافع لم يدخل تحت طاعته إلا ابن معوضة) وهناك من يقول إنهم من الطاهريين الذين ينتسبون إلى عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي القرشي الذي أشار إلى ذلك ابن الديبع في كتابه (بغية المستفيد في أخبار زبيد) وكتابه (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون)، غير أن محقق الكتاب محمد علي الأكوع أشار إلى أن ابن الديبع هو الذي وضع نسبة آل طاهر إلى الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأموي متأثراً بإحسان الملك عامر عبد الوهاب الذي كان يغدق عليه من الخير ألواناً، وقال: (إن هذه الدعوى لا تمت إلى حقيقة النسب المذكور بصلة، وإن آل طاهر من أرومة يمنية يعربية من قبيلة الدراحين الحميريين من سكان جبن) وأشار إلى أن عامر بن عبد الوهاب هو

الذي عرض هذا النسب على المؤرخ ابن الديبع الذي قبِله ببساطة وطيب نفس، وكان عامر يهدف إلى قرب منافسيه العلويين المعتصمين في قمم جبال شمال اليمن، ويذكر أن هذه الدعوى التي ادعاها آل طاهر ادعاها كثير من الحاكمين كالفاطميين والأيوبيين وغيرهم، هذا ما جاء عند ابن الديبع والأكوع، والله أعلم.

من مراجعنا في هذا:

- النفحات المسكية لعبد الله باحسن.
- الشهداء السبعة لمحمد عبد القادر بامطرف.
- صفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير.
- زيارة الشحر وصاحبها العطاس لعبد الله حداد.
- وثائق سعيد عوض حداد.
- تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم.
- إمارة آل بريك بالشحر لحسن الجوهي.
- قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لابن الديبع.

١٩ـ مسجد أبو بكر بن شيخ :

يقال له اليوم جامع الخور أي حافة الخور، وهو مسجد الشيخ أبو بكر بن شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف قال عنه المؤرخ عبد الله باحسن في النفحات المسكية: (من ذوي المراتب العالية والمقامات الشرفية السامية) وهو ابن شيخ بن إسماعيل وحفيد إبراهيم بن إسماعيل السقاف، توفي بالشحر ولم يقف صاحب النفحات باحسن على تاريخ وفاته ودفن بمقبرة الحور وعلى قبره قبة عاليةوقد درست الآن، وتقع بحي/ حارة الخور إلا أن سور

مدينة الشحر الذي أقامته السلطنة القعيطية فيما بين (١٢٨٤ ـ ١٣٠٠هـ) (١٨٦٧ ـ ١٨٨٣م) وذلك بعد الاستيلاء على الشحر، هذا السور حال بين القبة والمسجد فكانت القبة داخل السور والمسجد خارجه.

في عام ١٩٧٠ م عين الشيخ سالم سعيد روازع العوبثاني إماماً للمسجد، وكان مسجداً صغيراً وقد خلف الإمام السابق الشيخ محمد عبد الله بن عقيل، وقد تكونت لجنة أهلية بغية إعادة بناء المسجد وتوسعته من الشيخ سالم الإمام الحالي والشيخ بن عقيل الإمام السابق ومن الشيخ محمد أحمد بن بكر العوبثاني، بدأ العمل بمشاركة الأهالي حيث تم جمع التبرعات من ربابنة الصيادين، ثم إن الصيادين أو بالأحرى بعضهم تبرع بشحنات كاملة من الصيد، ثم عمل أهالي الحي رقصة المشعال لجمع بعض الأموال وتحركت اللجنة للاتصال بالتجار على المستوى المحلي، إلا أن المبلغ المجموع لم يكن كافياً فقد تمكنت اللجنة من تكسير المسجد القديم وبناء أساسات المسجد الجديد وارتفع البناء إلى ما يعرف بالكرسي، لهذا تم التفكير في أمر المغتربين من سكان الحي وقد كُلف الشيخ مبارك رمضان محيور أطال الله عمره بذلك فجمع مبلغاً مكّن اللجنة من استكمال رواق القبلة.

وعلى إثر ذلك سافر الشيخ محمد أحمد بن بكر إلى المملكة العربية السعودية مزوداً بالصور والرسومات والرسائل والتزكيات من قبل السلطة المحلية وأخرى من رجال الدين كالشيخ عبد الكريم الملاحي والشيخ سالم خميس حبليل وعند وصوله اتصل بالشيخ الثري والمحسن أحمد محمد بغلف الذي دعم بناء المسجد دعماً سخياً استمر هذا العون حتى إكمال العمارة ولله الحمد.

وقد توفي الشيخ أحمد بن بكر العوبثاني في ١٩ ذي القعدة ١٤٠٨هـ الموافق ٣/ ٧/ ١٩٨٨م فواصل ابنه عمر أحمد العوبثاني الذي عمل نائباً لمأمور مديرية الشحر حتى أدركته الوفاة في ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٣م وشيع جثمانه بعد صلاة العشاء من نفس اليوم وقد حضر جمع غفير من أهالي الشحر وأهل حي الخور.

ومن الجدير بالذكر أنه قد خصص جناحاً واسعاً من جهة الجنوب الشرقي من المسجد ليكون مكتبة كبيرة تضم أمهات الكتب في التفسير والحديث والفقه ومختلف العلوم الشرعية، وقد زرتها بنفسي وهي تستحق الوقوف عندها لكن من المهم أن يعين لها شخص يعتني بمحتوياتها ويساعد الباحثين والمطلعين والراغبين في القراءة.

إن على محراب المسجد سجل الآتي: (بسم الله الرحمن الرحيم، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، انتهت عمارة جامع بن إسماعيل بتاريخ ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٩٨هـ) وهذا يوافق ١٩ فبراير ١٩٧٨م.

وقد عين الشيخ سالم سعيد روازع إماماً للمسجد ومأذوناً شرعياً بتزكية من الشيخ سالم سعيد بن سرورقاضي مدينة الشحر وغيرها والمتوفي بالشحر في ٥/ ١/ ١٩٩١م وكان ذلك التعيين قد صدر عن القاضي محمد فرج سبتي قاضي محكمة الشحر في ١١/ ٥/ ١٤٠٣هـ الموافق ٢٤/ ٢/ ١٩٨٣م وقد تابع ذلك الشيخ أحمد بن بكر العوبثاني.

وعندما جاء التفكير الجاد لإقامة جمعة بالمسجد رشح الشيخ سالم روازع إمام المسجد نفسه ليكون خطيباً له بجانب الإمامة وكانت أول خطبة له في هذا المسجد عام ١٩٧٦م كما

أفادنا بذلك الشيخ سالم بنفسه وطلب منا إعفاءه من ذكر التاريخ باليوم والشهر، وسبحان الذي لا يسهو ولا ينام.

اعتمدنا فيما كتبناه حول المسجد على الآتي:

ـ باحسن، النفحات المسكية (المخطوط).

ـ باحسن، النفحات المسكية، المطبوع تحقيق محمد عبد النور.

ـ كتابنا الاستحكامات الدفاعية في حضرموت ـ الشحر نموذجاً.

ـ المأذون والإمام سالم سعيد روازع رحمه الله.

٢٠ـ مسجد الرباط الشريف :

في منتصف عام ١٩٨٩م أستطيع القول إني قد استكملت مسودة كتابي (تاريخ مساجد مدينة الشحر) ولكني شعرت بأن الكتاب به الكثير من النواقص وهو جدير بإعادة البحث من جديد للتصحيح واستكمال النواقص وسد الثغرات والمزيد من الجد في السؤال عن بعض من كتب أو درس أو أشار إلى تلك المساجد في كتاب أو بحث أو مقالة، ولهذا كتبت عدداً من الرسائل إلى جهات وأشخاص معينين بقصد الإجابة عن أسئلة طرحها علي البحث وخوفاً من الأخطاء التي يتحمل المؤلف مسؤليتها إلى الأبد.

كان من تلك الرسائل واحدة لأستاذي الشيخ سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر الذي سكن مدينة أبو ظبي وتوفي بها في ٣ رجب ١٤٣٩هـ الموافق ٣ مارس ٢٠١٨م، هذا الرجل الطيب هو الوحيد الذي كتب رداً على رسالتي وجاء في تاريخ ١٧/ ٦/ ١٩٩٠م وكان سؤالي عن مسجد الرباط لوالده وتضمن جوابه الآتي: (ولعلم سيادتكم فالرباط لم يكن

في يوم من الأيام مسجداً بل هو معهد ديني، حتى أن جماعة التنظيم عندما قاموا بالاستيلاء عليه وإغلاقه كانوا يعلمون علم اليقين أنه معهد ديني حيث كان ضمن الحملة التي قاموا فيها بإغلاق المعاهد الدينية بالمحافظة مثل رباط تريم وغيره، أما لو كان مسجداً لما استولوا عليه ولا أغلقوه، كما أنه ليس من المعقول أن يجعله الوالد رحمه الله مسجداً حيث لم تكن هناك مسافة بين الرباط ومسجد جده أحمد بن أبي بكر إلا بضع مترات، لهذا أحببت أن أوضح لكم حقيقة الرباط) إني هنا ورغبة لدي في احترم هذا الرجل ـ رحمه الله ـ وهو فوق هذا أحد أساتذتي حيث درست عليه سفينة النجاة في الفقه، ثم إنه جاد كل الجدة وهو الوحيد الذي أجاب على أسئلتي حول (الرباط الشريف) الذي أشاده والده الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر وهو أيضاً أستاذي درست عليه (شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع) ثم إني أحترم رأي أساتذتي كثيراً حتى وإن كان لي رأي آخر.

فإن المسجد مكان علم وثقافة وهداية وهذه لا تبعد كثيراً عن دور المعاهد الدينية في كل بقاع الدنيا، وقد حدث قبل ذلك عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم مدينته مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حيث أبقى عبد الله بن عباس الذي وصف بأنه حبر الأمة بالحرم المكي ليعلم الناس ويرشدهم إلى دينهم الإسلامي الصحيح، فالمسجد أيضاً معهد ديني.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ذكر هذا الحديث الزركشي في كتابه إعلام الساجد بالمساجد، والمسجد مكان يسجد فيه في أي مكان، وهناك عدد من المساجد المتقاربة مكاناً في الشحر مثل المساجد الثلاثة العيدروس وباحجر وباغريب والمسافات التي بينها تكفي لمرمى حجر، ومثلها الديني وبن قبولة ومسجد علي،

وأنا لا أدري لم هذه الأحداث مع علمنا أن كل هذه المساجد المتقاربة مكاناً لا خلاف بينها في المذاهب والآراء.

وإذا كنا نرفض أن يكون الرباط مسجداً فماذا علينا أن نقول عن مسجد المدرسة ومسجد الزاوية ومسجد الرحمة ومسجد بر الوالدين فهي في الأساس مدارس وأربطة تعليمية ومساجد، ثم إن هناك مساجد بالشحر ألحقت بها مدارس قرآنية، مثل:

ـ مسجد الجامع

ـ مسجد عبد الرحيم باوزير

ـ مسجد باهراوة باقرين

ـ مسجد بن جوبان

ـ مسجد باذييب

أما عن أمر التسميات فإن هذا الرباط قد أسماه مُنشأه (الرباط الشريف) ثم تغير إلى رباط الشحر ثم أصبح بعد عودته بأمر الشيخ عمر بن حفيظ (رباط المصطفى) كفرع لرباطه بحي عيديد من أحياء تريم والذي اسمه (رباط المصطفى).

إن إنشاء مثل هذه الأربطة هي في الأساس رغبة لدى العلويين في نشر تعاليمهم الخاصة وأفكارهم المميزة والذي دعا إليها وإلى فكرة إنشائها صاحب مجلة المنار الشيخ محمد رشيد رضا.

ولهذا سطا عليها التنظيم السياسي أو الجبهة القومية وجعلها مدارس وهي محاولة منه لإزالة الفوارق الطبقية والفئوية والمذهبية وما ينضوي تحتها من مختلف التسميات كالشعب المختار أو الآرية أو العنصرية أو التمايز الطبقي والفئوي.

إن هذه الأربطة شبيهة بما ابتدعته الدولة الفاطمية حيث أقامت المدارس وهم أول من فكر في ذلك وكان همهم الأول هو نشر تعاليم الفكر الشيعي بين المسلمين في دولتهم وقد تم القضاء على ذلك من قبل صلاح الدين الأيوبي رأس الدولة الأيوبية وجعل هذه المدارس لتدريس المذاهب السنية.

إن هناك من ذكر لي بأن الرباط لم يكن له مئذنة وهي في نظره من أهم عناصر المسجد، وكان رأيه غير صحيح فلم يكن لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مئذنة، ثم إن مسجد المدرسة لم يكن له مئذنة وقد أقيمت له تلك المئذنة في عام ١٩٨٥م، ولم يكن لمسجد الزاوية مئذنة إلا في العام قبل الماضي ١٩١٧م وكثير من مساجد الشحر الرئيسة لم يكن لها إلا ارتفاع يساوي الطابق الأول لمجمل المساكن في الشحر.

إن هذه الأسباب هي التي دعتني لأن أعتبر الرباط الشريف مسجداً طالما أنه تقام فيه الصلوات الخمس في جزئه الذي أعده قاعة شبيهة ببيت الصلاة في كل المساجد.

ثم ماذا عن صاحب مسجد الرباط الذي أسسه في هذه البقعة المباركة إن شاء الله، ونحن جميع الذين نحب أن نعرف شيئاً عن شخصيات المدينة وعلماءها ولن يخيب ظننا لو أننا بحثنا عن ترجمة لهذا الرجل ولعل أول كتاب صدر عنه هو كتاب عادل باعكيم تحت عنوان (عقود الجمان في ترجمة السيد عبد الله بن عبد الرحمن) وتلاه كتاب آخر من إعداد لجنة تشكلت لتأليفه وصدر تحت عنوان (فيوضات الشرف الأوفى في سيرة مؤسس رباط المصطفى) إضافة إلى إشارات عن الرجل في أكثر من كتاب ونشرة ومجلة محلية.

وهو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن الشيخ أبو بكر بن سالم وهو من مواليد مدينة الشحر عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) وعندما بلغ سن التمييز ألحقه والده بعلمة (كتّاب) الشيخ سالم سعيد بن حسينون حيث تعلم القراءة والكتابة وبها ختم القرآن العظيم، ثم التحق برباط الغيل للعلامة محمد عمر بن سلم وفيه درس الفقه والنحو، بعد ذلك شد رحاله إلى مدينة تريم والتحق برباطها المشهور الذي نهل فيه من معين المعرفة والعلم تحت رعاية أستاذه العلامة الشيخ عبد الله بن عمر الشاطري.

وبعد سنتين قضاها في رباط تريم كان خلالها مثالاً للورع والجد والاجتهاد والمثابرة، عاد بعدها إلى مسقط رأسه أستاذاً مربياً ومرشداً، فكان يعقد لأبناء حارته المجاورة (المجورة) مجلساً بعد صلاة العصر بمسجد جده الشيخ أحمد يفقههم في أمور دينهم ويهتم بأمور تخص سكان بلدته الشحر.

سافر في عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) إلى مدينة الرأس (كيب تاون) بجنوب إفريقيا بطلب من والده الذي كان مهاجراً هناك وأنجب طفلة طلب منه إعادتها إلى مسقط رأسه وخلال إقامته هناك جند للدعوة إلى الله لكن لم تطل إقامته هناك فعاد بعد مضي سنة واحدة.

وفي النصف من عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) اختير مديراً لمدرسة مكارم الأخلاق الأهلية خلفاً لمديرها السابق علوي حسين مديحج واستمر مديراً للمدرسة مدة تقرب من ثلاثين سنة حيث طلب إحالته للمعاش وتمت الموافقة على طلبه في ١٢/ ٢/ ١٩٥١م وكان قد طلب التفرغ للعمل في رباطه الذي سماه (الرباط الشريف) الذي افتتحه رسمياً في مطلع عام ١٣٧٠هـ (أولها ١٢ أكتوبر ١٩٥٠م) وذلك بعد أن سيطرت الدولة على المنشآت التعليمية

وجعلها الجميع تحت إشرافها وعين لها القدال سعيد القدال بأمر من المستشار المقيم آنذاك في حضرموت، وقد قام بنفسه بالتدريس في هذا الرباط يساعده طلابه المبرزون.

وقد بذل جهوداً لتطوير التعليم كما يشير إلى ذلك مترجموه وأضاف علوماً إلى المنهج الدراسي إلى مدرسة مكارم الأخلاق كما وضع لوائح تنظيم سير العمل بالمدرسة وأخرى للانضباط المدرسي والتأديبي أشار إلى ذلك الأستاذ أحمد عبد القادر الملاحي في كتابه المخطوط (المذكرة التاريخية) كما أشار الأستاذ القدال لبعض ذلك في الكتاب الذي وضعه ابنه الدكتور محمد سعيد القدال تحت عنوان (الشيخ القدال باشا معلم سوداني في حضرموت) فليطلع عليه من يريد الاستزادة.

توفي الشيخ عبد الله في ٢٣ شوال ١٣٨٤هـ الموافق ٢٤ فبراير ١٩٦٥م، وعاد الرباط إلى العمل بعد أن أخلي المبنى من السكان الذين سكنوا به جراء الأمطار وعاد إلى نشاطه التعليمي الإسلامي.

وللشيخ عبد الله رحمه الله مناشط أخرى منها تعميم بدعة قراءة قصة المولد النبوي في ليالي شهر ربيع ثاني والتي تعرف اليوم بمجالس الذكر عممها على جميع مساجد مدينة الشحر بعد أن كان مؤسسها السري قد جعلها إلى ليلة الثاني عشر من ربيع ثاني يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وجعل هذه الليلة احتفالاً بها في كل مسجد بالمدينة حيث تقرأ قصة المولد بشكل مختصر ويعقبها حديث لأحد دعاة الفكر الإسلامي من العلماء والدارسين.

ثم إنه عمل على إقامة الصلوات الخمس مرة واحدة بعد صلاة آخر جمعة من رمضان بمسجد جده أحمد وقد أبطلت الآن، وقد أصدر فتوى يرد بها على من قال إن صلاة الفروض

الخمسة التي تقام وتصلى في آخر جمعة من رمضان حرام، وقد بحثت طويلاً عن رده هذا، فلم أجنِ من بحثي شيئاً.

وقد كتب قصة المولد النبوي بعنوان (مفتاح الأنوار في مولد النبي المختار) وهي مطبوعة، وقد وضع عدداً من المؤلفات الصغيرة هي في الأصل مواد دراسية لتلاميذ مدرسة مكارم الأخلاق وتلاميذ الرباط الشريف وقد اعتنى بها صديقنا الأستاذ محمد علوي باهارون، وفي فصل ذكر كتبه الأخ عادل باعكيم في كتابه عقود الجمان بعنوان مؤلفاته فلينظر إليها من أراد الاستزادة، رحم الله الرجل.

٢١ـ مسجد النور:

يقع هذا المسجد في حي المحط وهو اليوم حي الثورة الذي يقع على شرق امتداد السالك من سدة العيدروس شمالاً، والحي هذا اكتسب اسمه من محط القوافل القادمة من حضرموت الداخل والذاهبة إليه ويسكنه البدو والعمال الذين يقومون بخدمة رجال القوافل وغيرهم وبه أسواق الحطب والفحم الخشبي وعلف الحيوانات وبه معاصر السمسم.

وقد ذكره المؤرخ مبارك صالح الأرضي في مدونته التاريخية قائلاً: (المسجد الذي بنوه برع السدة غلق الشغل فيه وفتحوه وطرحوا الماء في جوابيه من فاتحة شعبان عام ١٣٧٢هـ (١٥ إبريل ١٩٥٣م) ولقو مولد فيه ليلة الثلوث (الثلاثاء) ٢٨ شعبان (١٢ مايو) وطرحوا معلم فيه عبد الكريم موسى (الملاحي) من أهل المدرسة ومن أهل الوطن).

وسمعت أن فكرة بناء هذا المسجد في هذا الحي كان من رأي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبو بكر وهو الذي رشح تلميذه الشيخ عبد الكريم الملاحي معلماً له ولكن

الملاحي وكما نعتقد لا يحب الالتزام فأناب عنه الشيخ فرج أحمد بن نويصر معلماً للمسجد وفعلاً استلم إمامة المسجد منذ ذلك التاريخ وهو أيضاً أحد تلاميذ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن وسمعت أيضاً أن من تولى بناية المسجد هم أصحاب مؤسسة سالم عبد الرحمن باجرش.

وفي عام ١٣٨٥هـ (١ مايو ١٩٦٥م) أعيد بناء مسجد الجامع بالشحر من جديد وفي تلك الفترة توقف أداء صلاة الجمعة بهذا المسجد ووزع الناس لأداء الصلاة على خمسة مساجد هي:

- مسجد المدرسة بالسوق ويخطب فيه المعلم الشيخ عوض أحمد باحميش خطيب جامع الشحر الأساسي المتوفي يوم الأربعاء ١٩ ذي القعدة ١٣٩١هـ الموافق ٥/ ١/ ١٩٧٢م.
- مسجد مرشد ويخطب الناس فيه الشيخ سالم سعيد باقلاقل المتوفي بمدينة الشحر في يوم السبت ٢٨ محرم ١٣٩٣هـ الموافق ٣ مارس ١٩٧٣م.
- مسجد الشيخ عمرو ويخطب جمع المصلين فيه الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي ولكنه أناب عنه الشيخ سعيد محمد باداوود رحمه الله.
- مسجد النور بالحي الجديد (المحط) ويخطب المصلين فيه الشيخ سالم خميس حبليل المتوفي بالأردن ١٤ أغسطس ١٩٩٦م.

ولما استكمل بناء الجامع عادت جموع المصلين لأداء الصلاة بجامعهم الرئيس جامع الشحر إلا مسجد النور الذي واصل خطيب الجمعة فيه الشيخ سالم حبليل.

وكان الشيخ عوض أحمد باحميش خطيب جامع الشحر قد أصيب بمرض الفالج الذي أقعده ببيته لمدة سنة تقريباً فأقر أن يتحول الشيخ حبليل إلى مسجد الجامع ليخطب الناس هناك وقد توفي الشيخ باحميش رحمه الله في يوم الأربعاء ١٩ من شهر ذي القعدة ١٣٩١هـ (الموافق ٥ يناير ١٩٧٢م).

وقد تعدد خطباء مسجد النور في تلك الفترة القصيرة ومنهم الشيخ عبد الكريم الملاحي والأساتذة صالح عبد الله حنتوي وغالب عوض السعدي وخالد خميس باسويد ثم تم تكليف الشيخ فرج أحمد بن نويصر والذي استمر في عمله حتى قرب وفاته في يوم الجمعة ٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ الموافق ١٥/ ١١/ ١٩٨٥م.

وكان الشيخ بن نويصر لديه كتّاب في حي عقل باغريب وقد درست عليه بعد أن مررت على عدد من الكتاتيب الدينية وقد ختمت قراءة القرآن الكريم عنده واحتفلنا بذلك وأخذنا بالزف مع آخرين عصر ٢٠/ ٨/ ١٣٧٣هـ (الموافق ٢٤ إبريل ١٩٥٤م) وقد احتفل أهلنا بذلك في اليوم التالي ٢٥ إبريل حيث أقاموا وجبة غداء دعوا إليها الأهل والأقارب.

الشيخ فرج رحمه الله نقل كتّابه (مدرسته) إلى جزء من مسجده النور ونقل معه تلاميذه، لكني لم أستمر معه وفضلت الانفصال وأدرجت بمدرسة أخرى وهي (كتّاب عمر صالح بن منيف الشهير بلقب القصيّر) حيث استمر الدرس بها لمدة سنتين ثم التحقت بالمدرسة الشرقية التي كانت تعرف بمدرسة مكارم الأخلاق وذلك صباح يوم ١٦ رمضان من عام ١٣٧٦هـ الموافق ١٥ إبريل ١٩٥٧م.

وقد خلف الشيخ فرج كخطيب للمسجد شيخنا وأستاذنا بالمدرسة الشيخ عباس حامد الحداد وقد اعتذر لكبر سنه وأصبح عاجزاً عن صعود المنبر في هذا المسجد رحمه الله.

واستمر العمل بهذا المسجد كلٌ يقدم ما يستطيع لزيادة رقعة المسجد وتوسعته كنقل المئذنة وتأخير موقعها أو إدخال الجزء الخاص بزراعة المسجد إليه وإضافة مساجد النساء ثم جعل هذا المسجد في الطابق العلوي والمسجد اليوم كله بيت الصلاة دون أي صحن والميضاءة في الجزء الشمالي.

٢٢ـ مسجد الزاوية :

عند ذكر لجنة التنوير الثقافية بمدينة الشحر وهم الذين هداهم الله جلت قدرته وجعل تفكيرهم ينصب في إقامة مدرسة نظامية عالية على مستويات الكتاتيب المنتشرة بالمدينة أسوة بمدارس تدعى بالأربطة في كل من تريم وسيئون ودوعن وغيل باوزير وإشارة إلى بعث المدرسة الأهلية (البدرية) التي أنشأها السلطان بدر بن عبد الله الكثيري في هذه المدينة عام ٩٥٩هـ (١٥٥١م) في زمن حكمه، وكان من هؤلاء الذين انضموا لهذا الفوج الذين اختاروا لهم اسم (الحزب الوطني) الشيخ سليمان بن عبد الله عفيف الشحري الذي يسكن بيته إلى الجنوب من مسجد الشيخ أحمد عمر الذيبي.

كان الشيخ سليمان أحد تجار الشحر المغتربين في شمال بلاد الصومال أي في الصومال البريطاني، وأهم مدنه (بربرة) ولما عاد إلى مسقط رأسه مدينة الشحر واستقر فيها اشتهر بين الناس عامة أنه هو الذي أسس (الطريقة الأحمدية) فقد وهب قطعة أرض بها مبنى خرب من امرأة من أسرة آل شيبان الحضرمية وهو يفكر في جعل هذه القطعة مناصفة بين أهل الطريقة والجزء الآخر للتعليم.

ثم إنه توفي رحمه الله في ٢٥ شعبان ١٣٤٥هـ (٢٧ فبراير ١٩٢٧م) ويقال إن المؤسس الشيخ عفيف أسس هذه الطريقة البدعية بمسجد الشيخ الذيبي القريب من مسكنه (انظر هذه المسألة والتأسيس بكتابنا المكتبة السلطانية بالشحر) واستمر أداء هذه الطريقة حتى تمكن من شراء تلك البقعة التي كان بها بناء خرب من طول العهد وجعل هذه القطعة مناصفة بين أهل المدرسة والطريقة التي نقلها من مهجره مدينة (بربرة) الصومالية وهذا ما هو منتشر بين أهالي مدينة الشحر وما سمعناه منهم.

لكن الأستاذ علي حسين المقدي يتفرد برأي آخر نشره في كتاب (مدرسة مكارم الأخلاق التاريخية، منهج وأسلوب إدارة) ـ الذي صدر عن مكتب التربية والتعليم بمحافظة حضرموت ـ فيقول: (يذكر المؤرخون بأن السلطنة القعيطية قامت ببناء مقر للطريقة الأحمدية على يد سليمان عبد الله بن عفيف الذي تحمل أكثر نفقاتها في الموقع المعروف اليوم بمسجد الزاوية، القائمون على الطريقة الأحمدية آل وبير وعلى تسيير المسجد وكان ذلك على عهد حاكم الشحر الأمير سالم بن أحمد القعيطي) ص ٨٩.

وبهامش نفس الصفحة تقريباً قال: (عرفت في مدينة الشحر قبل مائة وخمسة وعشرين سنة تقريباً على يد الشيخ أحمد بن إدريس وهو من بلاد المغرب إذ حط رحاله في مدينة الشحر بعد ذلك تم تأسيس الزاوية الأحمدية على يد الشيخ محمد عبد الرحمن رشيد وهو من السودان حيث جاء إلى الشحر داعياً إلى الله وفي الشحر التقى بالشيخ سليمان عفيف الذي يسكن بجانب مسجد (باذيب) وبعد سفر الشيخ رشيد استمرت الطريقة الأحمدية في الزاوية على يد الشيخ عفيف وهكذا حتى يومنا هذا ولا زالت مستمرة والقائمين عليها من أسرة آل

وبير) وأضيف عليهم الشيخ عبد الله أحمد بن تمام رحمه الله وكانت تمارس طقوسها بمسجد باذييب بعد مغرب الاثنين من كل أسبوع.

وكان آل الكاف راغبين في شراء الباغ (بستان) من السلطان عمر بن عوض القعيطي وقد آل إليهم ذلك المكان الذي يقع بالجزء الشرقي من مدينة الشحر بعد مفاوضات طويلة أيام السلطان عمر ونائبه في الشحر الأمير سالم بن أحمد القعيطي عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) وأرغمت إدارة مدرسة مكارم الأخلاق ومدرسيها وطلابها على الخروج وإخلاء المبنى للمالك الجديد من آل الكاف وهيئ أولاً جزء من بيت سالم جابر المجاور لحصن عزان المشهور اليوم بدار بوبك، ثم هيئت غرف الطابق الأول من حصن بن عياش لنقل المدرسة إليه ويبدو أن هناك قد كثرت البلبلة حول إخلاء المبنى والإساءة إلى التعليم وناسه ممثلاً في المدرسة مدرسة مكارم الأخلاق والإدارة والمدرسين وطلابهم، ونعتقد أن هذه قد وصلت إلى آل الكاف العلويين أنفسهم فتكفلوا باستخراج فتوى مفادها بالإمكان جعل مبنى آل شيبان المشترى من قبل الوجيه الشيخ سليمان عفيف مخصصاً لأهل العلم إي لمدرسة مكارم الأخلاق، على أن يبنى لأهل الزاوية مبنى آخر، وربما وصلت هذه الفتوى بواسطة آل الكاف إلى السلطان عمر الذي وجه نائبه على الشحر الأمير سالم بن أحمد بخط قطعة أرض لأهل الزاوية.

وقد خرج النائب بنفسه لخط البقعة وهي اليوم مسجد الزاوية ونعتقد أن آل الكاف تابعوا هذه المسألة بتحويل المساحة كاملة إلى مدرسة هي محاولة منهم لتعويض أهل العلم وما

لاقوه من تشتيت بعد إخراجهم عنوة من باغ السلطان، وترضية لهم وحتى لا يقال إن آل الكاف يرعون العلم والتعليم في تريم ولا يراعونه في مناطق أخرى.

وكان الأمير سالم بن أحمد من أسرة آل القعيطي ومن مواليد حيدر أباد بالهند وهو صهر السلطان عمر الذي عينه حاكماً على مدينة الشحر نائباً عنه فمكث مدة أربع سنوات ثم عينه وزيراً له بعد أن أقال وزيره السابق أبو بكر بن حسين بن حامد المحضار أواخر شهر ذي القعدة ١٣٥٢م (مارس ١٩٣٤) واستمر وزيراً حتى توفي السلطان عمر بالهند في يوم ٤ من شهر ذي الحجة ١٣٥٤هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٣٦م فزج السلطان الجديد صالح بن غالب بالوزير سالم بن أحمد في السجن وصادر أمواله.

وغاية الأمر أن المبنى الذي رعته الدولة القعيطية وجعلته لأهل الطريقة الأحمدية ما زال على نفس المكان المخطط له ولكن علينا أن نقف قليلاً كي نعلن للجميع أن المبنى قد أمم من قبل السلطة المحلية أيام حكم التنظيم السياسي الجبهة القومية، وقدم لأعضاء فرقة الرقص الشعبي بالمديرية وقد استمر العمل بالتدرب على نشاط الفرقة والتمارين الراقصة الشعبية المحتشمة حتى عادت الأمور إلى نصابها منذ أول أيام الوحدة اليمنية.

والملفت للنظر أن يقدم مغربي وسوداني وحضرمي على إقامة هذه الطريقة بالشحر، إن الأمر لم يكن من السهل أن يمر علينا هكذا ودون أن نطرح فيه رأينا فالأمر كما نرى أن التصوف ورجاله سعوا إلى نشر مثل هذه الطرق الصوفية المختلفة الأشكال وقاموا بمحاولات عديدة لنقلها إلى كل مكان وتصديرها متعمدين ذلك، ويقابلنا في هذه المسألة ما جاء ذكره في كتاب الشهداء السبعة بعد أن عدد المساجد بالمدينة والمدارس الملحقة ببعض

هذه المساجد قال ما نصه: (إضافة إلى مدارس (تعرف بالزوايا) تقدم دروساً في الفقه واللغة كزوايا باغشير وباعامر وباعديلة وبابهير وباهارون) ص٤٩، ويضيف الأستاذ في مكان آخر من كتابه عن الزوايا والحوط بالشحر من خلال بيت شعر للشيخ عمر عبد الله بامخرمة:

فضه أنها ضاقت خلاف الذي حب ضاقت الشحر حد الضيق وأمسيت مـذهب
دور فيها وشرق في حوطها وغرب حين حنت ركاب الركب ذي كنت مصحب

وقد وصل إلى سمعي بأن لا أدرج هذه الزوايا إلى مساجد الشحر فهي لم توقف كمساجد بل وُقفت للطرق الصوفية تنشد فيها الابتهالات والأدعية والأذكار بطرق مختلفة ولكني لم ألتفت إلى هذه الآراء فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) فالأرض كلها طاهرة إلا ما تيقنا من نجاسته، وعلى هذا الحديث فإن هذا المعلم تقام فيه الصلوات الخمس وأخيراً رفعت له مئذنة تعلن عن دخول وقت الصلاة، هذا الرأي أسوقه ولدي من الحجج الكثير فهل نستطيع أن نقول مثل هذا عن مسجد المدرسة الذي أنشأه الشيخ ناصر بن الشيخ علي بن هرهرة وماذا سنقول عن مسجد الرحمة وماذا سنقول عن رباط الشحر ومسجد بر الوالدين التي كانت نشأتها مدارس إسلامية يدرس بها القرآن والحديث والشئون الإسلامية إضافة إلى إقامة الصلوات الخمس والأذان كأي مسجد آخر.

رجعنا فيما كتبناه إلى الآتي:

ـ عبد الله حداد، المكتبة السلطانية بالشحر.

ـ علي حسين المقدي، مدرسة مكارم الأخلاق.

ـ مدرسة مكارم الأخلاق ثمانون عاماً من العطاء والجهد.

ـ ابن هاشم، رحلة إلى الثغرين.

٢٣ـ مسجد عيديد للنساء :

هذا المسجد الصغير خاص بالنساء ويقع بحي عقل باعوين جنوب مسجد عبد الله بن شيخ العيدروس وبالجانب الشرقي من مسكنه وأسرته، وهذا المسجد لم يذكره المؤرخ عبد الله باحسن في كتابه النفحات وبالقسم الخاص بمساجد الشحر ولم أجد له ذكر في وثائق عبد الخالق يسر اليزيدي ولا وثيقة طاهر علي الأرضي وقد جاء ذكره في وثيقة سالم هلال الحبشي وأحمد عبد القادر الملاحي باسم (مسجد النساء) ولهذا لا نعلم عن مؤسسه شيئاً ولكنه من مساجد القرن الثالث عشر الهجري ومن أيام الدولة البريكية على الشحر وأحباطها.

ثم اطلعت على بعض وثائق أملاك أسرتي أسرة الجد سعيد عوض حداد فوجدت الآتي:

١ـ وثيقة مؤرخة في ٢١ ربيع ثاني ١٢٢٥هـ عليها صحيح قاضي الشحر الشيخ عمر حسين مدهر.

٢ـ وثيقة مؤرخة في ٢٦ ربيع ثاني ١٢٢٦هـ عليها صحيح قاضي الشحر الشيخ عمر حسين مدهر.

٣ـ وثيقة مؤرخة في سلخ شعبان ١٢٥٨هـ عليها صحيح قاضي الشحر الشيخ عقيل زين بن محسن مدهر.

وتفيد الوثائق انتقال ملكية أحد المساكن من مالكه الأول عبد الله بن الشيخ علي ناجي بن عمر بن أحمد بن بريك، وتفيد الوثيقة الثالثة شراء المالك الجديد للمسكن قطعة أرض قبلي (غرب) مسكنه، وكل الوثائق تؤكد بأن المسكن والقطعة المجاورة يقعان شرقي مسجد الشيخ محمد عبد الله عيديد، ويلاحظ أن البائع للقطعة الجديدة هو كما جاء في الوثيقة (٣):

(السيد عبد الله ابن أحمد بن زين بن عوض عيديد حال كونه نائباً على مسجد سيدنا الشيخ علي بن أحمد عيديد ومسجد سيدنا الشيخ محمد بن عبد الله عيديد البائع المذكور عنه وعن السادة آل عيديد وذلك في مصالح المسجدين).

وهناك وثيقة أخرى رسمية بتاريخ ١٥ ذي القعدة ١٣٦١هـ عليها صحيح قاضي بندر الشحر سالمين سعيد عبد الله شطر، تفيد بأن البيت كان من نصيب بعض أفراد أسرة المرحوم عوض سعيد حداد المتوفي بالشحر بعد عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) بعد أن آل البيت إلى ملكه بالشراء، ولكن الوثيقة تذكر بأن البيت المذكور يحده قبلياً (غرباً) مسجد الشيخ أحمد عبد الله عيديد.

وبالرجوع إلى المهندس محمد أحمد عيديد مهندس كهرباء خمس مدن شرق الشحر أشار بأنه يمكن الرجوع إلى عمه حسين أحمد عيديد ببلدة الحامي أو ابنه أحمد بن حسين المدرس حالياً برباط الشحر، وكان ذلك يوم الاثنين ٢٢ من شهر نوفمبر عام ١٩٩٤م، وأضاف بأنه يعتقد بأن اسم صاحب المسجد أحمد بن عبد الله عيديد، ولم يكن لنا حاجة بالسؤال بعد أن تأكد لنا اسم صاحب المسجد من خلال الاطلاع على السجل رقم (١) من سجلات إدارة الأوقاف بالشحر بأن اسمه (أحمد).

وقد قام بتجديد بناية المسجد توسعته الشيخ مصطفى الموسطي وهو أحد أهالي الشحر القادمين من المهجر بالكويت بعد غزو الكويت وأحداث الخليج العربي عام ١٩٩٠م.

وقد شملت التوسعة بعد إعادة بناء الجزء القديم من المسجد الذي يشكل بيت الصلاة، الأجزاء من الجهة الشمالية والجنوبية وجزءاً صغيراً على طول الإضافة من الناحية الشرقية

وكانت نهاية البناء، وكان بناء متيناً من الحجر والاسمنت ولعل أهم ميزة لهذا المسجد أنه بدون مئذنة منذ نشأته الأولى وهو خاص بالنساء.

إننا لا نعرف شيئاً عن صاحب المسجد الشيخ أحمد أو محمد بن عبد الله عيديد ونأمل أن نطلع على شجرة العائلة للعلامة محمد بن سالم عيديد وهي مجردة لأنساب آل عيديد.

٢٤ـ مسجد إسماعيل :

جاء ذكره عند المؤرخ عبد الله باحسن في كتابه (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) باسم مسجد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم السقاف وقال: (ويقال له مول الطار وهو مسجد مبارك بحارة المجرف على مكان عال شارف على البحر) ويقع المسجد غير بعيد عن مسجد الشيخ سعيد عمر بالحاف بحي الصيادين بحارة المجرف أحد أقسام مدينة الشحر وهو إلى الشرق من مسجد بالحاف وعلى ساحل البحر وقد عرفت المسجد كومة من الطين والحجارة بمعية شيخ الرواة عوض سالم عبدن الشحري المتوفي في ٣ إبريل ١٩٩٠م، وقد دلني على أجزائه وميضأته وبئره المدفونة، وهو كما جاء عند المؤرخ باحسن مسجد إسماعيل إبراهيم السقاف والد الشيخ شيخ إسماعيل وجد أبو بكر بن شيخ بن إسماعيل (انظر مساجدهما)، ويقول باحسن أيضاً: (وقد توفي صاحب المسجد بالشحر ودفن بتربة الشيخ سعد الدين الظفاري ولم نؤرخ وفاته، ولم يبق من هذا المسجد إلا أحجاراً وقد تهدم بفعل الزمن ولكونه قرب البحر فلعل للرطوبة والأملاح الدور الأكبر ولكن ملامح بناء المسجد لا زالت باقية إلى اليوم).

وقد تبنى إعادة بناء المسجد جمع من أهالي الخير وعرفنا منهم الوجيه قائد الشرطة المدنية بمدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة عمر علي كعيتي وقد درس بجمهورية مصر العربية وعمل قائداً للشرطة بالوطن قبيل الاستقلال في نوفمبر ١٩٦٧م ثم غادر البلاد إلى الخليج العربي ليعمل هناك بالشرطة وقد كلف أخاه الشيخ عوض الساكن بالشحر بتجديد العمارة واستكمالها وقد اكتملت ولله الحمد في عام ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩م.

ولقب صاحب المسجد أو المسجد نفسه (مول الطار) يثير الدهشة ويجعلك في حاجة للسؤال فالطار هو (الإطار) أو (الدف) الذي يستعمله حداة الطرائق الصوفية بجلاجل أو بدون جلاجل فهل كان الرجل من رجال الصوفية وكان يهمه أن تضرب الطارات في مقامه؟ ربما هذا!

وهناك شخص آخر بالقرب من المسجد أو هو غير بعيد عنه قال باحسن: (وقبره مشهور يزار ويتبرك به وهو على ربوة عالية مشرفة على البحر بحارة المجرف، بل سمعت أنه متكفل بحماية الشحر من الجانب البحري رحمه الله). ووصفه بأنه الشيخ المرشد أحمد بن أبي بكر الشهير بصاحب الغربان ولم يعرف نسبه، والغربان هي السفن الحربية ومنها يتكون الأسطول الإسلامي للدولة الفاطمية وما بعدها حتى الدولة العثمانية، وهي المعروفة عندهم باسم الغربان ومفردها الغراب وتطلق على السفن الشائعة باسم شانية. (انظر كتابنا الشواني رقصة شعبية حضرمية).

وقد هاجم البرتغاليون الشحر بهذه السفن ومن جاء بعدهم ولم يأتِ هذا الاسم في كتاب الشهداء السبعة إلا باسم الغراب والغربان ولم يذكر اسم الشوان أو الشوّاني جمع شونة أو شيني.

أما عن لقبه صاحب الغربان فقال باحسن: (كما أخبرني من أثق به قال إن الإفرنج لما قصدوا الشحر في ذلك الزمان ولعله زمن السلطان الأمجد بدر بن عبد الله الكثيري رحمه الله وقصدهم تملك الشحر أو الإفساد بها وكان وصولهم في الغرابات البحرية وهي سفن كبيرة وذلك في حياة الشيخ أحمد المذكور فقال نفع الله به أنا أكفيكم شرهم، فتصرف فيهم الشيخ بإذن الله تعالى ورجعوا من الشحر خائبين، وإلى ذلك أشار الوجيه عبد الرحمن باكثير رحمه الله في وسيلته بقوله:

وبصاحب الغربان أحمد الذي بسهامه جيش الأعادي يخذل)

وللشك طريقه في تصديق هذه المسألة وللسؤال أيضاً فما هي العلاقة بين الغربان وضرب الطار ثم إن عليه ألا يورد مثل هذه الأكذوبة كمؤرخ فهي تعتمد وتؤكد دور الاتكالية في الأعمال دون الالتفات إلى حث الله سبحانه وتعالى الإنسان على العمل والأخذ بالأسباب، ثم إن الخبر من أساسه ينفي دور المقاومة مقاومة الإنسان ضد ذلك الغزو البرتغالي الغاشم (انظر كتاب الشهداء السبعة).

رجعنا في هذا إلى:

ـ النفحات المسكية لباحسن، المطبوع والمخطوط.

ـ وثائق سالم هلال الحبشي.

ـ وثائق أملاك أسرتي الجد سعيد عوض حداد.

٢٥ـ قبة علي بن حسين :

يقع هذا المسجد في الحي المعروف سابقاً بحي المقد لكنه اليوم يعرف بحي الحوطة، وبالتحديد يقع في الركن الشمالي الغربي من المدينة وعند نهاية امتداد السور أفقياً وحتى انعطافه في امتداده إلى جهة الجنوب تقريباً، وهو لا يبتعد كثيراً عن قبة عبد الله بن أسعد اليافعي المعروفة اليوم بقبة مزروع، وعلى هذا فهو يقرب من الركن الشمالي الغربي من السور المضروب حول مدينة الشحر ولا يفصله عن السور إلا منازل آل البيض الذين ينحدر صاحب المسجد منهم.

وقد ورد اسم المسجد هكذا (قبة علي بن حسين البيض) في وثائق المحامي طاهر علي الأرضي المتوفي بالشحر في ١١ مايو ١٩٧٨م، ووثائق الراوي سالم هلال الحبشي المتوفي بالشحر في ١٩٧٩/٢٣١م ولم يرد اسم المسجد في مذكرة الشيخ أحمد عبد القادر موسى المتوفي بمدينة غيل باوزير في ٢٠٠١/١١/١٤م وذلك في مذكرته التاريخية عندما عدد مساجد الشحر في شهر شعبان ١٣٧٨هـ الموافق نوفمبر ١٩٦٧م.

قال المؤرخ الشاعر عبد الله محمد باحسن في الباب الثاني من كتابه (النفحات المسكية): (ومسجد علي بن حسين البيض وهو جد سيدنا علي بن حسين المار ذكره) أي علي بن حسين بن علي بن حسين بن عوض بن عبد الله البيض، وقد ترجم هذا الحفيد ثم أكثر من ذكر كراماته فيما يزيد على ثلاثين صفحة، وقال أنه توفي بمدينة الشحر في شعبان ١٢٨٢هـ (نوفمبر ١٨٦٥م) في حين يذكر محقق كتاب شمس الظهيرة أن وفاته في عام ١٢٧٦هـ الموافق ١٨٥٩م، وجاء على ذكر ابنه حسين بن علي وقال أنه توفي صغيراً.

وباحسن هنا يترجم لعدد من آل البيض العلويين الذين دفنوا في مقبرة الشيخ شيخ بن إسماعيل (انظره هنا ومسجده) ذلك بعد أن استقر أن تكون هذه المقبرة مدفن لموتاهم وممن ترجم لهم جد صاحب المسجد الشيخ عوض بن عبد الله البيض الذي قال عنه: (كان أعجوبة زمانه وندأ بين أقرانه تفرد بمقام الزهد والعبادة فحاز جميل الثناء وكمال السعادة وتوفي سنة ...) ولم يذكر تاريخها ولم يترجم صاحب المسجد ولا أباه ولم يزد عند ذكر المسجد على أن قال : (وتقع حضرته ليلة كل سبت بعد العشاء).

ونستطيع القول إنه أدرك ولو جزءاً يسيراً من القرن الثالث عشر الهجري وهو غير علي بن حسين الذي وصفه محمد ضياء شهاب في تعليقه على شمس الظهيرة وهو الشيخ المعمر الذي قابل القاضي أبو بكر بن أحمد الحبشي عند زيارته لحضرموت عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) قادماً من مسقط رأسه مكة المكرمة.

وأشار المؤرخ باحسن إلى القبة وقال: إن القبة كانت في الأصل مسجداً صغيراً ينقطع فيه صاحبه الذي أسسه في حياته للعبادة فعرفت بقبة علي بن حسين ثم صارت إلى ما هي عليه الآن، وقد لاحظت في زيارتي لهذا المسجد أنه مكون من جزء مسقوف هو بيت الصلاة وآخر في الناحية الجنوبية هو صحن المسجد وللمسجد بئر ينزح ماؤها للميضاءة التي تتكون من بركة واحدة صغيرة وأخرى مكشوفة هي ما نعرفها بالمغمس، وقد بدأ أحد رجال الخير بإعادة البناء والتوسعة من الناحية الشرقية ولم يستكمل البناء وتدل لفظة (القبة) على شكل المسجد عند تأسيسه أي على شكل قبة أو تعلو بيت الصلاة قبة لا نعلم شكلها ولا حجمها واليوم فإن سقف المسجد مسطح وعادي.

رجعنا في هذا للآتي:

ـ النفحات المسكية لباحسن، المخطوط والمطبوع المحقق.

ـ محمد ضياء الشهاب، تحقيق وتعليق على كتاب شمس الظهيرة.

ـ مذكرة أحمد الملاحي، مخطوط.

ـ وثائق سالم هلال الحبشي.

الفصل الرابع

مسجد الأوابين :

هذا المسجد وبهذا الاسم هو المسجد الوحيد الذي تم بناؤه كاملاً في الفترة التي تلت الاستقلال في جنوب الجزيرة العربية في الجنوب كله، وكان ذلك في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م وحتى قيام الوحدة اليمنية ١٩٩٠م، وهو المسجد الوحيد الذي أقيم في تلك الفترة وقوامها ٣٣ سنة.

وقد سمي بهذا الاسم رفضاً للرأي السائد منذ أن بدأت بنايته باسم (مسجد الرابطة) والرابطة المقصودة هنا هي حزب رابطة أبناء الجنوب العربي والذي لم يلق رواجاً ولا شعبية لأسباب ليس هذا مكانها.

ولو ألقى أي منا نظرة إلى أعلى محراب المسجد سيرى أنه كتب (كملت عمارة المسجد في رمضان ١٣٨٧هـ) وهو يوافق شهر ديسمبر ١٩٦٧م، وقد أسسه الشيخ عبد الله بن عبد الله باشعيب، وهو أصلاً من أهل مدينة تريم وأصول الأسرة من قرية الواسطة وقد سكن أخيراً مدينة المكلا، وينسب لهذه الأسرة النشطة دينياً، وقد عرف عنه الخير والصلاح وكان كثيراً ما يتردد على مدينة مكة المكرمة وفيها جمع كثيراً من الأموال من أهل الخير ومن المؤسسات الخيرية فأنشأ عدد من المنشآت الخيرية عرفنا منها ما أقامه بمدينة الديس الشرقية والشيخ هو الذي أطلق اسم الأوابين على هذا المسجد فكان نعم الاختيار وبيدي الآن أربع رسائل كلها صادرة عن المجلس العالي بالمكلا إلى رئيس الجمارك مؤرخة:

الأولى في ٢/ ٧/ ١٣٨٦هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٦٦م .

والثانية مؤرخة ١٣/ ٧/ ١٣٨٦هـ الموافق ٢٧/ ١٠/ ١٩٦٦م .

والثالثة مؤرخة ٢١/ ٨/ ١٣٨٦هـ الموافق ٤/ ١٢/ ١٩٦٦م .

والرابعة مؤرخة ٢/ ٢/ ١٣٨٧هـ الموافق ١١/ ٥/ ١٩٦٧م .

وكلها تتعلق بالإعفاء من الضريبة الجمركية لكميات من قراطيس الإسمنت والأخشاب لبناء المسجد الذي تدعوه الرسائل بمسجد المحط (حي المحط بالشحر) إلا الرسالة الثانية وهي ورود مكينة ماء إلى ميناء المكلا عن طريق الشيخ عبيد عبد الله باشعيب لمسجد المحط، وكل المعونات عن طريق هذا الشيخ وإشراف كل من نائب وقاضي لواء الشحر، وقد عرف هذا الشيخ في آخر أيامه شيخاً وقوراً تشع من محياه وهيئته التقوى والصلاح، وقد سكن برباط الحضارم بمكة يتردد أغلب يومه على المسجد الحرام وهناك توفي في العشر الأخيرة من القرن الهجري الرابع عشر، وهي العشر الأخيرة من ذي الحجة ١٣٩٩هـ الموافق نوفمبر ١٩٧٩م.

وفي لقاء حضره جمع من الأهالي بمدينة الديس الشرقية بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٥م على رأسهم الشاعر سالم محمد مفلح والوجيه الشيخ مبارك سالم باسميطة، عرفنا فيه عدد من المنجزات والمشاريع الخيرية التي أقامها الشيخ عبيد باشعيب الذي تردد على مدينة الديس ساكناً عند الشيخ عبد الله عوض باشعيب، ومن هذه المشاريع إقامة برك ماء الشرب في المناطق المختلفة من المدينة وهي:

- جابية النور
- جابية باكريت
- جابية الغريفة
- جابية الحبش.

حيث اشترى اثني عشر قيراطاً من ماء معيان (الصيق) وجعله صدقة توزع على هذه البرك للشرب وكانت بالديس بركة واحدة يستقي منها الجميع عرفت بجابية المحضار، ثم قام بمد القصب من معيان العطية إلى محلة (خلفه) ثم واصل مدها إلى ميناء (القرن) على الساحل العربي.

١ ـ ومن مشاريعه أيضاً مسجد الحبش وكذلك مسجد باكريت وهو مسجد خاص بالنساء.

٢ـ وله مشاركة في ترميم مسجد (بن عصيدة باوزير) ومسجد جامع الديس ومسجد أحمد بن علي.

٣ـ وقد أنشأ على أرض الوقف سوقاً بها عدد من الدكاكين وسوق للسمك وجعل الطابق العلوي منها وقفاً على المساجد.

٤ـ وأقام بناء من ثلاثة طوابق جعله مدرسة وقد حول البناء بعد الاستقلال بيتاً للسكن.

٥ـ وقد أشار الشاعر سالم مفلح رحمه الله بأن الشيخ كان يقدم قروضاً للمحتاجين بدون فوائد ولكن الوجيه محفوظ سالم بسيس قال إن بيته كان مرهوناً عند الشيخ باشعيب يدفعون عليه إيجاراً، وأشار الوجيه أبو خلدون بأنه التقى بالشيخ عبيد في البيت الخاص برابطة الحضارم عام ١٩٧٦م وقال إن مشاريع المياه كانت في الخمسينات.

وأضاف الشاعر مفلح الملاح بأن الصدف قد ساقته إلى ميناء مصوع بارتيريا وكان بها الشيخ التاجر باخشب ربما قال محمد أحمد باخشب والسلطان صالح بن غالب القعيطي وتقدم بعض من أهالي الديس بعريضة لغرض المساعدة في مشروع المياه، فقدم التاجر المحسن باخشب قصب المياه وأدوات البناء وقدم السلطان صالح الإعفاء من الرسوم الجمركية والأراضي المقام عليها المشاريع.

والشيخ المحسن باخشب أحد التجار الحضارم المحسنين بالمملكة العربية السعودية، هذا ما جاء عند الإخوة أهل الديس وتم تسجيله من تلك الجلسة.

نشر الأستاذ محمد علوي باهارون مقالاً ـ بالعدد (١٥١) من مجلة شعاع الأمل الصادرة في شهر نوفمبر ٢٠١٤م ضمن سلسلة درج على نشرها بها تحت عنوان (من مراجيح الحضارمة) ـ عن الشيخ عبيد عبد الله باشعيب جاء فيه ما نصه: «من أشهر مراجيح الحضارمة في القرن الرابع عشر الهجري الشيخ الفاضل المحسن الأريب عبيد بن عبد الله بن هادي باشعيب الذي ضرب بسهم وافر في الأعمال الخيرية والمسابقة إلى الخيرات.

وهو من أهالي مدينة تريم، ولد ونشأ بها تحت كنف والديه وفي ربوعها درج أيام الصبا والشباب كارعاً من علوم فقهائها في رباط تريم العلمي تحت رعاية شيخه العلامة عبد الله بن عمر الشاطري المتوفي سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م).

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين الحج والعمرة واستقر بمكة المكرمة متردداً على حضرموت حتى توفي بمكة في العشر الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وكان مقيماً بمكة ما قبل عام ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) وله تعلق برجل البر والإحسان الشيخ محمد بن عوض بن لادن كما يشير إلى ذلك العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في كتابه إدام القوت، وكان الشيخ محمد بن لادن يشاركه في جميع أعماله الخيرية ويقدم له ما تجود به نفسه السخية وكان السبب الرئيسي في إقامة تلك المشاريع الخيرية ونجاحها، عليه رحمة الله».

ورغم أننا نلاحظ اختلاف الرواة في اسم المحسن الذي دعم الشيخ باشعيب فإننا نعلم أن الرجلين لهما أيادٍ طوال في أعمال الخير في أماكن كثيرة وبلدان وقرى في حضرموت.

مصادر البحث:

ـ رسائل مجلس القضاء العالي.

ـ لقاء مع أهالي الديس الشرقية.

ـ مقالة الأستاذ محمد عبد الرحمن باهارون ـ مجلة شعاع الأمل العدد ١٥١ .

الفصل الخامس

نشر الأستاذ خالد يوسف الهندي ـ وهو من أهل الشحر ـ كتابه (الشحر حضارة وتاريخ ومعلم) في ٢٠١٥م، وهو شاب مجتهد محب لبلده، وقد أفرد الباب الخامس من كتابه للمساجد والأربطة فجاء فيها بين الصفحات ١٢١ ـ ١٤٣ وقد كفانا مؤنة البحث عن المساجد التي شيدت بعد عام ١٩٩٠م وسوف أعتمد عليه كلياً في رصدها وتعدادها لكن لي حق الإضافة والتصحيح فيما لو وجدت هناك اختلاف حول بعض المعلومات عن هذا المسجد أو ذاك، وله مني ومن كل المحبين الشكر الجزيل على الجهد الذي بذله ويبذله في سبيل التعريف بمسقط رأسه الشحر وما تحتويه من نشاطات تاريخية وثقافية.

ولن أقف طويلاً عند هذه المساجد لأسباب أحتفظ بها لنفسي، فقد كان أهل الشحر ومن يمت لهم بصلة يظنون بل يعتقدون أن السلطة الحاكمة في الشحر وفي عموم البلد لن تسمح لأي جهة كانت ببناء مسجد جديد ولكن بعد عام ١٩٩٠م ـ وهو عام الوحدة بين البلدين جمهورية اليمن الديمقراطية الجنوبية والجمهورية العربية اليمنية ـ هبت بعض الدول والأحزاب والجمعيات والفئات والجماعات والأفراد تتنافس في بناء المزيد من المساجد داخل المدينة وخارجها، وربما يقف خلف كل ذلك أهداف سياسية وأغراض ملتوية ولأننا لم نستطع أن نتعرف على تلك الأهداف وظلت سراً عنا، فضّلنا أن نقف عند تعداد تلك المساجد والتعريف بها وترك الفرصة للجيل القادم ليقول كلمته حولها والزمن كفيل بتوضيح ما نظنه وأملنا في الكل الخير.

١ـ مسجد الرحمة :

أنشأ هذا المسجد الشيخ علي سعيد سرور السعيدي وهو من مواليد مدينة الشحر، وبمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية كانت وفاته (١٣٤٥ ـ ١٤٣٧هـ) (١٩٢٦ ـ ٢٠١٥م) وكان قد كلف صديقه الشيخ علي سالم منصور (١٩٢٤ ـ ١٩٨٩م) بالإشراف على بناء المسجد، وقدم الشيخ السعيدي كل ما من شأنه إكمال المبنى وعلى نفقته الخاصة، وكان الاثنان زملاء دراسة ثم زملاء عمل بحقل التدريس وكانا عضوين رئيسين في جمعية التنوير، وكانت الجمعية ترى أن هناك ما ألحق من زيادات في النشاط الإسلامي لم يكن أساساً من الإسلام في شيء وهم يقصدون ما يمارسه المتصوفة في حضرموت والشحر على وجه الخصوص من زيادات لم ترد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من خلفائه وممن جاء بعدهم، وفي كتابي (المكتبة السلطانية ترجمتها).

وقد رُشِّح الشيخ عبد الله بن فيصل الأهدل إماماً لهذا المسجد ويبدو لي أنه يعتقد ويعتمد تعاليم الإمام محمد بن عبد الوهاب الدينية، وهم الذين يطلق عليهم البعض (الوهابية)، وعلمت أن من تعاليمه أنه يحاول أن يعود بالإسلام النقي ورفض ما لحق به من بدع وإضافات أدخلها من لهم أهداف غامضة وقد نجح فيما يراه وانتشرت دعوته إلى التوحيد، ولا يميل إلى تعاليم الأشعرية في الاعتقاد.

وقد أقيمت صلاة الجمعة به لأول مرة بتاريخ ١ جمادى الآخرة سنة ١٤١٥هـ الموافق ٤ نوفمبر ١٩٩٤م وخطب الناس وأمهم الشيخ الأهدل المرشح الجديد للمسجد، وقد حضر جمع كبير من المصلين من أهالي مدينة الشحر من شأنه أن يخفف الضغط على مسجد النور

بالأخص حيث تكثر به زحمة المصلين للجمعة ويصلي جزء كبير منهم خارج المسجد وفي الشمس، وعلى واجهة المسجد الشمالية لوحة فضية عليها تاريخ تأسيس المسجد ونصها:

تأسس في الأول من محرم عام ١٤١٠هـ .

بسم الله، وبعونه تعالى وتوفيقه قام الشيخ علي سرور السعيدي ببناء هذا الجامع بمسقط رأسه بمدينة الشحر من ماله الخاص لوجه الله تعالى وقام صديقه وقريبه الشيخ علي سالم عبود منصور بالإشراف على البناء.

راجين من الله الأجر والثواب وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

٢ـ مسجد أبو بكر الصديق :

تأسس هذا المسجد في غرة رمضان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م وأسسه الشيخ سعيد محمد العمودي وأطلق عليه اسم أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويقع هذا المسجد في حي المنصورة الجديدة.

٣ـ مسجد عمر بن الخطاب :

افتتح هذا المسجد في ٢٠ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٥/١١/٢٠٠٢م وأسسه آل باغميان وهم من آل باشراحيل وقد تم تأسيسه على المصلى المعروف ببئر غميانه والذي حفر البئر الشيخ عبد الله علي باغميان وأقام بجانبها المصلى بطلب من السلطان عوض بن عمر القعيطي عندما كان العمل جارياً في بناء السور حول المدينة، ويقع المسجد جنوب الملعب البلدي ويتكون كله من بيت الصلاة وبشرقه تقع الميضاءة، وأهل مدينتي يعرفون من هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وتنتشر بينهم أمنية رسولنا الكريم (اللهم أعز الإسلام بأحد

العمرين) وكان أحدهما عمر بن الخطاب، وكنت بالصف الرابع من مدرسة مكارم الأخلاق الأولية عام ١٩٥٩م عندما رشحني مخرج المسرحية الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي لتمثيل دور عمر بن الخطاب في المسرحية التي ستعرض على الجمهور وكانت بعنوان (إسلام عمر) وبعد أن بدأت التمارين استدعاني الأستاذ أحمد عوض القحوم مدير مكتب التربية والتعليم بالمديرية آنذاك وألقى علي بعض النقاط حول شخصية هذا الخليفة الذي علي أن أتقمصه في الدور المسند إلي، وكنت نحيلاً وقصير القامة حتى أني لم أستطع أن أرفع السيف بعد أن أجرده من غمده.

٤ـ مسجد الفاروق :

أسسته جمعية الحكمة عام ٢٠٠٤م وهو أحد الجوامع حيث تقام به صلاة الجمعة ويقع المسجد في حي الشقق الذي يلي حي الخور مباشرة.

٥ـ مسجد عثمان بن عفان :

تأسس هذا المسجد عام ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م وأطلق عليه الاسم رغبة في ذكرى الخليفة الثالث رضي الله عنه وكان قد قتل رضي الله عنه في داره وهو يقرأ القرآن، ويقع المسجد في حارة الزعبلي.

٦ـ مسجد علي بن أبي طالب :

تم تأسيس هذا المسجد في عام ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٧م، ويقع المسجد على الضفة الشرقية لمسيال سمعون ويقابل مسجد ابن إسماعيل على الضفة الغربية للمسيال وقد أطلق

عليه اسم الخليفة الرابع تيمناً بذكراه ومحبة له وكرهاً لقتلته وقد تم اغتياله في فجر يوم ١٧ رمضان ٤٠هـ الموافق ٦٦١م.

٧ـ مسجد الخلفاء الراشدين :

أطلق عليه هذا الاسم تيمناً بذكرى خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم الأربعة وقد تم تأسيسه عام ١٩٩٩م على نفقة جمعية الإصلاح، وقد أقيمت به أول صلاة جمعة في شهر رمضان من نفس عام التأسيس.

٨ـ مسجد المدينة :

تأسس المسجد عام ٢٠٠٤م على شكل مصلى أو مسجد صغير ثم أصبح هذا المسجد الكبير وبقي المصلى جزء منه خاص للنساء وأقيمت به صلاة الجمعة لأول مرة في شهر رمضان ١٤٣٤هـ (٢٠١٣م) وهو في حي الفلاحين (دفيقة).

٩ـ مسجد القدس :

أطلق عليه أولاً مسجد بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مسجداً صغيراً بالمنطقة الصناعية (الورش) أسسته جمعية الحكمة بالشحر، وفي مكانه أقام الشيخ سعيد عمر اليميني المسجد الكبير والحديث وأطلق عليه اسم مسجد القدس وتعقد به صلاة الجمعة منذ أن تمت توسعته عام ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤ ويقوم بالإمامة فيه ويخطب الجمعة الأستاذ الشيخ ناصر بن ثابت السعدي.

١٠ـ مسجد المهاجرين :

تأسس مسجد المهاجرين عام ٢٠١١م في منطقة ١٨٠ شقة غرب أحياء الشحر على مسافة قريبة غرب مسجد العمقي ويتكون من بيت الصلاة وميضاءة تقع في جهة الجنوب الشرقي منه.

١١ـ مسجد الأنصار :

أسست هذا المسجد جمعية سمعون عام ٢٠٠٢م، وهو من المساجد الحديثة ويقع غرب مشروع الـ ١٨٠ شقة من أحياء مدينة الشحر.

١٢ـ مسجد الفرقان :

أطلق عليه أولاً اسم مسجد (التوابين) وكان تأسيسه عام ١٩٩٦م في حي المنصورة الجديدة ثم تم تهديم ذلك المصلى القديم وبناء المسجد الواسع على نفقة الشيخ صالح الشميمي المعاري ـ رحمه الله ـ وغير اسمه إلى مسجد الفرقان وأقيمت فيه أول صلاة جمعة بعد اكتمال البناء فيه وأم الناس فيه وخطبهم ليوم الجمعة الشيخ أحمد بن علي برعود.

١٣ـ مسجد التقوى :

أسس هذا المسجد في ١ محرم ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م بحي المنصورة الجديدة وأقيمت فيه صلاة الجمعة لأول مرة في ٢٦ محرم ١٤١٩هـ الموافق ٢٢ مايو ١٩٩٨م وهو جديد تم الانتهاء من بنايته في الغرة من محرم كما هو مبين أعلاه وقد أم المصلين وخطبهم ليوم الجمعة الشيخ عبد الله عمر مرعي بن بريك.

١٤ـ مسجد السلام :

تأسس هذا المسجد فور الانتهاء من اكتمال بنايته بمنطقة حي السلام والمسجد يقع في منطقة جميلة وتحيط به الشوارع فهو مضاء ومهوى، و بيت الصلاة فيه واسع وعلى عرض كل بناء المسجد، وفي جنوبه صحن المسجد الذي منه تعلو المئذنة وتقع الميضاءة في الشمال الشرقي منه، وقد افتتح في آخر جمعة من شعبان ٢٦ منه ١٤٢٣هـ الموافق ١/ ١١/ ٢٠٠٢م.

١٥ـ مسجد الضياء :

وهو من المساجد الحديثة ويقع في حي بن جوبان وفي منطقة (العبري) وقد أسسته جمعية الحكمة بالشحر عام ٢٠٠٤م ومنذ التأسيس وحتى اليوم يقوم بإمامة المسجد الشيخ خالد سالم باعكيم ويخطب الناس يوم الجمعة وأنا أحد المصلين يوم الجمعة به ومعجب أشد الإعجاب بالإمام المتمكن من إلقائه ولغته السليمة ومواضيعه المتفردة.

١٦ـ مسجد الغفران :

تأسس هذا المسجد في شهر يونيو من عام ٢٠١٣م ويقع في منطقة الرصاصة أو هو بالجزء الجنوبي من هذه المنطقة وعلى الطريق العام المؤدي إلى المنطقة الشرقية، وقد بارك الله في هذه البقعة لتكون هذا المسجد الذي يتكون كله من بيت الصلاة أما الميضاءة فتقع في أسفله وعلى درج يساعد المحتاج إليها.

١٧ـ مسجد الهدى :

عرف عام ١٤٣٢هـ كمصلى لكن في عام ٢٠١٤م تم بناء الجزء الأكبر من المسجد وكان بيت الصلاة قد أقيم أولاً وقد افتتح في رمضان من عام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠١٤م ويقع

المسجد في المنطقة التي تبنى هذه الأيام في التوسع العمراني للمدينة وفيما يعرف بجنوب حي الأهالي العائدين من الصومال.

١٨ـ مسجد الشفاء :

وهو مسجد صغير يقع في الجزء الجنوب غربي من مستشفى الشحر العام الجديد وقد أسس هذا المسجد بعد الانتهاء من استكمال مباني المستشفى حوالي عام ٢٠٠٨م ويتكون هذا المسجد كله من بيت الصلاة أما الميضاءة فتقع خارج مبنى المسجد وفي استقلال تام عنه وهو يؤدي دوره كاملاً لكل من يؤمه خاصة الأطباء وعمال المستشفى والمرافقين للمرضى.

١٩ـ مسجد الفلاح :

تأسس هذا المسجد الذي عرف باسم مسجد الفلاح عام ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م في الحي الجديد الذي يقع خلف حي الخور الذي عرف بحي الشقق، ثم تمت عمارة المسجد في عام ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م وبهذه التوسعة جعل هذا المسجد جامعاً يصلي الناس فيه الجمعة، والحي عبارة عن مجموعة من المساكن التي بنيت للمتضررين وتم توزيع تملك الشقق عليهم عام ١٩٩٠م وعرف بشقق (١٨٠)، وكل هذه المعلومات من الأستاذ عبد الرحيم عبد الكريم الملاحي المتوفي في ـ رحمه الله ـ وأفادنا بأن أول جمعة تمت بهذا المسجد كانت في ١٥ ربيع ثاني ١٤٢٧هـ الموافق ١٢/ ٥/ ٢٠٠٦م.

٢٠ـ مسجد الإنابة :

كان في الأصل مصلى قديم بجانب بئر معلاقة بدفيقة أنشأه الشيخ سالم هادي زيدان والد الرياضي المعروف هادي سالم رحمهم الله جميعاً، وقد أسس المسجد ودعي بمسجد الإنابة عام

٢٠٠٢م على أنقاض مصلى زيدان على بئر معلاقة الزراعية وفي الشمال الغربي من الجزء المزروع، وبعد الانتهاء من البناء الجميل والواسع أقيمت فيه صلاة الجمعة.

٢١ـ مسجد حبيب :

يقع هذا المسجد بحي المنصورة ويطلق عليه مسجد (حبيب) ولا يزيد هذا الاسم على ما ذكر الأستاذ خالد الهندي في كتابه (الشحر حضارة وتاريخ) ونحن نعرف الكثير عن الفئة العلوية التي تسكن حضرموت واعتادت أن تطلق على بعض شيوخهم (حبيب) ولكن هذا اللفظ جاء متأخراً لهذا نظن أن الاسم هنا يعنى به من أطلق عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم فهو رسول الله وحبيبه، والمسجد على صغره فهو مفضل لدى العامة وهي تنطلق من محبتهم لحبيب الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، حبيب الله وهادي الأمة إلى الإسلام وكان التأسيس عام ٢٠٠٧م.

٢٢ـ مسجد قباء :

جميل هذا الاسم الذي أطلق على هذا المسجد الجميل الشكل والنظافة وكان الشباب يطلقون عليه (أبو المئذنتين) وقد تأسس عام ٢٠٠١م ويقع بالمنطقة الشرقية، وقد سعى لإقامته الضابط الأمني في مدينة دبي الأستاذ عمر علي كعيتي وهو من أهل الشحر، وبعد اكتمال المبنى ظل يرفد المسجد بما يحتاج إليه وقد فارق الحياة بمهجره في مدينة دبي في ٥ نوفمبر ٢٠١٥م، ثم إن ابنته دكتورة الأنف والأذن والحنجرة استمرت في إكمال النواقص والاحتياجات وتصليح أي عطب، وأنا جد متأكد أنها لا تريد أن نرفع مثل هذا لكن البحث السبب في المعرفة.

وكنت مسروراً بإطلاق هذا الاسم على المسجد وقبا كما جاء في كتاب (مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وإشارة إلى أن البكري يكتبها ممدودة (قباء) وهي بضم حرف القاف اسم بئر وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار وعلى ميلين من المدينة، وبها أسس النبي صلى الله عليه وسلم أول مسجد بني في الإسلام وأول مسجد بني في المدينة النبوية ومن حيث الأولية فإن المسجد الحرام بمكة أول بيت وضع للناس كما جاء في القرآن العظيم.

ومسجد قباء يقع في تلك القرية وإلى الجنوب منها بناه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر من مكة متوجهاً إلى المدينة وقد اهتم المسلمون من بعده بعمارة المسجد خلال العصور الماضية فجدد عمارته عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم عمر بن عبد العزيز وتتابع الخلفاء من بعدهم على توسعته وتجديد بنائه، وقام السلطان قايتباي بتوسعته ثم تبعه السلطان العثماني محمود الثاني وابنه عبد المجيد الأول، ثم كانت التوسعة الأخيرة في عهد الدولة السعودية حيث قام الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بوضع حجر الأساس للتوسعة الأخيرة عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) وقد بلغت مساحة المصلى وحده ٥٠٠٠ متر مربع، وبلغت المساحة التي يشغلها المبنى مع مرافق الخدمة التابعة له (١٣٥٠٠) متر مربع وأصبح يستوعب ٢٠٠٠٠ مصلي وتقوم هيئة تطوير المدينة المنورة بالاستعداد لبدء مشروع توسعة مسجد قباء والمنطقة المحيطة به لاستيعاب الأعداد المتزيدة من الحجاج والزائرين وتطوير المنطقة المحيطة به عمرانياً وبيئياً ومن المتوقع أن يستوعب مسجد قباء بعد اكتمال التوسعة (٥٥) ألف مصلي هذا ما جاء نقلاً من مساهمة على الموقع الإلكتروني بعنوان (مسجد قباء).

والأستاذ خالد يوسف مر على ذكر هذا المسجد في كتابه (الشحر حضارة وتاريخ ومعلم) فقال عنه ما نصه: (يقع في المنطقة الشرقية ويتكون من غرفة مغلقة للصلاة وضاحي وحمامات ومغاسيل للوضوء) ونحن نقلاً عن المسميات التي وضعها رسولنا صلى الله عليه وسلم نصحح هذه المسميات، وهي:

الغرفة المسقوفة للصلاة هي بيت الصلاة ويدعوها رجال الدين هنا في حضرموت (حمام المسجد) وهو في نظري خطأ شائع (وسيأتي بيان ذلك).

أما لفظة (الضاحي) فقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم صحن المسجد ولفظة (الحمامات) هناك هي الجزء الخاص بدورة المياه وأطلق عليها (الميضاءة) ورغم ذلك فتحية للأستاذ خالد يوسف.

٢٣ـ مسجد الأحقاف :

ويقع في الحفر المشهورة بحفر الطين خارج سور مدينة الشحر من الناحية الغربية .

جميل اسم هذا المسجد ولعله يريد أن يقول أنه مسجد حضرموت قال الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه (ملاحظات على ما ذكره الهمداني..): (الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز عاداً وهوداً والأحقاف على سبيل الموعظة والعبرة ولكنه جل شأنه لم يذكر أين تكون منطقة عاد ولا أين مات وقبر هود ولا أين الأحقاف، وجاء الإخباريون واخترعوا حكايات عن عاد وعن هود وقبره وعن الأحقاف، ومن تلكم الروايات فيما يبدو الرواية المنسوبة إلى الأصبغ والمهتمون بالأنساب اليمنية القديمة يعلقون أهمية كبرى على أن يكون

النبي هود في اليمن لأنهم يعتبرونه الأب لقحطان الذي تفرعت منه الجذوم اليمنية على اختلاف أسمائها وهو زعم لا يقوى على الوقوف أمام النقد العلمي).

ولا يعلم أحد إلى يومنا هذا أين تقع الأحقاف وقد جازفت بعض الخرائط الحديثة فأطلقت اسم الأحقاف على بقاع شمال أو جنوب أو شمال غرب أطراف الربع الخالي المتاخمة للصحراء الحضرمية الشمالية، وربما أطلقوا اسم الأحقاف على منطقة بشمال غرب عمان.

والحضارم في تاريخ وسيط أطلقوا اسم الأحقاف على وادي حضرموت ويزعم أهل الشحر أن مدينة الشحر هي مدينة عاد وأن منطقة الشحر هي أرض الأحقاف اعتماداً منهم على رواية قديمة تنسب إلى قتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت١١٨هـ) وكان مفسراً وملماً بأيام العرب وأنسابهم (بامطرف، الملاحظات).

٢٤ـ مسجد معاذ بن جبل :

وهو مسجد أسسته جمعية الحكمة بالشحر بحارة المخبز الآلي عام ١٩٩٨م.

ومعاذ بن جبل هو الصحابي المشهور الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أعلم أمته بالحلال والحرام وقد بعثه صلى الله عليه وسلم إلى البلدين اليمن وحضرموت وكان في حضرموت عندما جاء إليه أبو موسى الأشعري واقترح عليه الخروج لأن المدن والبقاع تتساقط تباعاً في يد الأسود العنسي فعاد إلى المدينة وهي مناسبة عظيمة أن يذكر الرجل بما له من معروف أسداه إلى أهالي حضرموت، وذكر أنه عاد إلى المدينة وشوهد بأنه جاء من الشحر رافعاً عقيرته بالتلبية والتكبير وتوفي شاباً في طاعون عمواس بالشام عام ١٨ هـ.

٢٥ـ مسجد أبي موسى الأشعري :

جميل أن يطلق اسم هذا الصحابي الجليل على هذا المسجد، وهو مسجد حديث أسس عام ١٩٩٥م في الغرب من حي الرصاصة الذي بني أساساً لمساكن المتضررين من الأمطار والسيول علم ٢٠٠٣م لأهل قرية دفيقة ـ حي الفلاحين اليوم ـ وتقام به صلاة الجمعة.

٢٦ـ مسجد أبي عبيدة بن الجراح :

أقيم هذا المسجد في الحي الجديد المعروف بالشقق عام ٢٠١١م وتقام فيه صلاة الجمعة منذ تأسيسه.

ومع عدم علمي بالذي اختار اسم هذا المسجد، فقد دار في فكري أنه كان اختياراً مقصوداً، فأبو عبيدة بن الجراح صحابي جليل ولد بمكة سنة ٤٠ قبل الهجرة وتوفي بطاعون عمواس عام ١٨ هـ ودفن في غوربيسان، ومن أجل مناقبه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمسك بيمينه وقال: (إن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)، وقال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يجود بأنفاسه: (لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته فإن سألني ربي عنه قلت استخلفت أمين الله وأمين رسوله).

هذه ميزة يتمتع بها رضي الله عنه، مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه عند الحرب، وقد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم رفداً وقائداً في محل خالد بن الوليد فوصل والمعركة حامية الوطيس فأمسك أبو عبيدة عن الخبر حتى انتصر خالد وكان هدفه (إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد ولا للدنيا نعمل ، كلنا في الله إخوة).

إن أمانة أبو عبيدة بن الجراح على مسئولياته لهي أبرز خصاله رضي الله عنه، وكأني بالذي اختار الاسم قد أراد التذكير بهذه الميزة وأراد أن يكون المسلمون كلهم أفراداً وجماعات ومسئولين وقيادات كهذا الرجل في أمانته وعندها سوف يكون وضعنا أحسن بكثير مما نحن فيه.

٢٧ـ مسجد العلاء بن الحضرمي :

كان يطلق عليه اسم (مسجد الغفران) ثم أطلق عليه الاسم لجديد عند تأسيسه عام ٢٠٠٦م من قبل جمعية الحكمة اليمانية كما تشير إلى ذلك بيانات الجمعية، ويقع في الساحة المعروفة بمخطط الكهرباء الجديدة وأول صلاة أقيمت فيه في رمضان سنة ١٤٢٦هـ صلاة العشاء ثم صلاة التراويح .

وينسب المسجد للصحابي الحضرمي العلاء بن عبد الله بن عباد وهو من رجال الفتوح وأصله من حضرموت سكن أبوه مكة فولد بها العلاء ونشأ، ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين سنة (٨هـ) وجعل له جباية الصدقة وأعطاه كتاباً فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار وأمره أن يأخذ الصدقة (الزكاة) من أغنيائهم ويردها على فقرائهم، وأقره أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما، ثم وجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق سنة ٢١هـ (٦٤٢م) في قرية من قرى تميم العدنانية اسمها (لياس) وقيل مات في البحرين، وقيل إن العلاء أول مسلم ركب البحر للغزو وقد أسلم أهل البحرين على يده وبعثوا بخراجهم فكان أول مال ورد للمدينة، وهو الذي سير عرفجة بن هرثمة إلى شواطئ فارس في الإسلام سنة ١٤ هـ فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس.

وللعلاء إخوة وأخت واحدة، منهم عمرو بن الحضرمي وقد قتل على يد المسلمين في سرية عبد الله بن جحش، وهذا ما أوجد أخاه عامر بن الحضرمي ودفع به إلى التحريض والاشتراك مع أبي جهل لقتال المسلمين في موقعة بدر الكبرى وقد قتله عمار بن ياسر ورابعهم الحارث بن الحضرمي (وقد سقطت ترجمته من كتاب الجامع لبامطرف)، أما أختهم الصعبة وهي شقيقة العلاء كانت زوجة لأبي سفيان صخر فطلقها بعد أن أنجبت يزيد بن أبي سفيان أحد أبطال موقعة اليرموك ثم تزوجها عبيد الله فهي أم طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة.

ولابد أن اختيار اسم هذا الصحابي كان للتذكير بشجاعته واقتحامه معاقل الفرس ونجاحه في الاستيلاء على إحدى الجزر الفارسية رضي الله عنه وأرضاه.

٢٨ـ مسجد مصعب بن عمير :

كان في نظري اختيار موفق أن يطلق على المسجد اسم الصحابي الجليل شهيد معركة أحد مصعب بن عمير وقد أسسته مؤسسة الرحمة الخيرية بالشحر عام ٢٠٠٤م بالقرب من مدارس الريادة النموذجية بحي ابن جوبان.

فمن هذا الصحابي مصعب؟ إنه ذلك الفتى الذي وصف بأنه غرة فتيان قريش وأوفاهم بهاء وجمالاً وشباباً، لقد ترك كل ذلك ليذهب إلى دار الأرقم ويعلن إسلامه، وإذا كان لا يهمه أحد في مكة فإن لأمه شأن آخر، فهي خصومة لا تطاق ،إن قصة حياته لشرف لبني الإنسان جميعاً، وحين انفصل عن أمه كان يعلم أنه يخرج من النعمة الوارفة مؤثراً شظف العيش والفاقة، نعم إنها مبادئ الإسلام التي إذا آمنت بها رفضت كل نعمة غيرها، لقد اختار

الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الفتى داعية إلى الله في بعثة للمدينة المنورة وكانت مهمة عظيمة أي سفير الإسلام بالمدينة يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبة وقد نجح في مسعاه، وتمضي الأيام ويهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وتعد قريش عدتها وتهاجم المدينة في غزوة أحد، ويكلف الرسول صلى الله عليه وسلم مصعب بحمل الراية وتعرض لأسوأ الأحوال فقد قطعت يمينه فحمل الراية بيساره فقطعت فحَنَا على اللواء وهو يكرر (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ثم حمل عليه ثالث بالرمح ووقع مصعب رضي الله عنه واستشهد، السلام عليك يا مصعب، إنها الشجاعة ومحبة الإسلام ورسول الإسلام فما أجدرنا أن نتخذه لنا قدوة.

٢٩ـ مسجد الشافعي :

تأسس هذا المسجد في الجزء الشرقي من حي بن جوبان عام ١٩٩٩م، وينسب للإمام محمد بن إدريس الشافعي إمام المذهب في كل أرجاء حضرموت، وقد تبنى عمارته أهل الخير لكنهم لم يستطيعوا إكماله فقد أقيم الجزء الأوسط منه في رواقين وسطه وترك ما خلفه ليكون صحن المسجد في مساحة كبيرة، والجزء الجنوبي فيه الميضاءة الواسعة، أما المئذنة فقد أكملت في هذا العام ٢٠٢٠م، ويظهر أن المسجد لم يتبناه أحد فظل هكذا، فالجزء الأمامي منه لازال معطلاً من البناء ولنا كبير الأمل في استكماله في القادم من الأيام خاصة أننا نتبع إمامته مقلدين إياه ومن شرح فتاويه في مذهبه، فمن هو الإمام الشافعي؟ وأمامنا تتبارى جهات مختلفة لبناء المساجد الكثيرة في مدينة الشحر دولاً وجماعات وأحزاباً وجمعيات وأفراداً ولكن لم يتبنَّ أحد هذا المسجد مع أنه أولى إذا عرفنا اسم من ينسب إليه.

فهو ينتسب للإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي (١٥٠-٢٠٤هـ) (٧٦٧-٨٢٠م) وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩هـ فتوفي بها، وقبره معروف بها. قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وآدابهم وأعرفهم بالفقه والقراءات، وكان الشافعي من أحذق قريش بالرمي يصيب من العشرة عشرة، كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين، وكان ذكياً مفرطاً وله تصانيف كثيرة أشهرها كتابه (الأم) في الفقه في سبع مجلدات.

وكنت أتمنى أن يستكمل بناء المسجد وتزود مكتبته بكل ما ألفه هذا الإمام، فكيف نتبع الإمام ونقول أننا شافعية ولا نعلم عنه وعن مؤلفاته شيئاً، وهناك كثير من المناشط الإسلامية تؤدى هنا في منطقتنا لم تأت عن هذه الإمام وتنسب إليه باطلاً.

ـ رجعت في هذا إلى الزركلي في الأعلام.

٣٠ـ مسجد أحمد بن حنبل :

تأسس هذا المسجد في يونيو من عام ٢٠٠٣م بحي المنصورة الجديدة، أسسته مؤسسة باجرش بالشحر.

وينسب هذا المسجد للإمام أحمد بن حنبل ويعرف بأنه أحد فقهاء المسلمين ورابع الأئمة عند أهل السنة كما أنه صاحب المذهب الحنبلي، ثم إنه عرف بأخلاقه الحسنة مثل التواضع والصبر والتسامح حيث أثنى عليه العديد من العلماء ومن بينهم الإمام الشافعي، كتب العديد من الكتب أهمها كتابه المسند.

ولد هذا الإمام في شهر ربيع الأول عام ١٦٤هـ مايو ٧٦٣م ومن المرجح إنه ولد ببغداد، وهو أبو عبد الله احمد بن عبد الله بن حنبل، وأمه صفية ، وجده لأمه من وجوه شيبان، ويعد الإمام أحمد عربي النسب فهو شيباني النسب لأمه وذهلي النسب لوالده، ترك له والده بيتاً يسكنه في بغداد بالإضافة إلى كثير من المال الأمر الذي دفعه إلى العيش في بغداد حيث يقيم الكثير من الحكماء والفلاسفة مما دفع عائلته لتشجيعه على أن يكون عالماً بالعلوم الممهدة مثل علم القرآن الكريم وعلم الحديث، مما أثر على نزعته النفسية، فحفظ القرآن الكريم منذ صغره ثم تدرب على التحرير والكتابة.

وعندما تسأل عن أخلاق هذا الإمام وصفاته، تجد الزهد في العبادة حيث كان يكثر الصلاة والصوم، كما كان وطيد العلاقة بالرسول صلى الله عليه وسلم، فكان عالماً بالحديث وبعض اللغات كاللغة الفارسية، وكان يتمتع بسرعة الحفظ فقد حفظ ألف حديث، وعرف بالصبر على المكاره والشدائد وكان معاوناً لكثير من الفقراء وعامة الشعب وعرف بالسكينة وقلة الكلام، وعرف بنظافته وأناقته وحسن وجهه وخضاب لحيته، وتوفي رحمه الله ضحى الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٢٤١هـ عن عمر يناهز السابعة والسبعين ودفن بعد صلاة العصر في مسجد عارف آغا ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد.

ولعلي أرى أنه لاختيار الاسم هدف هو أن يكون هذا الإمام وأعماله وأخلاقه قدوة لعموم المسلمين ومرتادي مسجده.

ـ وقد رجعنا في كتابة هذه المادة إلى كتاب الأعلام للزركلي.

٣١ـ مسجد النووي :

تأسس هذا المسجد المنسوب للإمام النووي عام ١٩٩٩م بالمنصورة الجديدة في رقعة واسعة، ولم أعلم بالجهة التي سعت إلى تأسيسه، وهو كامل البناء وفي وسع من بيت الصلاة والمئذنة والميضاءة.

وينسب هذا المسجد كما أشرنا لهذا العالم كما ورد اسمه عند ابن مرعي في كتابه (الفتوحات الوهبية) فقال: مري بضم الميم وكسر الراء ، كما وجد مضبوطاً بخطه، والحزامي بكسر الحاء المهملة والزاي المعجمة، والنووي نسبة لنوا ويجوز كتابتها بالألف (نواوي)، فهو: يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن أبو زكريا محيي الدين علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران) بسوريا وإليها نسبته. تعلم بدمشق وأقام بها زمناً طويلاً وله عدد كبير من المؤلفات، أكثرها قد طبع وبيد علمائنا المهمات منها وينتشر بين طلاب العلم كتابه (رياض الصالحين) في طبعات مختلفة الأحجام وكتابه (الأربعون حديثاً النووية) وحبذا لو وجدت كل كتبه بمكتبة المسجد وحتى يعلم من لا يعلم بأمر هذا الإمام وهذا المسجد، وفي الأعلام للزركلي أنه عاش ما بين (٦٣١-٦٧٦هـ) = (١٢٣٣-١٢٧٧م).

٣٢ـ مسجد الشوكاني :

أطلق اسم هذا العالم محمد بن علي بن محمد الشوكاني على هذا المسجد وقد أسسته إحدى الجمعيات الخيرية عام ٢٠٠٠م ويقع المسجد في حي الشوكاني بالمنطقة الشرقية.

وينسب المسجد لهذا الفقيه المجتهد والذي يعد من كبار علماء اليمن ومن أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٣م)

ومات حاكماً بها، وكان يرى تحريم التقليد وله (١١٤) مؤلفاً ترجمه الزركلي في كتابه الأعلام وذكر ميلاده ووفاته (١١٧٣-١٢٥٠هـ) = (١٧٦٠-١٨٣٤م).

ولي قصة مع هذا العالم فقد ذهبت إلى سوق القات، وكانت بالسوق المركزي (الماركيت) بالشحر، كان ذلك في بدايات أيام الوحدة بين اليمنيين وكان سعر القات رخيصاً، ويكفيك منه أن تشتري بمبلغ ستة شلن أي ما يعادل دولاراً واحداً، لكن من حسن حظي أن أمر على المكتبة الأهلية لصاحبها الشيخ طاهر علي الأرضي، فإذا به يصف كتباً وصلته حالاً من عدن من ابنه الصديق سالم طاهر الأرضي ـ أطال الله عمره ـ ومنها كتاب بعنوان (الدراري المضيئة، شرح الدرر البهية) وهو لهذا العلامة، ففضلت شراء نسخة منه بمبلغ ستة شلن. وبالمناسبة الكتاب لا زال في مكتبتي وإلى اليوم، ولو كنت قد اشتريت حزمة القات لما بقي منه أي فائدة إلى ما بعد مغرب نفس اليوم.

٣٣ـ مسجد العسقلاني :

تأسس المسجد عام ٢٠٠١م على شكل مصلى ثم أكملت عمارته عام ٢٠١٢م، وينسب هذا المسجد للعالم أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر، جاء ذلك في أعلام الزركلي (٧٧٣-٨٥٢هـ) = (١٣٧٢-١٤٤٩م) من أئمة العلم والتاريخ.

وأصل هذا العالم من عسقلان بفلسطين مولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرها لسماع الشيوخ، وعدت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر). وكان فصيح اللسان راوية للشعر عارف بأيام

المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة منها (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ ط) أربع مجلدات، و(لسان الميزان) طبع في ستة مجلدات و(الأحكام لبيان ما في القرآن) وديوان شعر طبع في الهند، و(الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) وغيرها الكثير، وقد ترجم لنفسه في كتابه (رفع الأمر عن قضاة مصر) ولتلميذه السخاوي كتاب في ترجمته سماه (الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) في مجلد ضخم، ومن أجلّ كتبه فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٣٤ـ مسجد ابن باز:

لم يزد الأستاذ خالد يوسف الهندي في كتابه (الشحر حضارة وتاريخ..) على القول عند ذكره المسجد (تأسس مسجد ابن باز في نهاية التسعينات من القرن الماضي (العشرين) بمنطقة المعلاقة من دفيقة حي الفلاحين اليوم، ويقوم بالإمامة فيه ابن العبد حيمد وأبناء باسيود، عبد الله وعلي..).

والمسجد جميل شكلاً ومضموناً رغم عدم إكمال بنايته، لكنه معمورابكثرة المصلين والدعاة وقد زرته أكثر من مرة، وكان لي الحق في السؤال، ما الذي دعا مؤسسه لأن يطلق عليه اسم هذا العلامة السعودي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. فإذا ألقينا نظرة على أسماء المساجد كلها في مدينة الشحر لا نجد اسماً يقارب هذا الاسم، فكل الأسماء أما لأصحاب المساجد والمؤسسين أو أسماء الصحابة والتابعين والعلماء أو أسماء معنوية إسلامية، وقد هداني تفكيري إلى ما أظنه صحيحاً وهو أن هذا الرجل أحد العلماء الذين اجتهدوا في تصحيح مسار الدين الإسلامي الحنيف وتنقيته من أمور لحقته وأصبحت من

المعتقدات لدى العامة، وهو يتبع تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويعمل على منهجه والذي أضيف إلى جماعته أو من يتبع تعاليمه اسم (الوهابية).

والشيخ ابن باز هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز رحمه الله ولد في الثاني عشر من ذي الحجة ١٣٣٠هـ (١٢ نوفمبر ١٩١٢م) بمدينة الرياض وكان بصيرً ثم أصابه الجدري واختطف عيناه عام ١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م. كان قصير القامة تراه قد هزل بعد مرضه أبيض البشرة يتمتع بحواسه كاملة إلا حاسة البصر، وكان حليماً صبوراً ذو هيبة ووقاراً.

حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ ثم جد في طلب العلم على علماء الرياض ومشايخه كثيرون، تولى القضاء عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) وفي عام ١٣٧٢هـ (١٩٥١م) انتقل إلى الرياض للتدريس بالمعهد العلمي ثم كلية الشريعة، ثم انتقل نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) وقد أسس حلقة للتدريس في جامعة الرياض وحلقة أخرى بالمسجد النبوي، هذه كانت نبذة مختصرة ومن يرغب في المزيد فإنها موجودة في مظانها.

أظن أن الذي اختار اسم المسجد عني بمواقف هذا العالم مما يجري في كثير من مواطن المسلمين ومنها مدينتنا الشحر، فالمشهور عنه أنه أحد المجددين لما اندرس من معالم السنة الطاهرة، وأن المرور على مجموعات ما ألفه من كتب ودراسات سيجد الجواب في ذلك ومنها:

ـ العقيدة الصحيحة وما يضادها.

ـ وجوب العمل بسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها.

ـ وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

ـ إقامة البراهين على كل من استغاث بغير الله.

ـ لزوم السنة والحذر من البدع.

ـ التحذير من البدع ويشتمل على مقالات مفيدة منها: حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى الشيخ أحمد وهي المسألة التي تحدث فيها علوي عبد الله العيدروس في حشد بإندونيسيا دون أخذ الاعتبار لقول الله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون).

رحم الله الشيخ ابن باز ورحم كل من يسعى لتنقية الإسلام مما لحق به من شوائب وإضافات وبدع لم ترد أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده.

٣٥ـ مسجد خديجة :

أشار إليه الأستاذ خالد يوسف الهندي وقال (أنه افتتح في غرة رمضان ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠١٤/٦/٢٨م وأنه يقع على الساحل الغربي للمدينة وبجانب محفل بانعيمون ويقوم بالإمامة فيه الأستاذ رشيد سالم جروان).

ونظن أن اختيار للمسجد هذا الاسم تيمناً في ذكرى السيدة خديجة أم المؤمنين وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة جاء في أعلام الزركلي (٦٨-٣ ق.هـ) = (٥٥٦-٦٢٠م). ولدت بمكة ونشأت في بيت شرف ويسار، مات أبوها يوم الفجار تزوجت قبل

الرسول صلى الله عليه وسلم مرتان وكانت ذات مال كثير وتجارة، ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى وعاد رابحاً، فدست له من عرض عليه الزواج بها فأجاب، فأرسلت إلى ابن عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى فحضر وتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، فولدت له القاسم وكان يكنى به، وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكل أولاده منها إلى إبراهيم فهو من مارية القبطية، ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أول من أسلم من الرجال والنساء وكانت تكنى بأم هند، وهند من زوجها الأول رحم الله الجميع.

ولما كنت معلماً بمدرسة القويرة عام ٧٠/ ١٩٧١م وهي بلدة بوادي دوعن الأيمن لاحظت أن الناس تقاطروا مساء إلى مسجد أحمد محمد المحضار، وعند مدخله تجد أثر قدميه على بقعة مرسومة قبل أن تجف وهو أثر يتبرك به، كان هذا مساء يوم ١٠ رمضان وهو احتفال يدعونه بالإحدى عشرية وهو يوم وفاة أم المؤمنين خديجة قبل الهجرة بثلاث أعوام. ويجتمع الناس مع أطفالهم ونسائهم من كل البلدات القريبات وتقام الأسواق وخاصة الحلويات والأكلات الشعبية ووسائل الأفراح المصورة والمضيئة، وداخل المسجد وبعد صلاة التراويح تقرا مناقب السيدة أم المؤمنين مع الأناشيد والابتهالات والأدعية والفواتح، وعرفت حينها أنه يوم حزن على وفاة أم المؤمنين وتقام هذه العادة سنوياً، وكنت غافلاً عن مثل هذا الاحتفال وإن كان بشكل مصغر، ومثل هذا الاحتفال يتم بالشحر وفي مسجد الزاوية ويحضره صديقنا الشيخ حاج عبد الله وبير والذي يقدم من مكان عمله بعدن ليقرأ مناقب السيدة خديجة رضي الله عنها.

٣٦ـ مسجد المنصورة :

المنصورة هنا هو أحد أحياء مدينة الشحر الجديدة وبه تأسس هذا المسجد الذي ينسب للحي وقد تأسس في أول رمضان سنة ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).

٣٧ـ مسجد المنصور :

تأسس هذا المسجد سنة ١٤٣١هـ (٢٠١١م) بحي المنصورة الجديدة بالشحر، وينسب إلى منصور أحمد بامسلم وبني على نفقة الأستاذ عمر منصور أحمد بامسلم.

٣٨ـ مسجد الموسطي :

بدأ البناء والتشييد لهذا المسجد منذ ١٤ رجب ١٤٢٣هـ الموافق ١٧/ ٩/ ٢٠٠٢م على نفقة رجل الخير الشيخ مصطفى محمد حسين عامر الموسطي، وهو يقصد اليافعي دون تحديد القبيلة، فالموسطة أحد مكاتب يافع قال أحد الشعراء:

الموسطة يافع ويافع كلهم بالموسطة ...

وكان الانتهاء من بنائه في ٢١ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٣م تحت إشراف المهندس سالم صالح الخلاقي، وهو مسجد جامع منذ أول جمعة بعد افتتاحه.

٣٩ـ مسجد بن صنيف :

وينسب لأحد تجار حضرموت وقد تم تأسيسه في عام ٢٠٠٤م في موقع يكون أول حي (الرصاصة) وخلف مدرسة ثانوية باحسن للبنات ومدرسة سعاد الأساسية، وهو مسجد جديد حديث متكامل البناء يتكون من بيت الصلاة وقبله صحن المسجد ثم الميضاءة التي

تقع عند مدخله الجنوبي وترتفع عند جنوبه أيضاً مئذنة سامقة، وبالمناسبة فهو أحد المهاجرين بالخليج العربي بارك الله في رزقه.

٤٠ـ مسجد وبير :

مسجد حديث اقتطعه الشيخ أحمد عبد الله وبير من قطعة أرض له جعل نصفها الشرقي للمسجد والنصف لآخر لسكن عائلته. والمسجد رغم مساحته الضيقة فهو في مكان مناسب وفي مكان تباعدت فيه المساجد ويقع على الحي الجديد، حي بن جوبان الشافعي وفي فوهة هذا الحي ويلي حي الثورة. اكتمل بناؤه وتم افتتاحه في ١٢ رمضان ١٤٢٩هـ الموافق يناير ٢٠٠٩م، ويتكون المسجد من بيت الصلاة دون صحن للمسجد والميضاءة في جزء مستقل من المسجد وله مئذنة قصيرة.

٤١ـ مسجد بن جويد :

أسسه الأستاذ عمر مبارك بن جويد وهو من أهل عمان ومن مواليد مدينة الشحر أخواله آل الحداد الكنديون وقد سكن والده الشحر بعد أن تعطلت سفينته البحرية بميناء الشحر ثم تزوج على أخت الشيخ المهندس صالح سعيد حداد الكندي، وهو يحمل اسم والدي صالح سعيد حداد القضاعي، ثم هاجر إلى منطقته ومدينة أهله مدينة صور وهناك أصبح يعرف كأحد رجال لأعمال والتجارة، ولم ينس مدينته التي تربى بها فأنشأ هذا المسجد الذي تأسس في ٢ ربيع الأول عام ١٤٢٩هـ الموافق ٩ مارس ٢٠٠٨م وتم افتتاحه في ٢٥ شعبان سنة ١٤٣٠هـ الموافق ١٦/٨/٢٠٠٤م ويقع بالمنطقة الشرقية وبالقرب من مدرسة المحضار الأساسية.

٤١ـ مسجد الشامي :

قبيل مغرب يوم الثلاثاء ٢٠ أغسطس ٢٠١٩م زرت مركز الفواطم الطبي للدكتورة نجلاء عمر علي كعيتي طبيبة الأنف والأذن والحنجرة، ولا يستغرب الاسم فهو مأخوذ من اسم أمها التربوية فاطمة محمد الصبان، ولما حان موعد صلاة المغرب دخلت مسجد الشامي والملاصق لمركز الفواطم الطبي، فوجدت لوحة ملصقة على مدخل المسجد تعلن عن تأسيس المسجد فهو قد تأسس في ٨ جماد الآخر سنة ١٤٣٠هـ الموافق ١/٦/٢٠٠٩م على نفقة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ سعيد هادي أحمد الشامي، بمنطقة المنصورة حي الأخوة حارة الشامي، وقد عرفت الرجل وكنت حاضراً لحفل زواجه عند إعلان وفاة الأستاذ عبد الله عبد الرزاق باذيب بعدن وعرفت أيضاً والده الشيخ هادي أحمد شامي أستاذي للتربية الإسلامية بالمدرسة الابتدائية رحمه الله.

والمسجد على صغره جميل التنسيق له مدخل جنوبي يصلك إلى بيت الصلاة المفروش قطيفاً بعناية فائقة وذوق ونظافة.

٤٢ـ مسجد العمقي :

اقتطعته مؤسسة العمقي للصرافة من سكنهم وهو الجزء القبلي الغربي من المساحة، ليكون هذا المسجد الذي أطلق عليه مسجد العمقي وربما نسب إلى والدهم الشيخ صالح عبد ربه العمقي الشيخ الذي له من اسمه نصيب فقد عرفناه عام ١٩٧٠م يؤذن المغرب من على دكة منزله وأمام باب دكانه وفي تلك الفترة يبني مسجد المنطقة التي عرفت باسم (حضاتهم) وقد عرفت من أولاده الشاعر سعيد ومحمد وهو القائم بأعمال إدارة المؤسسة

اليوم وأيضاً أخوهم أحمد، وللمؤسسة أعمال طوال في مد يد العون لكل محتاج، والمسجد يتكون من بيت الصلاة على عرض العمارة.

٤٣ـ مصلى البرك :

هو مصلى يقع إلى الشرق من منطقة الحراج السمكي، أقامه رجل يدعى البرك، ليصلي فيه الناس ـ خاصة باعة الأسماك ومشتريها ـ وفي أحد أيام شهر إبريل الماضي ٢٠٢١م ذهبت إلى ذلك المكان فوجدته قد تحول إلى مسجد وظل يحمل نفس الاسم (مسجد البرك) وهو مسجد صغير.

٤٤ـ مسجد الجفري :

هذا المسجد يقع خلف حديقة البلدية المعطلة، والتي أجرها مدير بلدية الشحر لأحدهم من صنعاء أو نحوها لمدة أربعين سنة فقعد دون العمل بها وعطلها، والمسجد في نظري غير مناسب المكان، لكن بدأ الناس يبنون منازلهم ويتوافدون على المسجد.

وينسب المسجد للشيخ علي عبد الرحمن الجفري وقد تم تأسيسه عام ٢٠١٠م، والجفري فيما أظن ينسب إلى (علم الجفر) وذكر المؤرخ محمد أحمد الشاطري في كتابه (المعجم اللطيف..) ص٧١ ما نصه: (قال أبو العلاء المعري في علم الجفر، وهو علم الحرف المنسوب إلى أهل البيت النبوي والمكتوبة رموزه وحروفه في جلد جفر، قالوا وبواسطته يعرفون الحوادث في المستقبل إلى قيام الساعة) وذكر ذلك في أحد قصائده.

٤٥ـ مسجد شيخة :

أسسه آل غلام من أهل الشحر ويقع في حي المنصورة الجديدة وينسب كما قيل لي لأمهم التي سميت (شيخة) وقد أسس في عام ١٤٣٣هـ وأول صلاة أقيمت به كانت يوم الخميس الخامس عشر من شهر شعبان عام ١٤٣٣هـ الموافق ٥ يوليو ٢٠١٢م.

٤٦ـ مسجد الشيخة فاطمة :

يقع هذا المسجد جنوب مستشفى الشحر الحالي في المنطقة التي عرفت بالعشوائي، ويقصد بها بناء المساكن دون تخطيط من قبل إدارة الإسكان آنذاك، والمسجد من حيث البناء والشكل متكامل، وقد تبنت بناءه إحدى الشيخات السعوديات، وتنافس الشباب للإشراف على بنائه وقد رسا على الأستاذ جمال محمد بن حسينون، جزاه الله خيراً وقد تأسس عام ٢٠٠٢م، وهو من المساجد التي تصلى فيها الجمعة، وقيل أنها تصلى فيه منذ افتتاحه.

٤٧ـ مسجد مسينون :

كان بداية مصلى أسسه الأستاذ كرامة سعيد مسينون، على طريق السالك من مرتفع مسيال دفيقة وعلى الجهة الشمالية، وكان على بئر زراعية بالقرب من مشهد عمر بن أحمد العيدروس، وهو من آل العيدروس من بلدة حوطة أحمد بن زين ولم يكن من آل العيدروس التريميين ومنهم آل الشحر.

وكان المصلى قد بني في السبعينات، وفي عهد الثمانينات تحول إلى مسجد تهدم عام ٢٠٠٣م من شدة الأمطار التي سقطت في ذلك الزمان، ولم يعد لهذا المسجد أي وجود، اقرأ القصة في الفصل السادس الآتي.

٤٨ـ مسجد الإحسان بالرصاصة :

يذكر الأستاذ خالد الهندي في كتابه (الشحر حضارة وتاريخ) إن هذا المسجد أسسته مؤسسة الرحمة الخيرية بالشحر في عام ٢٠١٤م، وكانت أول صلاة تقام فيه في رمضان عام ١٤٣٥هـ وقد زرت المسجد ظهر يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر ٢٠٢٠م وأديت به صلاة الظهر، بعدها قابلني إمام المسجد الأستاذ نوفل سالم خيّر حمدة بكل ترحاب وأجاب على أسئلتي كلها دون تحفظ ومنه عرفت أن مؤسسه رجل خير من الإخوة في المملكة العربية السعودية وتأسس في نفس الزمن الذي عرفناه والمسجد على صغره يقع في حي الرصاصة وهو جميل مضاء ومكيف مفروش،وعلمت أن الأستاذ صلاح السعدي وكيل عن مؤسس المسجد إلى اليوم.

٤٩ـ مسجد الخير بحارة الخزان :

سمى مكان هذا المسجد الأستاذ خالد الهندي في كتابه (الشحر حضارة وتاريخ) وذكر أن التي أسسته هي جمعية الحكمة بالشحر عام ١٩٩٧م ويقع بالحي أو الحارة التي تعرف اليوم بحارة الخزان التي تقع بجانب خزان مياه مدينة الشحر والحي في الأصل للعائدين الحضارمة المهاجرين بالصومال والذين قدموا بعد أحداث الصومال، والمسجد مشهور وتقام به صلاة الجمعة.

ملاحظة :

هذا ما جاء من أسماء المساجد في مدينة الشحر عند الأستاذ خالد الهندي، وسقط عدد من المساجد ربما لأن كتابه قد صدر قبل أن تفتتح هذه المساجد، أو أنها سقطت سهواً، ونحن نحاول هنا أن نسجلها باعتبارها من مساجد المدينة.

٥٠ـ مسجد رياض الصالحين :

تعمدت زيارة هذا المسجد وأديت صلاة المغرب فيه مساء الأربعاء ٢١ أغسطس ٢٠١٩م، فوجدت قبل الدخول إلى بيت الصلاة فيه لوحة ذهبية كتب عليها ما نصه: (تأسس رياض الصالحين على نفقة فاعل خير بتاريخ الأول من شهر المحرم ١٤٣٤هـ الموافق الخامس عشر من شهر نوفمبر ٢٠١٢م وتم بعون الله تعالى افتتاح المسجد يوم السبت ٢٠ رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ٢٥ يونيو ٢٠١٦م).

ويقع المسجد بحي السلام، وقيل إن مؤسسه الأستاذ سعيد أحمد باصالح ويجاور منزله هناك، ولكني أرى أن الأستاذ قام نيابة عن رجل الخير ـ الذي أمسك عن إعلان اسمه ـ بكل التفاصيل من بناء وفرش وإنارة وتصميم هندسي بديع، بارك الله في تلك البقعة الصغيرة لتكون هذا المسجد الجميل، وله مدخلان جنوبي وشمالي وميضاءة يصل إليها الداخل إلى بيت الصلاة وهو كل المسجد أما صحن المسجد فهو بقعة صغيرة عند المدخل الجنوبي، إنه نموذج للمسجد الجميل الشكل والمضمون.

٥١ـ مسجد باشراحيل :

أقام هذا المسجد الأستاذ العزيز محمد عبد الله باشراحيل من أسرته المشهورة (باشراحيل بور) في حي المنصورة القسم الشمالي منه وللتعريف يقع قرب سكنه الجديد، وقد افتتح رسمياً بإقامة إفطار صائم مغرب أول جمعة في شهر رمضان الفضيل ٣ رمضان عام ١٤٢٣هـ الموافق ٨ نوفمبر ٢٠٠٢م.

٥٢ـ مسجد جامع الحكمة :

وهو مسجد جميل أسسته جمعية الحكمة اليمانية على آخر حي السلام وهو على الطريق إلى المستشفى، لم يقدر الله لي أن أزوره إلى اليوم أو أحضر يوم افتتاحه الرسمي يوم ١٥ رمضان ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠/ ٧/ ٢٠١٥م، وأنا هنا أشعر بالتجاهل فقد أعلنت منذ عام ١٩٨٣م أني أعد العدة وأجمع الأخبار والمقالات والأبحاث لتأليف كتاب عن تاريخ مساجد الشحر القديمة منها والحديثة، فلم يكن من الصعب أن يخبرك أحدهم أو يدعوك للحضور كي تكتب شيئاً عن المسجد واقعاً، وليس عن طريق تلقي الأخبار ممن حضر.

٥٣ـ مسجد الخلاقي :

مسجد الخلاقي هذا ينسب إلى المرحوم صالح محسن الخلاقي بالشحر، والذي تم افتتاحه مغرب يوم السبت ٢٩ رمضان عام ١٤٤٠هـ الموافق ٤ مايو ٢٠١٩م، ويقع المسجد في مجمع الخلاقي السكني في الجهة الشمالية من مدينة الشحر ومقابلاً للحديقة العامة، وقد بني المسجد في شكل جميل وغاية في الإبداع، ولم يتيسر لي حضور الافتتاح.

٥٤ـ مسجد الأحمد :

تبرع ببناء هذا المسجد الدكتور عبد الرحمن أحمد الأحمد من دولة الكويت، وهو في مدخل حي أو مساكن المتضررين من أمطار عام ٢٠٠٨م وهذا موقعه وقد افتتح رسمياً في ٧ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ٢ يونيو ٢٠١٧م، وقد حضر جمع من المدعوين الافتتاح، وألقى فيهم الأستاذ سالم مبارك بانعيمون إمام المسجد كلمة طيبة ممثلاً عن سكان الحي (حي المتضررين) بعد أن رحب بالحضور وشكرهم ، وشكر الساعين للخير وقد حضر الحفل الأمين العام

لجمعية سمعون الخيرية والاجتماعية بحضرموت الأستاذ خالد بلخير، ومنفذ البناء الأستاذ محمد المقدي.

٥٥ـ مسجد بر الوالدين :

تمكنت من زيارة مسجد (بر الوالدين) وهو بحافة عيديد من حي باشراحيل، ولا يبعد عن مسجد عيديد إلا بمقدار مائة متر، وهو في الأصل قد أقيم على أنقاض منازل تبرع بها أهلها لإقامة هذا المسجد إلا مسكن واحد، فقد تم شراءه بمساعدة من الشيخ عبد الله بن فيصل الأهدل، وذلك لغرض إقامة مسجد ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، والشيء الجميل هو أن يُبارك في المكان ليكون ذلك المسجد الجميل جداً المكون جلّه من بيت الصلاة مع المحراب الصغير وعند المدخل تكون الميضاءة، وقد أعجبني كثيراً، وقام إمام المسجد الشيخ سالم عمر عطيان الذي يسكن بيت أجداده آل مفلح شرق منارة مسجد عيديد، وهو الذي صلى بالجمع تلك الليلة صلاة العشاء وكانت قراءته جيدة بمخارج حروف متكاملة وقرأ بالتجويد، وسلمني بعد الصلاة قصاصة هي في الأصل دعوة لحضور افتتاح المسجد، ونصت على:

دعوة حضور: تتقدم لجنة مسجد بر الوالدين بحارة عيديد بدعوة الأخ/ ... حفظه الله لحضور مراسيم افتتاح مسجد (بر الوالدين) مساء الجمعة بعد صلاة المغرب ٢٥ شعبان ١٤٣٩هـ الموافق ١١ مايو ٢٠١٨م.

ثم أفادني معلم المسجد هذا أنه قام بجمع تبرعات أهالي الحافة على الوجه الصحيح مع مشاركة أهالي المنطقة، والله قد أعطى عظيم الأجر لكل من ساهم أو قام ببناء مساجده.

٥٦ـ مسجد الإحسان بالمنصورة :

زرت مسجد الإحسان هذا المساء، وصليت به صلاة المغرب، فقد كنت في زيارة لإحدى بناتي التي تسكن هذا الحي وقد أنجبت سابع أبنائها محمد إبراهيم الحيد في ٢٤ أغسطس ٢٠١٩م.

المسجد صغير الحجم يتكون من بيت الصلاة وبشرقه صحن المسجد الواسع الذي يفتح عليه الباب الرئيس الشرقي وفي الجزء الجنوبي تقع الميضاءة وعندها ترتفع المئذنة التي لا يزيد ارتفاعها عن طابق واحد وهي من الحديد، كانت هذه الزيارة مساء يوم الأربعاء ٤ سبتمبر ٢٠١٩م ويقع المسجد بحافة الحبيب بحي المنصورة.

٥٧ـ مسجد الخير بالمنصورة :

تأسس هذا المسجد بحي المنصورة الجديدة عام ٢٠٠٣م، وهو من المساجد التي تقام به صلاة الجمعة، ومع أن اسم هذا المسجد قد تكرر فهناك مسجد يحمل نفس الاسم (مسجد الخير) بحي الخزان فلا يضير هذا الاسم وإن تكرر فكل مسجد يحكمه موقعه من المكان والحي والمدينة.

٥٨ـ مسجد الشيخ علي باوزير :

يقع هذا المسجد في المنصورة الجديدة الجهة الغربية، وأول من وضع لبنات هذا المسجد هو الشيخ علي بن سالم باوزير رحمه الله. وكان اسم هذا المسجد (عمر بن الخطاب) رغم أن هذا الاسم مكرراً لمسجد آخر في نفس المدينة.

فسعى الشيخ علي جاهداً لبناء هذا المسجد، وطلب من ذوي الأيادي البيضاء والمحسنين في بلاد الحرمين وغيرها من المساهمة والمشاركة في هذا المشروع. وعند قرب نهاية استكمال بناء المسجد وقبل افتتاحه بفترة ليست بالطويلة امتدت يد الغدر والعدوان على الشيخ علي فقتل رحمة الله عليه، وبعد هذه الحادثة المشينة اقترح القائمون على هذا المسجد تغيير اسمه إلى اسم (مسجد الشيخ علي باوزير)تيمناً وعرفاناً بفضل هذا الرجل وسعيه في بناء المسجد، وقد تم افتتاحه رسمياً في الأول من رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ٦/ ٦/ ٢٠١٦م.

والشيخ علي، هو علي بن سالم بن يعقوب باوزير من مواليد غيل باوزير محافظة حضرموت تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه غيل باوزير، ثم انتقل في شبابه إلى محافظة صعدة مدينة دماج لطلب العلم الشرعي على يد فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، ومن ثم ارتحل إلى بلاد الحرمين لطلب العلم على مشايخ الحجاز وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثمين رحمه الله الذي مكث عنده قرابة ثمان سنوات إلى أن توفي الشيخ العثيمين، بعدها عاد الشيخ علي باوزير إلى بلاده ومسقط رأسه معلماً وواعظاً. ثم افتتح مؤسسته الخيرية مؤسسة الروضة بغيل باوزير.

وفي مساء يوم الأربعاء ١٩ فبراير ٢٠١٤م الموافق ١٩ ربيع ثاني ١٤٣٥هـ والشيخ خارج من المؤسسة قام مسلحون بإطلاق النار على فضيلته ظلماً وغدراً وأردوه قتيلاً نسأل الله أن ينتقم منهم، وفي اليوم التالي ـ يوم الخميس ٢٠ فبراير ـ وبعد صلاة العصر صلّي على فضيلته صلاة الجنازة في ساحة نادي الأهلي بغيل باوزير في جمع غفير حضره آلاف من الناس من محافظة حضرموت ومن خارج المحافظة فرحمه الله رحمة واسعة.

٥٩ـ مسجد السنة :

لقد حرصت على أداء صلاة الجمعة بهذا المسجد، وتقدمت ببعض الأسئلةعن المسجد مثل ـ اسم المسجد، وموقعه، ومؤسسه، وتاريخ التأسيس والجهة المنفذة ومن صاحب النفقة وإمام المسجد ـ لإمام المسجد، ولما تأخرت الإجابة توجهت إلى فرع مكتب الأوقاف بمديرية الشحر وكانت الإجابة أننا لا نعرف شيئاً عن المسجد ولم يسجل اسمه لدى الإدارة هنا أقصد إدارة مكتب الأوقاف، فاستغربت منهم هذا الأمر وأفاد أن هناك مسجداً آخر لم يسجل اسمه بهذا الفرع.

لكن إمام المسجد عدل عن رأيه وكتب لنا هذه المعلومات البسيطة قال: (أسس المسجد يوم السبت ٨ ذي القعدة ١٤٣٤هـ الموافق ١٢ سبتمبر ٢٠١٣م وإمام المسجد محمد فرج باريدي العمودي وعلى نفقة رجل خير).

٦٠ـ مسجد التابعين :

يقع هذا المسجد في حي الشقق (١٨٠ شقة) غير بعيد عن مسجد الفلاح، وهو مسجد جمعة وفروض، كما أنه غير مسجل بإدارة فرع مكتب الأوقاف بالشحر، لا أعلم السبب ولم أستطع معرفته، وقد أخبرنا إمام المسجد أنه افتتح في ١ رمضان ١٤٤١هـ الموافق ٢٣ إبريل ٢٠٢٠م.

٦١ـ مسجد سعيد :

كنت أمر على هذا المسجد وأرى العمال مستمرين في عملية البناء والإشادة، فسألت عن اسم هذه المنشأة الإسلامية فقيل لي أنه (مسجد عطوة) لكني سألت أقرب الناس للمسجد

فقيل بأن الاسم لوالدة صاحب البناء، لكن عندما اكتمل البناء والإشادة رأيت المسجد بكامل بناءه وبشكل رائع وجميل ومرتفع عن الأرض فكان جيد من حيث الإضاءة والتهوية وزاد صاحب المسجد بفرشه وتهويته واكتمال النور والسجاجيد والإضاءة وقد تعمدت زيارة المسجد لصلاة العصر فوجدت به معلم المسجد وهو سالم محمد العيدروس وأحد المكلفين والمشرفين أو الوكلاء على المسجد وكذلك مهندس أحمد عبد الله الهندوان العلوي وأيضاً رشيد عبود بن جميل الذين رحبوا بي وأجابوا على كل الأسئلة التي تقدمت بها وقتها أن اسم المسجد اليوم هو سعيد أو السعيد وهو اسم صاحب المسجد أو والده وهو قد غير اسم المسجد عند افتتاحه رسمياً في رمضان العام الماضي (رمضان ١٤٤١هـ الموافق ٢٤/ ٤/ ٢٠٢٠م) وقد أسسه سعيد بن صالح بن ثابت، ويقع المسجد في نهاية شارع مدرسة مصاقع الأساسية وبالتحديد خلف ثلاجة باضاوي الكائن بحي المنصورة.

٦٢ـ مسجد عبد الله بن عمر :

أقيم هذا المسجد على قطعة أرض تقع خلف مبنى إدارة المياه الجديدة بالشحر، وخلفها مستودع الشيخ عبد الله محمد مهدمي، كل ذلك بحي الورش بالمنطقة الصناعية الجزء الشمالي من أحياء المدينة، والقطعة تلك في ملكية الأستاذ عاشور سالم عبد هود وهو من أهل وادي حضرموت وقيل لي أنه من القطن أو من تريم، وقد أقام المسجد إلى حدود السقف وقد قطعت أجزاءه ليكون مسجداً ويظهر أن لأستاذ عاشور قد عجز عن إتمام المسجد، وهو صاحب مصنع البلاط المحلي، واستمر الوضع ما يقرب من خمسة عشر سنة.

في نهاية الأمر كان الأستاذ أمين عبد الله مهدمي يبحث عن مكان لإقامة مسجد ويشترط أن يكون عند مدخل المدينة، فقد تجمعت لديه مبالغ من أهل الخير ربما أهله وإخوانه، فساعده الشيخ محمد عمر مقرم وأرشده إلى موقع المسجد وتم الاتصال بالأستاذ عاشور الذي أبدى استعداده على التخلي عن المكان، فباشر الأستاذ أمين مسألة البناء واشتهر بين الناس باسم مسجد عبد الله، وهو يعني في الأصل التاجر الوجيه المحسن والده عبد الله محمد مهدمي، ولكن وكما يقال لم يبدي أي تجاوب مع الاسم المقترح مع أن الشيخ عبد الله مهدمي يستحق أن يكون باسمه مثل هذا المسجد، ولذلك اقترح عليه الشيخ محمد عمر مقرم تسمية المسجد باسم مسجد الشيخ عبد الله عمر والمقصود هو الشيخ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي شهر ربيع الأول من عام ١٤٤١هـ كان الافتتاح، لكن الافتتاح الرسمي كان شهر شعبان عام ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠م.

فمن هو عبد الله بن عمر هذا؟

عبد الله بن عمر هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو أكثر الصحابة رواية لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، زهد في الخلافة واعتزل الفتنة ومدحه كثير من الصحابة وأثنوا عليه. توفي بمكة ودفن بها (١٠ ق هـ ـ ٧٣هـ) (٦١٣ـ ٦٩٢م) وكان إسلامه بمكة مع أبيه ولم يكن قد بلغ وهاجر إلى المدينة وعمره عشر سنوات وهو أحد العبادلة وروي أن له (١٦٣٠) حديثاً.

وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم كل المشاهد ما عدا بدر وأحد حيث استصغره الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان عمره عند موته ٢٢ سنة.

سأله رجلاً عن العلم فقال: ((العلم كثير يا ابن أخي، ولكن إذا استطعت أن تلقى الله عز وجل خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم خامص البطن من أموالهم، لازماً لجماعتهم فافعل)).

وكان عبد الله من فقهاء الصحابة المعدودين، وقد عرضت عليه الخلافة فرفضها مرات، ويكفي أن تقول إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيه: ((ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر)).

الفصل السادس

هذا هو الفصل السادس من الكتاب وبه ختامه، ويضم المساجد التي كانت عامرة في مدينة الشحر ثم اندرست لأسباب لا نعلمها، ومن تلك المساجد :

** ثلاثة ذكرت في قائمة المساجد العامرة عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) وقد حاولنا معرفة شيء عنها فجاء ذكرها في الفصل الثاني من كتابنا هذا ونذكرها هنا كما جاء نص أسمائها في كتاب الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف الشهداء السبعة، وهي:

١ـ مسجد الشيخ عبد الرحمن بن مزروع (حي القرية ـ ومكانه لا يعرف الآن)

٢ـ مسجد الشيخ عبد الله أحمد باسرومي (القرية ـ ومكانه لا يعرف الآن)

٣ـ مسجد الشيخ عبد الله محمد باسبوعة (حي عقل باعوين ـ مكانه لا يعرف الآن).

** مسجد السلطان: ويقع بحي المجرف (حي الصيادين) وفي التحقيق للأخ محمد عبدالنور جاء اسم الحي خطأ هكذا (المرجف)، ونحن لم نستطع أن نعرف من هذا السلطان وربما ظننا أنه أحد سلاطين دولة آل بريك التي حكمت الشحر وأعمالها ما بين (١١٦٥ ـ ١٢٨٣هـ) (١٧٥١ ـ ١٨٦٦م) ولم يذكر أحد من المؤرخين الذين وقعت مؤلفاتهم بين أيدينا أنهم أشادوا مسجد أو مدرسة أو وحدة صحية أو أي مرفق لصالح الجماهير الذين حكموهم، مع علمنا أن سلاطين الدولة القعيطية أشادوا مسجدين بالمكلا مسجد الغالبي وهو ينسب للسلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي المتوفي بالهند في يونيو ١٩٢٢م، ومسجد عمر وينسب

للسلطان عمر بن عوض بن عمر القعيطي المتوفي بالهند في فبراير ١٩٣٦م وكلاهما قبرا بحيدر أباد بالهند.

** مسجد المساوى: وجاء في كتاب المحقق عبد النور (السماوي) ولكن لا نعرف من آل مساوى الذين ينسب إليهم هذا المسجد وفي الحي أسر كثيرة من آل المساوى الحضارم وغيرهم علويين في تريم وغيرها وهم نسل محمد (المقلف) بن أحمد بن أبي بكر (السكران) بن عبد الرحمن السقاف (المعجم اللطيف، لمحمد الشاطري ص ١٧٠).

** مسجد بن علوي: يعتقد الآن أن موقعه خلف أو في جانب مبنى تعاونية الصيادين على الساحل، وهذا المسجد لا ذكر له عند المؤرخ باحسن في الجزء المخصص لمساجد الشحر عامرها والمندرس فيها ولا في وثائق الأهالي، عند أحمد الملاحي ولا عند طاهر الأرضي ولا عند سالم هلال ولا عند عبد الخالق يسر ولا عند غيرهم، وقد ورد في إحدى وثائق بيع ونصها: (وبحرياً الطريق ومسجد بن علوي) ولعل المؤرخ باحسن قصده عند قوله: (ومسجد أيضاً بناحية الجامع إلى البحر).

** مسجد الشيخ فارس: قال المؤرخ باحسن عند ذكر مسجد الشيخ عمر المحضار السقاف بالخور (حي الصيادين): (وبالجانب الشرقي من مسجد المحضار مسجد الشيخ فارس وقد اندرس) ولم يزد على ذلك، وفي كتاب (أنس السالكين) المخطوط وهو من تأليف عبد الرحمن باهارون من أهل القرن العاشر الهجري ما نصه (أن للعارف بالله الشيخ فارس باقيس الدوعني مسجد بالشحر وقد كان صاحب سماع وتواجد وله راتب في مسجده ليلة الجمعة وليلة الاثنين) وبالمناسبة فإن بقرية (الواسط) التي تقع شمال مدينة الشحر وعلى بعد يقرب من خمسة عشر كيلاً مسجد يقال له (مسجد فارس).

** مسجد ابن معوضة: في وثائق أسرتي باسم جدي الشيخ سعيد عوض حداد أنه اشترى نخلاً بقرية تبالة التي تقع شمال مدينة الشحر وعلى بعد من نحو خمسة كيلاً وجاء في حدود هذه القطعة ما نصه: (ويحدها من الجهة البحرية دبر مسجد ابن معوضة) وهذا المسجد لا نجد له ذكراً في كل الوثائق التي رجعنا إليها واعتمدناها كمراجع للكتابة عن تاريخ مساجد مدينة الشحر إلا تلك الوثيقة ونظن أن المسجد يقع في أحد أحياء مدينة الشحر أو في قرية زغفة فإن ابن معوضة أحد حكام الجزء الغربي من مدينة الشحر وإلى حسي مرير المواجه لقرية زغفة وسوف يظل هذا في ظننا وارداً حتى نجد ما يبطله في القادم من الأيام أو يأتي من يصحح هذا الظن.

** مسجد بادهمج: وهناك وثيقة أطلعنا عليها الأستاذ أحمد كرامة البحسني مدير إدارة القضاء بالشحر وصاحب كتاب (قضاة الشحر) والوثيقة من وثائق السلطنة القعيطية وهي تذكر صدقة (مسجد بادهمج) بحي الخور بالشحر ولهذا المسجد (الضويرة) من أراضي عرف وهذه الأسرة كانت تسكن الشحر ولم يعد لهم وجود اليوم.

** وفي وثيقة قديمة أكلتها العثة والقدم وعدم الاهتمام يظهر في ركنها الأيمن توقيع نائب الشرع (القاضي) ناصر بن صالح بن عبد الله بن الشيخ علي وهي وثيقة بيع وعليها تاريخ ربيع ثاني وفيها ما نصه: (منها فردتي ماء وقف لمسجد (الخراب) بحافة المجرف والمسمى مسجد مكي بن محمد الهمداني، ونلاحظ أن الفقيه القاضي ناصر بن صالح هو باني مسجد المدرسة العامر إلى يومنا هذا وكان قد تولى القضاء بالشحر عام ١٢٨٦هـ (١٨٦٧م) وتوفي رحمة الله في مسقط رأسه مدينة الشحر في ١٣ جمادى الآخر عام ١٣٠٠هـ والعجيب في الأمر أن لا يذكر هذا المسجد المؤرخ باحسن مع أنه أحد تلاميذ هذا القاضي الشيخ ناصر.

والاسم الهمداني ليس غريباً هنا فقد ورد اسم آخر لهذه العائلة / القبيلة أيام الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بافضل ساكن الشحر وهو مؤلف كتاب المقدمة الحضرمية في الفقه فقد ذكر مؤلف كتاب (صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل) الشيخ محمد عوض بافضل إن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن يذهب صباح كل جمعة إلى قرية دفيقة ويتوغل إلى وادي مريقان وهي اليوم حي الفلاحين بالشحر بعد التوسع العمراني وقال عند عودته (فلما وصلنا إلى قرب البلاد والبيوت وموضع البستان المشهور بستان محمد علي بن أبي بكر بن علي الهمداني رآني وقال: من أين جئت ...).

وعلى أي حال فإن همداني أسر وقبائل ومنهم أن الدولة الصليحية من قبيلة همدان وقد احتلت الدولة الصليحية الشحر (انظر بامطرف الشهداء السبعة).

ثم إن رأس الدولة الأباضية الحضرمية هو الشيخ أبو إسحاق الهمداني وترجمته ونشاطه في (صفحات من التاريخ الحضرمي) للمؤرخ سعيد عوض باوزير وترجمة موجزة في كتاب الأستاذ بامطرف الجامع.

ومعروف لدينا أن كثيراً من النسابة يرون أن آل كثير من قبيلة همدان ومنهم من يتنصر بقولهم (همداني غلابة...) ولكن بعض النسابة يعدون نسبهم كما يسود الاعتقاد أنهم من قبيلة انحدرت من ضنة فهم من القبائل القضاعية ولننظر مثلاً كتاب الأستاذ بامطرف (الشاعر الشعبي المعلم عبد الحق الدموني).

مسجد بن مسينون :

تناهى إلى سمعي وأنا أضع اليوم الاثنين ـ ٦ ديسمبر ٢٠٢٠م ـ اللمسات الأخيرة لكتابي تاريخ مساجد الشحر وأصحابها، أن مسجد ابن مسينون لم يعد له وجود البتة فقد قشط تماماً والصحيح أن المسجد على صغره قد أصيبت جدرانه ببعض الشقوق والتصدع نتيجة أمطار عام ٢٠٠٣م التي سقطت على حضرموت ومنها مدينة الشحر لكن هناك من دكّه وجعله أرضاً ثم تم بيعه قطعة أرضية، وكان آل العيدروس بالشحر هم الذين هدموه بحجة أنه في أرضهم التي يدعونها من أملاكهم وقد أقرها لهم القضاء الشرعي بالشحر.

وكان هذا المسجد أولاً مصلى على بئر زراعية تقع على مرتفع (مسيال) مجرى سيل دفيقة وهو على الطريق العام المؤدية إلى شرق مدينة الشحر، وقد أشاد المصلى هذا الشيخ كرامة سعيد ابن مسينون في السبعينات من القرن الماضي تحول المصلى إلى مسجد في الثمانينات من نفس القرن وعرف بمسجد بن مسينون، والمسجد في أي مكان وفي أي زمان يعد من بيوت الله سبحانه ولا يمكن هدمه تحت أي مبرر أو ذريعة، ناهيك عن دور فرع مكتب الإسكان والتوسع العمراني ومكتب الأوقاف وإدارة القضاء الشرعي ومكتب النيابة العامة والإدارة المحلية التي سكتت عن الحادث وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً مع أن عمر المسجد خمسين عاماً أو على الأقل أربعين عاماً فهل الكل على غير علم ودراية بالخبر، إنها تمثل المثل السائر (أرض بو طمبل وأنت إن تشل يدك تشل)، إن السكوت على مثل هذا سيتكرر.

ملاحظة :

منحنا الأستاذ أحمد كرامة البحسني صورة من وثائق محكمة الشحر التي يعمل بها رئيساً، تضم عدداً من المساجد لديها أوقاف من أرض زراعية ولم نستطع معرفة أماكن وجود هذه المساجد، واستقر رأينا على أنها ضائعة الموقع.

ملحق رقم ١

حمام المسجد

كل علماء الدين في حضرموت والمثقفين والمؤرخين والأساتذة مع كل الجماهير والعامة يطلقون على الجزء المسقوف من المساجد في بلدان حضرموت (حمام) وهو الجزء الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم (بيت الصلاة) وفي الحقيقة لا أعلم متى بدأ استعمال هذه التسمية الخطأ ومن الذي أطلقها على هذا الجزء الهام من المسجد.

الأستاذ محمد حسين بن الشيخ أبوبكر نشر رسالته المسماة (مساجد مدينة الشحر) في طبعتها الأولى عام ٢٠١٧م وهي رسالة تقدم بها لنيل شهادة الماجستير إلى كلية الآداب بجامعة صنعاء، قسم الآثار وكانت الرسالة عملا كبيرا وجيدا يتعلق بالآثار والعمارة الإسلامية، وأفرد باباً تحت عنوان (المصطلحات والألفاظ المحلية في العمارة) لكنه تعامى عن هذا المصطلح أو ربما أغفله عامداً.

ونشر الأستاذ خالد يوسف الهندي كتابه (الشحر حضارة وتاريخ ومعلم) في طبعته الأولى عام ٢٠١٥م ولكنه لم يتجاسر على ذكر هذه التسمية لأحد أجزاء المسجد الهامة ربما لأنه لم يستسغها أو لم تلق قبولاً لديه وفضل أن يكتب بديلا عنها قوله: (ويتكون المسجد من غرفة مسقوفة وضاحي...) والضاحي هو صحن المسجد .

لكن صديقنا الأستاذ أحمد عمر مسجدي ذكر ذلك المصطلح مباشرة دون مواربة ولا هرب في كتابه (مقدمة في التراث والموروث الشعبي بشواهد المحضار الشعرية) الذي صدر في طبعته الأولى عام ٢٠١٨م عن الهيئة العامة للكتاب وجاء فيه ما نصه هكذا: (حمام المسجد: وهي التسمية المتداولة للجزء المسقوف من المسجد وفيه تؤدى الصلاة لكونه الجزء الرئيسي في المسجد... وفي الحمام يكون المحراب (القبلة) وهو عبارة عن بناء محدب الشكل من أعلى يتجه تجويفه نحو الخارج في منتصف جدار القبلة ويتسع للإمام وحده) ص ٧١ ولم يثر هذا المسمى عنده أي إشكال أو استنكار، وأنا هنا لا ألوم أحداً ولا أتهم أي شخص أو جماعة أو فئة بأنها هي التي وسمت هذا الجزء من المسجد ودسته باسم (الحمام) ونحن كجميع المسلمين نتبع رسولنا الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ونحرص على اتباع سنته فهو قد سمى هذا الجزء باسم (بيت الصلاة) فمن الذي تجرأ وغير هذا الاسم؟ وأطلق عليه اسم (الحمام) اللفظة البذئية.

إن المتابع للعمارة الإسلامية والمساجد على وجه الخصوص لا يجد لها ذكراً في أغلب كتب التاريخ التي صدرت أو حبرت في القرن العاشر الهجري، لكن كتاباً واحداً وهو المسمى (تاريخ حضرموت) المعروف بتاريخ شنبل وهو من تأليف المؤرخ أحمد عبدالله شنبل العلوي المتوفي عام ٩٢٠هـ (١٥١٤م) وهو تاريخ حولي، ذكر في أحداث عام ٩١٣هـ (١٥٠٧م) قال: (وفيها بني حمام مسجد باعمران بالشحر).

وفي صفحة (٢٥٠) منه قوله في أحداث عام (٩١٧هـ): (بدع محمد بن أحمد بن سلطان حماماً في جامع تريم، وفيها بدع الشريف سالم عبد الله باحسن حمام مسجد جده بالرباط وفيها بدع الشريف سالم بن عمر باعمر حمام مسجد المصف بقسم).

وفي صفحة (٢٥١) في أحداث عام ٩١٨ هـ قوله: (بدع أحمد بن رضوان حمام مسجد شجعنة).

وفي الحديث الذي سجله الأستاذ حامد محمد بن شهاب في كتابه (الدليل القويم..) قال عند الحديث عن مسجد آل أبي علوي: (ثم بنى له محل كنين للصلاة أيام الشتاء ملاصقاً له من جهة الشرق... وتسمى عندهم حماماً) ص١٢٩.

وعند ترجمة أحمد علوي بن المعلم المتوفي عام ٩٧٣هـ ذكر محمد الشلي (ت ١٠٩٣هـ) في كتابه الشهير (المشرع الروي) ما نصه: (وكان كثير الاعتكاف في مسجد بن علوي وأكثر جلوسه في حمامه وكان ملازماً الصمت لا يتكلم إلا عند الضرورة) ج٢/ ٧٠٠.

وفي كتاب المؤرخ ابن عبيد الله السقاف (إدام القوت) عند ذكر بلاد حوطة أحمد بن زين قال: (وكان بالغرفة يصلي جماعة في مسجد ينسب لبعض الفقراء من أهل الغرفة فحصل من أولئك الفقراء المنسوب إليهم ذلك المسجد المسمى ـ بالحمام ـ أذى ...) فمن يقصد بهؤلاء (الفقراء) فهل تعمد أن يمسك عن اسم مؤسس المسجد ووضعها على هؤلاء المجهولين، ربما!!

ومنذ ذلك الوقت وربما قبله والناس يسمون هذا الجزء من المسجد حماماً وقد وردت هذه التسمية في أدبهم الشعبي، ولنضرب مثلاً على ذلك هذا الشاعر الشعبي الشهير محفوظ بن عبد الرحمن العطيشي (انظر ترجمته في كتابنا معجم شعراء العامية الحضارم) يرد على شاعر بادية الحموم (انظر ترجمته في نفس الكتاب) قال الشاعر أحمد معلاق:

أنا تعلمت في العلمة وبغيت الشيخ يتعلم وعبرت فيها ثمانية أيام

فرد عليه العطيشي قائلاً:

تعلمت العيب والنقص والسرقة لا تعرف المسجد ولا الضاحي ولا الحمام

وفي أخرى لشاعر الأغنية العامية حسين أبو بكر المحضار قال:

نعرفك جم كسرت في (الـديني)
وكســـــرت في (بـــن قبولـــة)
(حمـام) يشـكي وقبلـة وضـاحي
والـدرج والبـير تشـكي والمقـود

وكتب الشيخ علي سالم بكير باغيثان بحثاً صدر في كتيب تحت عنوان: (الجامع في تاريخ الجامع) وهو بحث في تاريخ جامع تريم وقد صدر حسبما جاء في مقدمة الكتاب في ١٦ فبراير عام ١٩٧٣م دون ذكر لتاريخ النشر ولا مكانها، وذكر فيه عمارة باسكونه لمسجد جامع تريم ما نصه: (في سنة ٩١٧ هـ (١٥١١م) عمر له ابن السلطان عامر بن عبد الوهاب حماماً... وفي هامش نفس الصفحة قال: (يطلق الحمام في عرف الجهة الحضرمية على المكان الكنين الذي يلحق بالمسجد للصلاة فيه أيام الشتاء).

ومع أن ما بين يدي لا يدلني على الحل ففي نفسي شيء من قبل الباطنية فهم يبغضون الإسلام وأهله ومذهبهم الإباحة والراحة فهو يريحهم مما تلزمهم الشرائع الإسلامية من طاعة الله، كما يذكر الحمادي في كتابه: (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) وربما كان أتباعهم ودعاتهم من أطلق هذه التسمية على أقدس مكان في المسجد.

ولكني في الواقع في حيرة من الأمر،فكيف لي أن أبرز ما سكت عنه علماء حضرموت طوال فترة ليست بالقصيرة وهي على أقل تقدير قرون، ومن الطبيعي أني لا أتهم أحداً منهم ولا أظن أن أحداً منهم تعمد إطلاق هذه اللفظة على هذه البقعة المقدسة ولكني أريد تفسيراً مقنعاً لهذا الأمر وحتى يطمئن قلبي.

ونحن أيضاً لا ندري متى بدأ إطلاق هذه التسمية المستهجنة على أقدس مكان في بيت الله ولكننا نستطيع القول أنه معروف على الأقل من أيام المؤلف شنبل العلوي المتوفي في ٩٢٠هـ بالشحر، بالمقابل فإننا نطل على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف الدكتور مؤنس في كتابه (المساجد) الذي صدر عن سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٣٧ نجده يقول تحت عنوان بيت الصلاة والصحن: (بيت الصلاة الجزء المسقوف من لمسجد ناحية القبلة ففيه القبلة والمحراب والمنبر وفوقه في كثير من الأحيان تقوم القباب وفي العادة يقوم بيت الصلاة على أعمدة تحمل فوقها عقوداً أو أقواساً وفوق هذا يقوم السقف وينقسم بيت الصلاة إلى أروقة) ص٦٨.

لهذا كان التوجه إلى الشيخ عبد الكريم عبد القادر الملاحي الفقيه الداعية المتوفي بالشحر في ١٨ ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق أول سبتمبر ١٩٩٦م، وطرحت عليه سؤال عن اللفظة

التي يطلقها أهل حضرموت على هذا الجزء من المساجد فكانت إجابته لا تخرج عن جواب الشيخ باغيثان في كتابه السابق (الجامع في تاريخ الجامع) واستمرت معه المناقشة وذكرت له ما ورد عند شنبل عمارة حمام مسجد بن عمران بالشحر فكيف سرت التسمية إلى بقاع أخرى لا نجد للشتاء بها برد شديد وقارص فقال ـ رحمه الله ـ ربما كان للحمام هنا معنى مجازياً وهو أن نتطهر من النجاسات في العقول والقلوب مثلما نزيل عن أبداننا النجاسات ونتطهر من الأوساخ والأقذار في الحمامات الطبيعية، نعم إن الشيخ عبد الكريم حاول أن يجد مخرجاً للفظة التي لا مكان لها في المسجد وفي بيت الصلاة منه خاصة إذا علمنا أن الحمام هو بيت ومسكن الشيطان.

إن الذي يقصده شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الحديث ـ والله أعلم ـ هو ما ذكره في (شرح العمدة) ج٤/ ٤٥٦ في المواضع المنهي عن الصلاة فيها قال: (... كذلك الحمام فإنه مع أنه مظنة النجاسة فإنه بيت الشيطان، كما جاء في الأثر الذي ذكرناه في الطهارة أن الشيطان قال أي رب اجعل لي بيتاً قال بيتك الحمام، وهو محل للخبث والملائكة لا تدخل بيتاً فيه خبث) ا.هـ. والأثر المشار إليه جاء في المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢٠٧ وفي تهذيب الآثار لابن جرير الطبري ٢/ ٦٤٤ ولفظ الطبراني: (حدثنا يحيى بن أيوب ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد بن زفر عن علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً أو كما قال فاجعل لي بيتاً قال الحمام.... إلى نهاية الحديث.

وهذا الحديث ضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء وقال رواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضاً، وكذا ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد لضعف علي بن يزيد الالهاني.

وذكر كل من حديث أبي أمامة وابن عباس رضي الله عنهما الشيخ الألباني في الضعيفة ٦٠٥٤ و ٦٠٥٥ فلتراجع، وعلى أي حال فإن اللفظة وردت أكثر من مرة أن الحمام بيت الشيطان وأنه مكان خبث ومظنة النجاسة رغم ضعف الحديث بضعف أحد رواته فتجنباً لأي شك وريبة أن نجعل هذه التسمية تطلق على أشرف مكان في المسجد وهو الذي أسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (بيت الصلاة) والأجدر بنا أن نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أن نخلق أسماء من عندنا له ثم نفكر في تعليل هذه الأخطاء، نعم إن هذا الخطأ شائع بيننا وهي مفاهيم يجب أن تصحح والله أعلم بحقيقة الأمر.

ملحق رقم ٢

شكر وعرفان

كان كل ما استطعت جمعه من كتابات على الصعيد المحلي لا تروي غلة، أو على تقديري لا تجيب على أسئلتي الكثيرة عن المساجد التي أنوي الحديث عنها في المحيط وحدود الدراسة فكان علي أن أستعين ببعض الكتب التي صدرت هناك في بعض البلاد العربية لذلك استعنت بعدد من الأصدقاء ومنهم من لبى ندائي وقدم لي بعض الدراسات والكتب التي صدرت هناك حول مجال الدراسة خارج البلد هدايا منهم لم أدفع فيها أي ثمن مع أنها أثمن مما أقدر لها أي ثمن.

وكان لزاماً علي أدبياً أن أقدم آيات الشكر والعرفان لهؤلاء فرداً فردا، وهو ما تسعفني به ذاكرتي عند تسجيل هذا الملحق المضاف إلى كتابي هذا (تاريخ مساجد الشحر وأصحابها) وهؤلاء:

- كتاب مساجد صنعاء عامرها وموفيها، من جمع الحاج محمد بن أحمد الحجري قدمه هدية الشاعر المعروف والصديق حسين أبو بكر المحضار.
- كتاب الوجيز في تاريخ مساجد صنعاء القديم والجديد لمحمد عبد الملك المروني، قدمه هدية الدكتور علي حسين المعيلي.

- كتاب اليمن نشأتها وتطورها للأستاذ محمد زكريا، قدمه لي هدية الأستاذ الفنان محمد فرحان (من أهالي عدن)
- كتاب حلقات القرآن ومجالس العلم في مساجد عدن للأستاذ أمين سعيد عوض باوزير قدمه هدية الأستاذ عمر أحمد جبران.
- كتاب حلقات القرآن الكريم بجامع العسقلاني بعدن، لأمين سعيد عوض باوزير قدمه بنفسه هدية.
- الأوقاف والإرشاد في موكب الثورة هدية من الشاعر محمد علي عبد القوي.
- كتاب مساجد الكويت طرزها الإسلامية وأصولها المعمارية، قدمه هدية صديقي سعيد سالم باصميدي العوبثاني.
- كتاب الجامع في تاريخ الجامع كتبه الشيخ علي سالم بكير ويحكي تاريخ مسجد جامع تريم، قدمه لي شخصياً هدية منه.
- كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد للشيخ الزركشي، قدمه هدية الأستاذ علي عمر باسلامة.
- كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (أربعة مجلدات) من تأليف د. سعاد ماهر هدية من الصديق علي عمر باسلامة.

وهناك كثير من الكتب والدراسات حصلت عليها من المنتديات الإلكترونية والمواقع التي تمنح تنزيلها مجاناً، وسترد معنا هنا في قائمة الهوامش والمراجع.

إضافة إلى كتب ذكرت في صفحاتها وبعض أبوابها إشارات مقتضبة عن هذا المسجد أو ذاك وكذلك المجلات والصحف، وظللت أنتظر الاطلاع على بعض الكتب المخطوطة أو المطبوعة دون طائل، ومنها:

** إشارة الأستاذ بامطرف إلى ملزمة الشيخ عبد الخالق يسر ـ رحمه الله ـ.

** كتاب (مساجد مدينة سيئون) للشيخ عبد القادر محمد الصبان، مخطوط بيد أسرته إلى يومنا هذا.

ولا أطيل فالذي وقع في أيدينا وعلى قلته كان دليلنا ومرجعنا لتأليف هذا الكتاب، كتاب (تاريخ مساجد مدينة الشحر) وعسى أننا بهذا حققنا رغبة عارمة استغرقت أكثر من نصف عمري، ساعدني الله وأكرمني على إتمامه وألهم آخرين على تقديم ما يمكنهم تقديمه، والله الموفق.

المراجع

المطبوعات :

- اتحاد الأدباء، المكلا، بامطرف الحاضر الغائب (أربعينية)، دار الهمداني الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- ابن هاشم، محمد العلوي، تاريخ الدولة الكثيرية، دار الكاتب العربي، الطبعة الأولى ١٩٤٨م.
- ابن هاشم، محمد العلوي، رحلة إلى الثغرين، مطبعة حجازي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٣١م.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، المكتبة اليمنية الحولية، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- ابن حميد، محمد سالم، العدة المفيدة، مكتبة الإرشاد، جدة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.
- ابن الشيخ أبو بكر، محمد حسين، مساجد مدينة الشحر، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- ابن كثير، إسماعيل عمر، البداية والنهاية، طبع في مصر ١٣٥١هـ.
- ابن شهاب، حامد محمد، الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم، مكتبة تريم الحديثة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- بكير، علي سالم، الجامع في تاريخ الجامع، دون تاريخ ولا دار نشر.

- البطاطي، عبد الخالق عبد الله، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت، طبع على نفقة المؤلف، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
- بافقيه، الطيب الشحري، محمد بن عمر، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق الحبشي، الإرشاد ـ صنعاء الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- باكثير، محمد عمر، البنان المشير في أدباء آل كثير، مطابع المفضل ـ صنعاء، الطبعة الأولى دون تاريخ.
- باوزير، محمد سالم، البدر المنير في نسب آل باوزير، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٠٣م.
- باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، نشر المؤلف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦١م.
- باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، المطبعة السلفية ـ القاهرة، ١٩٥٨م.
- بحرق، محمد عمر، البردة في مدح خير البرية، كتاب إلكتروني، الطبعة الأولى.
- بحرق، محمد عمر، مواهب القدوس سُلّ من كتاب العيدروس، دون تاريخ ولا دار نشر.
- بامطرف، محمد عبد القادر، الشهداء السبعة، الطبعة الثانية، دار الهمداني ـ عدن ١٩٨٣م.
- بامطرف، محمد عبد القادر، الرفيق النافع، مطبعة دار السلام ـ عدن، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.
- بامطرف، محمد عبد القادر، ملاحظات على ما ذكره الهمداني، دار الهمداني ـ عدن، الطبعة الأولى ١٩٨٤م
- باحنان، محمد عوض، جواهر تاريخ الأحقاف، دار المنهاج، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- بافضل، محمد عوض، صلة الأهل في مناقب آل بافضل، تحقيق ابن المؤلف، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- بامخرمة، الطيب عبد الله، قلادة النحر، الجزء الثالث، تحقيق محمد عبد النور، وزارة الثقافة ـ صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- البغدادي، صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٥٤م.
- البيومي، محمد رجب، مجالس العلم في المسجد الحرام، المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة المسلم الصغير، الطبعة الأولى رقم (٢٦).
- باجمال، عبد الرحمن بن سراج الدين، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، مكتبة تريم، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد الأكوع، وزارة الإعلام الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، دار العلم ـ بيروت، الطبعة الأولى دون تاريخ.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٧٦م
- الجوهي، حسن، إمارة آل بن بريك بالشحر، دار الوفاق ـ عدن، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- الحجري، محمد أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، الجزء الثاني، وزارة الإعلام ـ اليمن، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
- خرد، محمد علي، طراز البهاء الضوي في مناقب السادة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- الحامد، صالح علي، تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد بجدة، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
- الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، الطبعة الأولى.
- الحداد، علوي بن طاهر، أسئلة في التاريخ، تريم للدراسات، الطبعة الثانية ٢٠١٣م.
- الحداد، علوي بن طاهر، الشامل في تاريخ حضرموت، نشر مركز الدرسات التاريخية، المكلا، الطبعة الثانية ٢٠١٦م.
- حمدان، خميس كرمة، الشحر في أدوار من تاريخها، مركز الدراسات بصنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- الخزرجي، علي بن حسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مركز الدراسات بصنعاء، الطبعة الأولى ١٩١١م.
- حداد، عبد الله صالح، معجم شعراء الحضارم العامية، مركز الدراسات/ المكلا ٢٠١٦م
- حداد، عبد الله صالح، المكتبة السلطانية بالشحر، مركز الخيصة، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- حداد، عبد الله صالح، الاستحكامات الدفاعية، الشحر نموذجاً، مكتبة المنار بالشحر، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- حداد، عبد الله صالح، الابتهالات والمدائح في حضرموت، الابتداء والانتشار،، مدينة الشحر نموذجاً، مطابع وحدين، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- حداد، عبد الله صالح، الشواني رقصة شعبية حضرمية، مكتبة المنار، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.
- حداد، عبد الله صالح، العدة رقصة شعبية حضرمية، المركز اليمني بالمكلا، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

- حداد، عبد الله صالح، الرقص الطقوسي، مجلة الحكمة العدنية عدد (١٠٠) وملحق مجلة الواعدون ١٩٨٣م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- الزركشي، محمد عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧م.
- السقاف، عبد الله، تاريخ الشعراء الحضرميين ٥ أجزاء، الطبعة الأولى ١٩٣٤م.
- السقاف، أحمد عبد الله، خدمة العشيرة بترتيب شمس الظهيرة، مطبعة كاي سنغافورا، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- السقاف، علي أبو بكر، البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ.
- السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، إدام القوت معجم بلدان حضرموت، تحقيق محمد أبو بكر باذيب، دار المنهاج، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
- الناخبي، عبد الله بن أحمد، شذرات من مناجم الأحقاف، دار الأندلس بجدة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- باسخلة، عبد الله محمد، العقد الثمين الفاخر، مكتبة الإرشاد بصنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- سعاد، ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحين، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧١م.
- الشرجي، أحمد الزبيدي، طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

- العطاس، أحمد بن حسن، السفينة المجموعة في نسب بعض الحضارم، نشرها عبد الله صالح حداد بمجلة العرب ـ وهناك من سل المقال ونشره دون ذكر للناشر ـ.
- العيدروس، شيخ بن عبد القادر، النور السافر من أخبار القرن العاشر، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- الشلي، محمد بن أبي بكر، المشرع الروي، الطبعة الأولى، طبعة هندية، المطبعة الشرقية ١٩٠٢م.
- الشلي، محمد بن أبي بكر، المشرع الروي، الطبعة الثانية، طبعة معدلة محذوف منها جميع الكرامات ١٩٨٢م.
- الشلي، محمد بن أبي بكر، السناء الباهر، مكتبة الإرشاد بصنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- الشلي، محمد بن أبي بكر، الجواهر والدرر، مكتبة تريم، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- المقالح، عبد العزيز، شعر العامية في اليمن، دار العودة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
- المحبي، فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار الكاتب ـ القاهرة، دون تاريخ.
- المقدي، علي حسين، مدرسة مكارم الأخلاق، إصدار مكتب وزارة التربية والتعليم م/ حضرموت، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.
- مسجدي، أحمد عمر، مقدمة في التراث بشواهد المحضار الشعرية، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة ـ صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- مؤنس، حسين، المساجد، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، عدد (٣٧).

المخطوطات :

- الأرضي، مبارك صالح، المدونة التاريخية بمكتبة حفيده محمد علي مبارك.
- باحسن، عبد الله محمد، النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، مكتبة الأحقاف للمخطوطات ـ تريم.
- باهارون، عبد الله محمد، أنس السالكين في مناقب الصالحين بمكتبة سالم سعيد حمدون.
- الحامد، حسن بن إسماعيل، النهر المورود في مناقب فجر الوجود، مكتبة الشيخ سالم خميس حبليل.
- مدهر، عبد الله محمد، أنفاس الشيخ ابن إسماعيل، مكتبة الأحقاف للمخطوطات ـ تريم.
- بامطرف، محمد عبد القادر، الشعر الحضرمي فن وصناعة، الأجزاء الثلاثة الأولى، مكتبة المؤلف.
- وثائق الراوي عوض سالم عبدن.
- وثائق الراوي سالم هلال الحبشي.
- وثائق الراوي عبد الخالق يسر.
- وثائق الراوي طاهر علي الأرضي.
- وثائق الأسرة للشيخ سعيد عوض حداد.
- الملاحي، أحمد عبد القادر، المذكرة التاريخية (مصورة).
- بامطرف، محمد عبد القادر، وثائق وأعمال ميدانية.
- حمدان، خميس كرامة، شخصيات شحرية لها تاريخ، مكتبة المؤلف.
- حمدان، خميس كرامة، رسائل موجهة للكاتب حداد.
- حداد، الخاذ، مذكرات مؤلف الكتاب.
- رسائل من المجلس العالي للقضاء بالمحافظة.
- باقشير، عبد الله محمد، مفتاح السعادة والخير.

الرواة :

- محمد عبد القادر بامطرف.
- الراوي عوض سالم عبدن.
- الشاعر محمد أحمد باوزير (أبو سراجين).
- الشاعر عوض سالمين باصالح.
- الراوي عمر سالم الأرضي.
- عبد الملك عوض التميمي.
- الشاعر حسين أبو بكر المحضار.
- الراوي صالح عبد الله بامعرفة.

الفهرس

المقدمـــــة ٥
الفصـــــل الأول ١٩
مســجد الجــامع بالشــحر ١٩
الفصـــل الثـــاني ٥٣
مسجد الشيخ عبـد الله مـول المحطـة ٥٦
مســـجد الشـــيخ ســـعد ٦٣
مســجد فضـــل بافضـــل ٧٠
مســجد عمـــر المحضـــار بحـــي الخـــور ٧٤
مســجد عمــر المحضــار بحــي البــاعوين ٧٤
مســـجد عبـــد الله اليـــافعي ٨٠
مسجد عبـد الـرحيم بـاوزير ٨٤
مســـجد بـــاهراوة بـــاقرين ٨٦
مســـــجد باغريـــــب ٩٢
مســـجد بـــن مـــزروع ٩٤
مســـجد بـــاسرومي ٩٥
مسـجد إبـراهيم الـديني ٩٧
مســـجد بـــن عمـــران ٩٩

مسجد بازيراق ١٠٦
مسجد بالحاف ١٠٧
مسجد بن قضيمتي ١١٢
مسجد بن سعيد ١١٤
مسجد سيف الدين الكهالي ١١٧
مسجد الغالبي ١٢٤
مسجد باسبوعة ١٢٧
مسجد العتيق ١٣٠
مسجد بن جوبان ١٣٧
مسجد عمرو ١٤١
مسجد باذيب ١٤٤
مسجد العيدروس الكبير ١٤٧
الفصل الثالث ١٥٠
مسجد علي عيديد ١٥٠
مسجد الشيخ أحمد ١٥٢
مسجد الحداد ١٥٥
مسجد غبطة ١٥٨
مسجد الشيخ عبد الله بن شيخ ١٦٠
مسجد علي ١٦٥

مسجد بن قبولة ١٦٦
مسجد بن أحمد ١٧٣
مسجد المدرسة ١٧٩
مسجد باحجر ١٨٧
مسجد باهارون ١٨٩
مسجد شيخ بن إسماعيل ١٩٢
مسجد مرشد ١٩٤
مسجد الروضة ١٩٥
مسجد بقشة ١٩٩
مسجد عيدروس الرملة ٢٠٣
مسجد بافقيه ٢٠٧
مسجد باخليفة ٢١٠
مسجد أبو بكر بن شيخ ٢١٥
مسجد الرباط الشريف ٢١٨
مسجد النور ٢٢٤
مسجد الزاوية ٢٢٧
مسجد عيديد للنساء ٢٣٢
مسجد إسماعيل ٢٣٤
مسجد قبة علي بن حسين ٢٣٧

الفصل الرابع ٢٤٠
مسجد الأوابين ٢٤٠
الفصل الخامس ٢٤٥
مسجد الرحمة ٢٤٦
مسجد أبو بكر الصديق ٢٤٧
مسجد عمر بن الخطاب ٢٤٧
مسجد الفاروق ٢٤٨
مسجد عثمان بن عفان ٢٤٨
مسجد علي بن أبي طالب ٢٤٨
مسجد الخلفاء الراشدين ٢٤٩
مسجد المدينة ٢٤٩
مسجد القدس ٢٤٩
مسجد المهاجرين ٢٥٠
مسجد الأنصار ٢٥٠
مسجد الفرقان ٢٥٠
مسجد التقوى ٢٥٠
مسجد السلام ٢٥١
مسجد الضياء ٢٥١
مسجد الغفران ٢٥١

مسجد الهدى ٢٥١
مسجد الشفاء ٢٥٢
مسجد الفلاح ٢٥٢
مسجد الإنابة ٢٥٢
مسجد حبيب ٢٥٣
مسجد قباء ٢٥٣
مسجد الأحقاف ٢٥٥
مسجد معاذ بن جبل ٢٥٦
مسجد أبي موسى الأشعري ٢٥٧
مسجد أبي عبيد بن الجراح ٢٥٧
مسجد العلاء بن الحضرمي ٢٥٨
مسجد مصعب بن عمير ٢٥٩
مسجد الشافعي ٢٦٠
مسجد أحمد بن حنبل ٢٦١
مسجد النووي ٢٦٣
مسجد الشوكاني ٢٦٣
مسجد العسقلاني ٢٦٤
مسجد ابن باز ٢٦٥
مسجد خديجة ٢٦٧

مسجد المنصورة ٢٦٩
مسجد المنصور ٢٦٩
مسجد الموسطي ٢٦٩
مسجد بن صنيف ٢٦٩
مسجد وبير ٢٧٠
مسجد بن جويد ٢٧٠
مسجد الشامي ٢٧١
مسجد العمقي ٢٧١
مصلى البرك ٢٧٢
مسجد الجفري ٢٧٢
مسجد شيخة ٢٧٣
مسجد الشيخة فاطمة ٢٧٣
مسجد مسينون ٢٧٣
مسجد الإحسان بالرصاصة ٢٧٤
مسجد الخير بحارة الخزان ٢٧٤
مسجد رياض الصالحين ٢٧٥
مسجد باشراحيل ٢٧٥
مسجد الحكمة ٢٧٦
مسجد الخلاقي ٢٧٦

مسجد الأحمد ٢٧٦
مسجد بر الوالدين ٢٧٧
مسجد الإحسان بالمنصورة ٢٧٨
مسجد الخير بالمنصورة ٢٧٨
مسجد الشيخ علي باوزير ٢٧٨
مسجد السنة ٢٨٠
مسجد التابعين ٢٨٠
مسجد سعيد ٢٨٠
مسجد عبد الله بن عمر ٢٨١
الفصل السادس ٢٨٤
ملحق (١) حمام المسجد ٢٨٩
ملحق (٢) شكر وعرفان ٢٩٦
المراجع ٢٩٩
الفهرس ٢٠٧